منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التعامل مع القرآن: دراسة تحليلية

إعداد

سعيد ويدراغو

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠٢٥م

منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التعامل مع القرآن: دراسة تحليلية

إعداد

سعيد ويدراغو

بحث متطلب مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنة
كلّية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانيّة
الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

أغسطس ٢٠٢٥م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التعامل مع القرآن الكريم، مسلطاً الضوء على اجتهاده في تفسير النصوص القرآنية بما يتلاءم مع الحاجات المعاصرة، ومؤكدًا على رؤيته العميقة للقرآن كمصدر شامل للهداية والتوجيه. ولهذا تكمن أهمية هذا البحث في تركيزه على منهج دراز الذي يجمع بين الدراسات المقارنة والنقدية، مع إبراز بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم وتحليل السياقات التاريخية والاجتماعية للنصوص. بالإضافة إلى ذلك، تستكشف الدراسة دور دراز في الدفاع عن القرآن أمام الشبهات الفكرية والفلسفية. وبالتالي، تنبع إشكالية البحث من الحاجة إلى منهج دقيق في التعامل مع القرآن، وهو ما سعى دراز إلى تحقيقه من خلال رؤيته المتكاملة الشمولية التي تجمع بين التحليل اللغوي، والمقارن، والنقدي. وتعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي من خلال تتبع جزئيات البحث في مؤلفات دراز وكتب التفسير والدراسات ذات الصلة، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لمناقشة وتصنيف وتحليل وتقييم ما تم جمعه. ومن أبرز النتائج المستخلصة أن دراز تبنى منهجًا متكاملًا يجمع بين التفسير الموضوعي والتحليلي والمقارن، مع مراعاة السياقات التاريخية والاجتماعية. كما ركّز على إبراز أوجه الإعجاز القرآني المختلفة: البلاغي، والتشريعي، والعلمي. وقام بنقد علمي للشبهات الغربية الخاطئة مستخدمًا حججًا عقلية ومنطقية. كذلك، قارن بين القرآن والكتب السماوية الأخرى، موضحًا تفرده كنظام أخلاقي متوازن. علاوة على ذلك، أكد على عالمية الرسالة القرآنية، مبينًا أنها تتجاوز حدود الزمان والمكان. كما حلل العلاقة بين الإيمان والأخلاق في القرآن، مشيرًا إلى أن التوجيه الأخلاقي يقوم على التوازن بين الإيمان والعمل. وتخلص الدراسة كذلك إلى التأكيد على أهمية تعميق البحث في أعمال دراز للاستفادة منها في التفسير المعاصر والدراسات الإسلامية.

ABSTRACT

This study examines the approach of Sheikh Muhammad Abdullah Darraz in engaging with the Qur'an, highlighting his efforts in interpreting Qur'anic texts in a manner that aligns with contemporary needs and emphasizing his deep vision of the Qur'an as a comprehensive source of guidance and direction. The significance of this research lies in its focus on Darraz's methodology, which integrates comparative and critical studies while emphasizing Qur'anic miracles and analysing the historical and social contexts of the texts. Additionally, the study explores Darraz's role in defending the Qur'an against intellectual and philosophical doubts. The research problem arises from the need for a precise methodology in engaging with the Qur'an, which Darraz sought to achieve through his comprehensive vision that combines linguistic, comparative, and critical analysis. The study employs the inductive method by tracing the research elements in Darraz's works, books of exegesis, and relevant studies, as well as the analytical method to discuss, classify, analyse, and evaluate the collected data. The key findings indicate that Darraz adopted an integrated approach that combines thematic, analytical, and comparative exegesis while considering historical and social contexts. He also focused on illustrating the various aspects of Qur'anic miracles—rhetorical, legislative, and scientific—conducted a scholarly critique of Western misconceptions using rational and logical arguments, and compared the Qur'an with other revealed scriptures, demonstrating its uniqueness as a balanced ethical system. Furthermore, he emphasized the universality of the Qur'anic message, asserting that it transcends time and place. Additionally, he analysed the relationship between faith and ethics in the Qur'an, arguing that ethical guidance is based on a balance between faith and action. The study concludes by underscoring the importance of a deeper examination of Darraz's works to benefit contemporary exegesis and Islamic studies.

APPROVAL PAGE

The thesis of Ouedraogo Saidou has been approved by the following:

Radwan Jamal Yousef Elatrash
Supervisor

Ammar Fadzil
Co-Supervisor

Saadeldin Mansour Gasmelsid
Internal Examiner

Abdoul Karim Toure
External Examiner

Miftah Hrairi
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations، except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Ouedraogo Saidou

Signature: Date: 16-08-2025

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٥م محفوظة لـ: سعيد ويدراغو

منهج الشيخ عبد الله دراز في التعامل مع القرآن: دراسة تحليلية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: سعيد ويدراغو

التوقيع: ..... التاريخ: 16-08-2025

إلى والديَّ العزيزين، اللذين كانا نورًا يضيء دربي، ودعاؤهما زادًا في مسيرتي، وحبهما دفئًا يملأ روحي. إليكما أقدم ثمرة جهدي، شكرًا لكما بعد شكر الله، فما كنت لأبلغ هذا المقام لولا فضل الله ثم فضل رعايتكما وتوجيهكما.

إلى إخوتي وأخواتي، سندي في الحياة، الذين كانوا لي العون والسلوى في أوقات العسر واليسر، أبعث إليكم أصدق معاني الامتنان، فأنتم جزء من روحي ونبض قلبي.

وتخصيصًا، إلى رفيقة دربي، روح قلبي، ونور عيني، زوجتي الحبيبة، التي كانت لي وطنًا يحتويني، وصوتًا يشد من عزيمتي، وصبرًا يخفف عني عناء الطريق. حبكِ إلهام، ودعمكِ قوة، ووجودكِ نعمة أحمد الله عليها كل يوم.

إليكم جميعًا، أهدي هذا العمل بفيض من الحب والتقدير، جعله الله نافذة للخير وبركةً ممتدةً في حياتنا.

الشكر والتقدير

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وتوفيقه يُدرك العبد مقاصده، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي الكريمين، فضيلة الأستاذ الدكتور **رضوان جمال يوسف الأطرش** وفضيلة الأستاذ المشارك الدكتور **عمار فاضل**، اللذين كانا لي نبراسًا من العلم، ومصدرًا للإلهام والتوجيه، لم يبخلا عليَّ بعلمهما الواسع، ونصائحهما الثمينة، ودعمهما المتواصل، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وجعل جهودهما المباركة في ميزان حسناتهما.

كما لا يفوتني أن أعبّر عن أعمق معاني الشكر والامتنان لأفراد عائلتي الأعزاء، والديَّ الغاليين، اللذين كانا لي العون والسند، بصلواتهما التي لم تنقطع، ودعمهما الذي لم يخبُ يومًا. إلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا لي رفقاء درب، يشاركونني أفراحي وأتعابي، فلكم مني كل الحب والتقدير.

ولا أنسى أصدقائي وزملائي الذين كانوا نعم الصحبة في مسيرة البحث هذه، ومن قدموا لي يد العون، سواء بكلمة طيبة، أو دعم معنوي، أو مساعدة علمية، فبكم كانت هذه الرحلة أقل مشقة وأكثر إشراقًا.

وختامًا، إلى كل من ساهم، ولو بكلمة تشجيع، أو دعوة في ظهر الغيب، أقول: جزاكم الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتكم. وأسأل الله أن يكون هذا العمل نافعًا، وأن يحقق الغاية المرجوة منه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

فهرس المحتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة التصريح ..... هـ

إقرار بحقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام ١

مقدمة ١

مشكلة البحث ١٥

أهمية البحث ١٦

الدراسات السابقة ١٧

أسئلة البحث ٢٤

أهداف البحث ٢٤

حدود البحث ٢٤

أسباب اختيار الموضوع ٢٤

منهج البحث ٢٥

هيكل البحث العام ٢٧

الفصل الثّاني: التّعريف بالشيخ دراز ومكانته العلمية ٢٩

تمهيد ٢٩

الشيخ محمد عبد الله دراز: رحلة علمية وفكرية ٣٠

البداية والتكوين ٣٠
رحلة طلب العلم ٣٠
إسهاماته الفكرية والمكانة العلمية ٣٠
إرثه العلمي وتأثيره المستمر ٣١
ختام الرحلة..... ٣١
المبحث الأول: حياة الشّيخ محمّد عبدالله درّاز ٣١
تمهيد..... ٣١
المطلب الأول: اسمه ومولده، نسبه ونشأته ٣٢
المطلب الثّاني: حياة الشيخ دراز مع القرآن الكريم. ٣٨
المطلب الثّالث: تنقلاته العلميّة والتّعليميّة..... ٤٢
المطلب الرابع: أنواع الرياضات البدنية التي مارسها الشيخ دراز في حياته.... ٥٠
المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه ٥٦
المطلب السادس: ثناء العلماء عليه ٦١
المطلب السابع: وفاتُه ٦٧
المبحث الثاني: مكانته العلميّة ٧٠
تمهيد..... ٧٠
المطلب الأول: مؤلّفات الشّيخ دراز العلميّة..... ٧١
المطلب الثّاني: نوعية التصانيف عند الشّيخ دراز..... ٧٣
المطلب الثّالث: مدرسته القرآنية ٧٧

الفصل الثّالث: القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني ٨١
تمهيد ٨١
المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات ٨٤
تمهيد..... ٨٤
المطلب الأول: مفهوم القواعد لغةً واصطلاحاً..... ٨٥

تمهيد ٨٥
الفرع الأول: القواعد لغةً ٨٥
الفرع الثّاني: القواعد اصطلاحاً ٨٧
خلاصة المطلب الأول ٨٧
المطلب الثاني: مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً ٨٨
الفرع الأول: تعريف المنهج لغةً ٨٨
الفرع الثّاني: تعريف المنهج اصطلاحاً ٩١
خلاصة المطلب السابق ٩٣
المطلب الثالث: المقصود بالتّعامل مع النص القرآني: ٩٤
تمهيد ٩٤
الفرع الأول: التّعامل لغةً ٩٥
الفرع الثّاني: التّعامل اصطلاحًا ٩٥
خلاصة المطلب الثالث ٩٦
المطلب الرابع: مفهوم النّص القرآني ٩٧
تمهيد ٩٧
الفرع الأول: النّص لغةً ٩٨
الفرع الثاني: مفهوم النّص اصطلاحاً ٩٩
الفرع الثالث: تعريف النّص اصطلاحاً عند الأصوليين ١٠٠
الفرع الرابع: مفهوم القرآن ١٠١
القرآن لغة ١٠١
الفرع الخامس: تعريف القرآن اصطلاحاً ١٠٣
خلاصة المطلب السابق ١٠٥
المطلب الخامس: مفهوم التّفسير ١٠٦
الفرع الأول: التفسير لغة ١٠٧
الفرع الثاني: التّفسير اصطلاحاً ١٠٨

المطلب السادس: تنوع مناهج المفسرين لكتاب الله عز وجل ١١٠
تمهيد ١١٠
الفرع الأول: التّفسير الإجمالي ١١٢
الفرع الثّاني: التفسير التّحليلي ١١٣
الفرع الثالث: التّفسير المقارن ١١٤
خلاصة للمطلب السادس ١١٦
المطلب السابع: القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني ١١٧
تمهيد ١١٧
الأمثلة التطبيقية حول المنهجين النّظري والتّطبيقي ١٢٠
خلاصة المطلب السابع ١٢٦
المبحث الثاني: القواعد والأحكام التطبيقيّة التي تعين على فهم القرآن وتفسيره في منظور شيخ دراز ١٢٧
المطلب الأول: الأحكام الأخلاقية الأسرية التي تعين على فهم مقاصد القرآن ١٢٧
تمهيد ١٢٧
الفرع الأول: الحقوق والواجبات الأخلاقية بين الأصول والفروع ١٢٩
الفرع الثاني: الواجبات المشتركة بين الأزواج ١٣٣
المطلب الثاني: (القواعد الأخلاقية الاجتماعية في القرآن): ١٤٢
الفرع الأول: المحظورات التي تساهم في حماية المجتمع عند تجنبها ١٤٢
الفرع الثاني: ترغيب الأوامر التي تؤصل روابط المجتمع ١٤٤
المبحث الثالث: كيفية تعامل الشيخ دراز مع النص القرآني ١٤٥
المبحث الثالث: كيفية تعامل الشّيخ محمد عبدالله دراز مع النّص القرآني ١٤٦
المطلب الأول: التفسير الموضوعي عند الشّيخ دراز ١٤٦
الفرع الأول: مفهوم التّفسير الموضوعي ١٤٦
الفرع الثاني: نموذج من التفسير الموضوعي عند الشيخ دراز ١٤٩

الفصل الرّابع: دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز ١٧٥
تمهيد ١٧٥
المبحث الأول: المقصود بالسياق التاريخي ١٧٥
مفهوم السياق التاريخي وأهميته ١٧٦
المبحث الثّاني: الاستفادة من السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية. ١٨٠
المثال الأول: وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]..... ١٨٨
مناقشة المثال الأول..... ١٨٩
المثال الثاني: وهو موجود في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] ١٩١
مناقشة المثال الثاني..... ١٩٣

الفصل الخامس: دور السياق الاجتماعي في فهم مقاصد بعض القضايا القرآنية عند الشيخ دراز..... ١٩٦
تمهيد ١٩٦
المبحث الأول: مفهوم السياق الاجتماعي ١٩٧
المطلب الأول السياق لغةً واصطلاحاً ١٩٧
المطلب الثاني: أقسام السّياق ٢٠٤
المطلب الثالث: تعريف السياق الاجتماعي ٢٠٨
المبحث الثاني: السياق الاجتماعي ومقصد النية (الأخلاق الفردية) من خلال القرآن ٢١٢
تمهيد..... ٢١٢

المطلب الأول: دور السياق الاجتماعي في توجيه الأخلاق الفردية..... ٢١٣
تمهيد..... ٢١٣
الأول في الأوامر: النموذج في ذلك من النصوص..... ٢١٤
الثاني. جهد أخلاقي ٢١٤
الثالث: الجانب الاجتماعي للمسئوليّة..... ٢١٥
المطلب الثاني: مناقشة الأفكار السابقة حول المسؤولية في الإطار
الاجتماعي ٢١٩
نتائج البحث ٢٢٠

قائمة المصادر والمراجع..... ٢٢٤
الكتب العربية ٢٢٤
الرسائل الجامعية ٢٢٥
الشبكات العنكبوتية..... ٢٢٦

الفصل الأول
خطة البحث وهيكله العام

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين هدايةً ورحمةً، وبُشْرى للمحسنين الذين ءامنوا به وعملوا بمنهجه مُمْتَثِلِينَ لأمره ومُوقِنِينَ أنّ دستوره هو الأكملُ والأتمُّ عمّا سواه، والصّلاة والسّلام على محمدٍ ﷺ سيّد البشر، الصّادق المصَّدَق الشّفِيعِ الأنام في المحشر الذي أُنزِلَ الفرقان على لسانه وكُلِّف بالبيان والتِّبْيان، المبعوث إلى الإنس والجان، المصطفى من عدنان وعلى آله الهادين، وأصحابه الغرّ الميامين الذين حفظوا القرآن في الصّدور والسّطور رضوان الله عليهم أجمعين. أمّا بعد:

فإن القرآن الكريم كتابٌ أنزله الله ليكون دستوراً إلهيّاً ومنهاجاً سماويّاً لهذه الأمة وناسخاً لما قبله من الشرائع ومصدِّقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، حاويًا لكلِّ ما اجتمع عليه من الكتب، فالله سبحانه وتعالى "جمع في القرآن محاسن الكتب التي جاءت قبله، وزاد فيه من الكمالات ما ليس في غيره؛ ولهذا جعله كتاباً شاهداً وأميناً وحاكماً ومصدقاً ومهيمناً عليها كلها (الكتب)، ولهذا تكفل تعالى بحفظه بذاته العلية"[1] فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، [الحجر: ٩]. ومن علامات ذلك الحفظ الإلهي للقرآن أنه حفظه من تحريف المحرِّفين وطعن الطّاعنين وإبطال المبطلين وتشكيك الشّاكين، قال سبحانه: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصّلتْ: ٤٢]. وعليه فإن التعامل الصحيح مع القرآن الحكيم لا يكون من خلال قراءة الهذرمة أو القراءة القائمة على مجرد اللغة، فإن ذلك لا يوصل إلى تحقيق الوعي بمقاصد القرآن. كما أن التعامل مع القرآن لا يجوز أن يكون انتقائياً بل لا بد أن يكون ضمن الكليات العامة والمقاصد الأساسية له، دون أن تكون له حدود تتخطى حدود الزمان والمكان فهو كتاب لا ينضب عطاؤه ويستجيب لمختلف العصور والدهور. ولهذا فإن الصحابة الكرام

---

١ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م)، ج٣، ص١٢٨.

تعاملوا معه بطريقة عظيمة ومنهج رائع يقود إلى الفهم والوعي بمقاصده. يصف ابن تيمية رحمه الله الصحابة الكرام بأنهم كانوا إذا تَعَلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[٢].

ومن هنا، بذل علماء الأمة من الصّحابة جهودًا كبيرةً، تُذْكَر فتشكر؛ لخدمة هذا الكتاب واعتنوا به اعتناءً فائقاً، بدْءاً من حفظه في صدورهم ومُرُورًا بنسخه على ما تيسر من وسائل منذ عهد النبوّة؛ منْ أحجار وأوراق شجرٍ وجلودٍ[٣]. هذا وتصدّى لهذه المهام مجموعةٌ من المتخصّصين منذ عصر الصحابة حتّى الآن، منهم على سبيل المثال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود[٤]. واستمر هذا الجهد بعد وفاة المصطفى ﷺ في عصر الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقام بتكوين لجنة تتألف من كبار الصحابة؛ وذلك لجمع القرآن الكريم في كتاب واحد حيث إنه كان متفرقاً بين أصحاب رسول الله ﷺ على نطاق واسع، ولم يَكُن قَدْ جُمِعَ في

---

٢ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (عمان: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص١٣٥.

٣ الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه قول سيّدنا زيد ابن ثابت تحدّثاً في امتثاله لأمر سيّدنا أبي بكر الصّديق حول جمع القرآن فقال رضي الله عنه: «فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر». انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، كتاب: التّفسير: سورةُ براءةَ، باب: قوله: لقدْ جاءكم رسولٌ منْ أنفسكم، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٦، ص٧١، رقم الحديث: ٤٦٧٩.

٤ اشتُهر بابن مسعود، حبر الأمة وهو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة. واسم مدركة عمرو بن إلياس بن مضر. ويكنى بأبي عبد الرحمن الهذلي الكوفي صاحب الحبيب المصطفى ﷺ، شهد بدراً، مكان وفاته بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة. انظر: بابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م)، ج٣، ص١١١. ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **الكنى والأسماء**، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص٥١١. وأبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، ط١، ١٩٧٠م)، ج١، ص٤٣.

دُفَّتَيْن. فلمّا رأى عمرُ استشهاد حفظة القرآن في معركة اليمامة، أشار إلى أبي بكر أنْ يجمع القرآن في كتاب واحد[٥].

وهكذا ظل الأمر إلى عصر التابعين الذين تلقوا القرآن وعلومه من أيدي الصّحابة من المفسرين. وفي كلّ هذه الفترة كان التفسير مأثورًا؛ أي ممزوجًا بأقوال النّبي ﷺ وأقوال الصّحابة والتّابعين. ثمّ بدأ عصر التّصنيف الذي شهِدَ نقلة نوعية في علم التفسير بحيث أصبح علمًا مستقلًا قائمًا بذاته. هذا، وأخذ كل واحد يستنبط من القرآن ويفسره بنَاءً على مذهبه فانبثقتْ منه مناهج وقواعد تعتمد عليها كل مدرسة في بيان معاني القرآن وتحليلها واستنبط الأحكام منه.

والمناهج من طبيعتها أنّها تتغيّر حسب الزّمان والمكان، وتتبدّل بتبدّل الوقائع والظّروف؛ ومن العلماء الذين أدركوا أهمية مواكبة هذه التغيّرات، وقدموا اجتهادات متميزة في تفسير القرآن، وفق مقتضيات العصر، الدكتور محمد عبد الله دراز، الذي عُرف بفهمه العميق للقرآن وتفسيره في العالم الإسلامي المعاصر-[٦] ليعدّل على المناهج التي سار عليها من سبقه من

---

٥ وهذا نص الحديث الكامل: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟»، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، ج ٨، ص ١٨٣، رقم الحديث: ٤٩٨٦.

٦ ستأتي ترجمته مبسوطة في الفصل الثاني، لكن باختصار أنّ الشيخ محمد عبدالله دراز كان شخصيّة فذّة تمثل مدرسة قرآنيّة جديدة وقديمة في آن واحد في العصر الحديث حيث أنه ترك للأمة موسوعة قرآنية ضخمة يسع لمن جاء بعده يريد البناء في هذا المجال أن يضيف على هذه الأسس التي رسمها دراز. هذا، وقد ولد في الثّامن عشر في شهر نوفمبر سنة

المفسرين وأضاف إليها قواعد جديدة في ثوب منهج جديد للتعامل مع القرآن. فعلى سبيل المثال لا الحصر: يمثل الشيخ محمد عبد الله دراز نموذجاً متميزاً في المنهج الجديد للتعامل مع القرآن الكريم؛ فقد أظهر أهمية مراعاة السّياق التّاريخي والاجتماعي للنّص القرآني، بجانب تسليطه الضوء على مختلف أنواع الإعجاز القرآني؛ كما يتميز منهجه بإجراء دراسات مقارِنة بين القرآن والإنجيل والتّوراة، مما يُثري الفهم العميق للنصوص المقدسة. ويولي دراز اهتماماً خاصاً بنقد آراء المفكّرين والفلاسفة الغربيّين، حيث يستعرض الشّبهات والطّعون التي غالباً ما يُثيرونها تجاه القرآن نتيجة قصور في فهم حقيقة الإسلام. ثم يعقُب ذلك بعرض ردود علمية دقيقة تُفنّد تلك الادعاءات، مسلطاً الضوء على عظمة القرآن وشموليته.

ومن الأمثلة التي توضح بعض الجوانب لتلكم المنهجية ما يأتي: منهج المقارن الموضوعي. فعلى سبيل المثال مقارنة الشّيخ محمد عبدالله دراز حول نظام التّوجيه القرآني بالكتاب المقدّس:

الأول: طرق التّوجيه في العهد القديم، وذلك عندما ننظر إلى نوع العقوبات والمكافآت التي أقرت فيه جزاء عن حفاظ الوصايا الإلهية، ولننح جانبًا بعض الفقرات النادرة جدًّا، والتي نجد فيها إشارة إلى الخير الأخلاقي لذاته، ثم ننظر إلى الكيفية التي كان بها تعليل الأوامر، منها: أولاً: عندما توجه الله سبحانه إلى الأسرة الإنسانية الأولى بشأن الفاكهة المحرمة، قال: وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه، لئلا تموتا[٧]. ثانياً: حين خاطب ولدها الأكبر قابيل قاتل أخيه هابيل، قال: "فالآن ملعون أنت من الأرض ... متى عملتَ

١٨٩٤م، ببلدة تسمى (محلة دياي) في مركز (دسوق) من محافظة (كفر الشيخ) المصرية. وتربّى في بيت موصوفٍ بالعلم والصّلاح. وبعد جولة ممتلئة بالنّفع والانتفاع انتقل إلى جوار ربه في (باكستان) مدينة لاهور عام ١٩٥٨م حيث أصابته أزمة قلبية في مؤتمر الثّقافية الإسلامية بباكستان قبل أن يقدم بحثه العلمي فرحم الله الشهيد العلمي. انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبد الله دراز: حياته وآثاره**، (القاهرة: دار المشرق، ط١، ٢٠١٢م)، ص٢١-٢٥.

[٧] **الكتاب المقدس (العهد القديم)**، الاصحاح الثالث، سفر التكوين، أية ٣،

<https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/٠١-Genesis/Sefr-Al-Takween_Chapter-٠٣.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبير ٢٠٢٠م.

الأرض لا تعود تعطيك قوتها"[٨]. في هذين المثالين وغيرهما منذ آدم عليه السلام حتى موسى عليه السلام، إلى آخر عهده لا نصادف أية إشارة إلى حياة بعد الموت، فكأنّما لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكانٌ في أديانهم[٩].

الثّاني: طرق التّوجيه في العهد الجديد: فحينما ننظر إلى هنا نرى توجيهاً آخر ونسمع نغمةً جديدةً كلّ الجدة، هنا يحسّ المرء بشعورٍ جليٍّ بأنّه قد انتقل من طرفٍ إلى أقصى طرفٍ مقابل له، وإنّ صلاتنا بالعالم الراهن بكلّ ما فيها من غنى وعظمة سوف تتقطّع، فهي بالنّسبة إلينا قيودٌ ينبغي أن نتحرّر منها، نظراتنا لا تعود مثبتة على الأرض، بل إنها دائمًا موجهةٌ إلى السماء. فمن أمثلة ذلك كثيرة منها: قول يسوع المسيح لأحد المؤمنين الجدد، قال له: إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعال اتبعني[١٠]. وهكذا غير هذا المثال نجد أنّ الأمل الإنجيلي مكانه دائماً هو الآخرة، ما بعد الموت عكس نظام التّوراة[١١].

الثّالث: نظام التّربية القرآني: هو نظام متكامل يربط بين نظريتين: النّظرية اليهوديّة ونقيضتها النّظرية المسيحيّة، فتجدهما تتصالحان داخل دعوة القرآن في توافق وانسجام مع زيادة عناصر أخرى أضافها القرآن، فزاد بها رحابة. وتبيّن بعد الإحصاء العام ندرة التّعاليم القرآنية التي اقتصرتْ في تعليل حكمتها على سلطة الأمر وحده؛ فلا يوجد في القرآن إلا عشر آيات فقط وكلّها مدنيّة، منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، [البقرة: ٢٧٥]، وسورة [النّساء: ٧]. وليس من أسلوب القرآن عادةً استخدام الصّيغة: (الكانتية) نحو: (افعل كذا لأنّه كذا فرض) مستنداً إلى الشّكل المجرد

---

٨ انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٧٥-٢٧٨.

٩ انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٠.

١٠ **الكتاب المقدس (العهد الجديد)**، الاصحاح التاسع عشر، الإنجيل متى، أية ٢١، <https://st-takla.org/pub_newtest/Arabic-New-Testament-Books/٠٣-Luke/Enjil-Loka_Chapter-١٨.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبير ٢٠٢٠م.

١١ انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٠- ٢٨١.

من مادّته. غير أنّ عدم وجود تصريح العلة أيضاً لا ينفي بالضّرورة عدم وجود مضمون لها. وذلك أنّ الإيمان يقتضي خضوعاً غير مشروط للأمر الإلهي، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ومع باسم هذا الإيمان إلاّ أننا نستطيع أن نقف على سببٍ خفيٍّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**﴾ [النّساء: ٦٦]، والأمر الإلهي يتمثلّ لنا دائماً متّصفاً بالعلم والحكمة والإقناع الكامل بحيث يتحقق له انقياد ضمائرنا الكامل، وبعيداً عن الاستبداد والتّحكم، قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النّساء: ١١]، وغير هذه الأحكام الآمرة، نجد أنّ الوصايا القرآنيّة تعتمد على أساليب مختلفة وأسس متنوّعة أخرى يمكن حصرها في ثلاثة مجموعات كبيرة، أولاً: المسوغات الذاتيّة[١٢]، ثانياً: اعتبارات البيئة، ثالثاً: اعتبارات النّتائج المترتبة على العمل[١٣]. فمن أمثلة مجموعة الأولى: من نظرية القرآن العامة نجد أنّه يحرص على أن يعلمنا ما هو منهجه، وما ليس فيه بذاته، وما هو منفيّ عنه من النقائص أو مثبت له من الصّفات الخاصة القادرة على اقناع العقول المجهول بالحقيقة. فيُعلن أنّ توجيهه ليس بقضية تكتسب وليس بنظام يبتغي مؤسسه نيل الأجر، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا**

---

١٢ يُعنى بها: الرّجوع في دعم التكليف عقليًّا إلى قيمة أخلاقية مرتبطة بهذا التكليف، وهي قيمة "إيجابية" إن دلّ على أمرٍ، والعمل به، أو"سلبية" حين تتصل بنهي أو عصيان. وهي قيمةٌ موضوعيّةٌ، كالحق والباطل، أو قيمةٌ ذاتيّة كبصر القلوب وعماها. وهناك ثلاثة نماذج تربط بين القيمة والموضوع وعلى أساسها نستطيع أن نقدر الموضوع ونحدد قيمته سواء كان فعلاً أو قاعدة أو موقفًا أو نظريةً. الأول: إما أن ترجع قيمة الموضوع إلى طبيعته الخاصة. الثاني: أو أن تستخلص قيمته من حالة سابقة هو أثر لها، الثالث: أو حالة لاحقة هو سبب فيها. وكل هذا المراد هو التوصل إلى حكم أخلاقي وبالتالي فإن القيمة المطلوبة ينبغي أن تتصف بنفس الصفة الأخلاقية مع وجود الارتباط بالموضوع طبيعيًّا وليس ارتباطاً إتّفاقيّاً ناشئاً عن حكم تشريعيٍّ. انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٤، ودراز، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨٣. وسيأتي بيان هذه المجموعات وتطبيقاتها أكثر في الفصل الثّاني في البحث.

١٣ انظر: محم عبد الله دراز، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨٢-٨٣.

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنفال:٩٠] ويعلن أيضاً أنّه ليس نظاماً يفرض نفسه بالإكراه والاستبداد والديكتاتورية ولكنّه رسالة للبلاغة وتعليم يعرض على أساس موافقة الحرية، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾** [البقرة: ٢٥٦][١٤].

الرّابع: مقارنة المبادئ الأخلاقية بين التوراة والقرآن: منها: ماجاء في التوراة "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي "هذا النص يقارب ما في القرآن قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** [الإسراء: ٢٣][١٥]. ومن جانب آخر مقارنته بين نظريات الغرب من المفكرين والفلاسفة ونظريات الشرق؛ فهذا المنهج وغيره فعلاً يساعد في فهم مدلول النص القرآن وتطبيقه بقضايانا المعاصرة الاجتماعية.

الخامس: تفسير الآيات وربطها بالسّياق الاجتماعي حسب الموضوعات: لقد قدّم لنا الشّيخ محمد عبدالله نماذج حول الآيات التي لها علاقات بالمسائل الاجتماعية كثيرة، عند كلامه عن الحياة الزوجيّة منها، **أولاً**: روابط مقدسة ومحترمة، قال تعالى مبيّناً: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النّساء: ١]. **ثانياً–** الزواج له غايات منها: سلام داخليّ، مودّة، ورحمة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**

[الروم: ٢١]. ومنها: تكثير النّسل، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾** [النّحل: ٧٢]. **ثالثاً**: أن تكون هناك مساوات في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾** [البقرة: ٢٢٨]. **رابعاً**: أن تكون بين الزوجين تعامل إنسانيٌّ، قال تعالى: ﴿**وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾** [الطلاق: ٦]، فوجود هذا التّعامل الإنساني ينفي عنهما التّنازع والتّنافر[١٦].

---

١٤ انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٨٦-٢٨٧.

١٥ انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، تحقيق: محمد عبد العظيم، (القاهرة: دار القلم، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٩٩.

١٦ انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢١٦-٢١٧.

وهذه المنهجيّة التي سار عليها الشّيخ محمّد عبد الله دراز تتمحور في عنصرين اثنين: العنصر النّظري والعنصر التّطبيقي.

– ويُراد بالأوّل: وضع القواعد الأساسيّة أو تأسيس القوانين التي يُستخلص منها مبادئ الأخلاقي في القرآن، وتندرج تحت هذه القواعد موضوعات فرعيّة وتقسيمات عديدة، فعلى سبيل المثال كتابه: "دستور الأخلاق في القرآن" إذا قرأْته تجدْ أنّ محمّد عبد الله دراز عندما أراد أن يّتكلم عن نظريّة الأخلاق في القرآن ومقارنتِها بالنّظريات الأخلاقيّة القديمة والحديثة؛ وضَعَ لها قواعد وقوانين، ومن ذلك:

١. فكرة المسؤولية، بعد تعريفها، يُقَسِّمُ هذه الفكرة إلى موضوعات متنوّعةٍ منها: الأول: تحليل فكرة العامة للمسئولية.
٢. شروط المسئولية الأخلاقيّة والدّينيّة، ويتفرع عن ذلك أشياء، منها:
   أ. الطّابع الشّخصيّ للمسئوليّة.
   ب. الأساس القانوني للمسئوليّة.
   ج. العنصر الجوهري في العمل.
   د. الحرية.

ومن باب الاهتمام بشروط المسؤولية، فسوف أتحدث عن الشرط الأول بالتفصيل، باعتباره في غاية الأهمية:

تحديد مصطلح المسؤولية لغة واصطلاحاً

المسؤولية لغة: إن كلمة المسؤولية في أصلها اللغوي تعني المطالبة والمؤاخذة، جاء في التنزيل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾، [الإسراء: ٣٦]. قال أبو عبيد: فَأَخْبَرَ أَنَّهُ تبارك وتعالى يَسْأَلُ عَمَّا أَحْدَثَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ وَنوَتْهُ[١٧]. وقال الماوردي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد

[١٧] أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، **الطهور**، حققه وخرج أحاديثه: مشهور حسن محمود سلمان، (جدة: مكتبة الصحابة، ط١، ١٩٩٤م) ص٢٠٠.

لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية. الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهوداً عليه، وله، بما فعل من طاعة وما ارتكب من معصية[١٨].

المسؤولية اصطلاحاً: تعريف المسؤولية في القانون: هي المؤاخذة والتبعة، أو هي اقتراف أمر يوجب مؤاخذة فاعله[١٩].

النقطة الأولى: أمثلة توضح بعض الجوانب المنهجية المسؤولة الرصينة في الخطاب القرآني: ومنها ما ورد في التعامل المنهجي المقارن في توضيح دلالات قصة ابني آدم عليه السلام: قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ٢٨ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ٣١**﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

من خلال هذه الآيات أظهر عبد الله دراز دلالات المسؤولية بوصفها جزءاً أصيلاً في البناء الأخلاقي الذي يعرضه القرآن، وبالذات من خلال قصة ابني آدم، وعليه، فإننا نرى:

الطابع الشخصي: يظهر في قرار كل فرد منهما، حيث تحمل كل منهما نتائج أفعاله، فهابيل اختار أن يلتزم بخوفه من الله ، ولم يبسط يده بالعدوان، بينما قابيل استسلم لغرائزه النفسية، وقتل أخاه.

الطابع الجمعي: في تعلم قابيل من الغراب كيفية التعامل مع تبعات أفعاله. فالمشهد يشير إلى التداخل بين الفرد والمجتمع في تحمل تبعات الأعمال، ومعالجة نتائجها.

المنهج المقارن الموضوعي. فعلى سبيل المثال مقارنة الشّيخ محمد عبدالله دراز حول نظام التّوجيه القرآني بالكتاب المقدّس:

---

[١٨] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ج٣، ص٢٤٣.

[١٩] منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، مجلة مجمع الفقة الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ج٨، ص٥٨٠.

الأول: طرق التّوجيه في العهد القديم، وذلك عندما ننظر إلى نوع العقوبات والمكافآت التي أقرت فيه جزاء عن حفاظ الوصايا الإلهية، ولنح جانبًا بعض الفقرات النادرة جدًّا، والتي نجد فيها إشارة إلى الخير الأخلاقي لذاته، ثم ننظر إلى الكيفية التي كان بها تعليل الأوامر، منها:

أولاً: عندما توجه الله سبحانه إلى الأسرة الإنسانية الأولى بشأن الفاكهة المحرمة، قال: وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه، لئلا تموتا[٢٠].

ثانياً: حين خاطب ولدها الأكبر قابيل قاتل أخيه هابيل، قال: "فالآن ملعون أنت من الأرض ... متى عملتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها"[٢١]. في هذين المثالين وغيرهما منذ آدم عليه السلام حتى موسى عليه السلام، إلى آخر عهده لا نصادف أية إشارة إلى حياة بعد الموت، فكأنّما لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكانٌ في أديانهم[٢٢].

الثّاني: طرق التّوجيه في العهد الجديد: فحينما ننظر إلى هنا نرى توجيهاً آخر ونسمع نغمةً جديدةً كلّ الجدة، هنا يحسّ المرء بشعورٍ جليٍّ بأنّه قد انتقل من طرفٍ إلى أقصى طرفٍ مقابل له، وإنّ صلاتنا بالعالم الراهن بكلّ ما فيها من غنى وعظمة سوف تتقطّع، فهي بالنّسبة إلينا قيودٌ ينبغي أن نّتحرّر منها، نظراتنا لا تعود مثبتة على الأرض، بل إنها دائمًا موجهةٌ إلى السماء. فمن أمثلة ذلك كثيرة منها: قول يسوع المسيح لأحد المؤمنين الجدد، قال له: إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعال اتبعني[٢٣]. وهكذا غير هذا المثال نجد أنّ الأمل الإنجيلي مكانه دائماً هو الآخرة، ما بعد الموت عكس نظام التّوراة[٢٤].

---

[٢٠] **الكتاب المقدس (العهد القديم)**، الاصحاح الثالث، سفر التكوين، أية ٣، <https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/٠١-Genesis/Sefr-Al-Takween_Chapter-٠٣.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبر ٢٠٢٠م.

[٢١] انظر: محمد بن عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م) ص٢٧٥-٢٧٨.

[٢٢] انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٠.

[٢٣] **الكتاب المقدس (العهد الجديد)**، الاصحاح التاسع عشر، الإنجيل متى، أية ٢١، <https://st-takla.org/pub_newtest/Arabic-New-Testament-Books/٠٣-Luke/Enjil-Loka_Chapter-١٨.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبر ٢٠٢٠م.

[٢٤] انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٠- ٢٨١.

النقطة الثانية: المسؤولية الفردية والجماعية في العهد القديم:

في العهد القديم، نرى أن التوجيه الإلهي يبدو أقرب إلى التوجيه المادي المباشر، حيث تركز العقوبات والمكافآت على هذه الحياة فقط، دون الإشارة إلى حياة بعد الموت. مثال ذلك:

تحذير الله لآدم وحواء من أكل الشجرة المحرمة كان مرتبطًا بالموت كعقاب دنيوي مباشر: «لا تأكلا منه، ولا تمساه، لئلا تموتا».

أما عقاب قابيل فقد كان دنيويًا أيضًا، حيث حُرم من خيرات الأرض: «فالآن ملعون أنت من الأرض... متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها».

هذه الأمثلة تشير إلى أن المسؤولية في العهد القديم، كانت تُدرك من منظور دنيوي بحت، دون إشراك أفق الآخرة أو المسؤولية الأخروية.

الثّالث: نظام التّربية القرآني نظام مسؤول شامل لحاجات الفرد والجماعة: هو نظام متكامل يربط بين نظريتين: النّظرية اليهوديّة ونقيضتها النّظرية المسيحيّة، فتجدهما تتصالحان داخل دعوة القرآن في توافق وانسجام مع زيادة عناصر أخرى أضافها القرآن، فزاد بها رحابة. وتبيّن بعد الإحصاء العام ندرة التّعاليم القرآنية التي اقتصرتْ في تعليل حكمتها على سلطة الأمر وحده. فلا يوجد في القرآن إلا عشر آيات فقط وكلّها مدنيّة، منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وسورة [النّساء:٧]. وليس من أسلوب القرآن عادةً استخدام الصّيغة: (الكانتية) نحو: (افعل كذا لأنّه كذا فرض) مستنداً إلى الشّكل المجرد من مادّته. غير أنّ عدم وجود تصريح العلة أيضاً لا ينفي بالضّرورة عدم وجود مضمون لها. وذلك أنّ الإيمان يقتضي خضوعاً غير مشروط للأمر الإلهي، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾، [الأحزاب: ٣٦]، ومع اسم هذا الإيمان إلاّ أننا نستطيع أن نقف على سببٍ خفيٍّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**﴾، [النّساء: ٦٦]، والأمر الإلهي يتمثّل لنا دائماً متّصفاً بالعلم والحكمة والإقناع الكامل بحيث يتحقق له

انقياد ضمائرنا الكامل، وبعيداً عن الاستبداد والتّحكم، قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾، [النّساء: ١١]، وغير هذه الأحكام الآمرة، نجد أنّ الوصايا القرآنيّة تعتمد على أساليب مختلفة وأسس متنوّعة أخرى يمكن حصرها في ثلاثة مجموعات كبيرة:

أولاً: المسوغات الذاتيّة[٢٥]، ويقصد بها: الرّجوع في دعم التكليف عقليًّا إلى قيمة أخلاقية مرتبطة بهذا التكليف، وهي قيمة "إيجابية" إن دلّ على أمرٍ، والعمل به، أو"سلبية" حين تتصل بنهي أو عصيان. وهي قيمةٌ موضوعيّةٌ، كالحق والباطل، أو قيمةٌ ذاتيّة كبصر القلوب وعماها. وهناك ثلاثة نماذج تربط بين القيمة والموضوع وعلى أساسها نستطيع أن نقدر الموضوع ونحدد قيمته سواء كان فعلاً أو قاعدة أو موقفًا أو نظريةً. الأول: إما أن ترجع قيمة الموضوع إلى طبيعته الخاصة. الثاني: أو أن تستخلص قيمته من حالة سابقة هو أثر لها، الثالث: أو حالة لاحقة هو سبب فيها. وكل هذا المراد هو التوصل إلى حكم أخلاقي وبالتالي فإن القيمة المطلوبة ينبغي أن تتصف بنفس الصفة الأخلاقية مع وجود الارتباط بالموضوع طبيعيًّا وليس ارتباطاً اتّفاقيّاً ناشئاً عن حكم تشريعيٍّ[٢٦].

القرآن يعتمد على تقديم التكاليف بناءً على قيم أخلاقية ذاتية وموضوعية، مثل الحق والباطل، أو بصر القلوب وعماها، والشيخ دراز يُظهر أن التوجيه الأخلاقي للفرد يعتمد على الربط بين القيمة والموضوع بطريقة موضوعية وغير اتفاقية، مما يدفع الإنسان إلى إدراك مسؤولياته تجاه أفعاله استنادًا إلى وعيه الذاتي، وفهمه لأثر هذه الأفعال. ومن الأمثلة على ذلك والتي تشمل ثلاثة أنماط لتقدير القيمة:

---

[٢٥] انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٤، ومحمد عبدالله دراز، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨٣.

[٢٦] انظر: محمد عبدالله دراز، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨٣.

- **طبيعة الموضوع:** أن تكون القيمة متأصلة في طبيعة الفعل ذاته.
- **الحالة السابقة:** أن يكون الفعل مرتبطًا بنتائج ماضية أو آثار نشأت عنه.
- **الحالة اللاحقة:** أن يُقدر الفعل بناءً على نتائجه المستقبلية.

تحقيق الفرد للحرية الأخلاقية

- القرآن يُوجه الفرد بطريقة تقنع عقله ووجدانه، بعيدًا عن الإكراه والاستبداد، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما يُعزز القرآن مسؤولية الفرد من خلال إقرار حرية الاختيار، مما يجعل الامتثال للتكاليف مرتبطًا بالقناعة الذاتية.

ثانياً: اعتبارات البيئة، القرآن يراعي سياق البيئة التي يعيش فيها الأفراد، مما يعني أن الوصايا الأخلاقية تتفاعل مع الظروف المحيطة بالمجتمع. ذلك أن هذه الاعتبارات تساعد على تأطير المسؤولية الجماعية بما يناسب احتياجات المجتمع وظروفه، مما يضمن انسجام الفرد مع محيطه.

ثالثاً: اعتبارات النّتائج المترتبة على العمل[٢٧]. فمن أمثلة المجموعة الأولى: من نظرية القرآن العامة نجد أنّه يحرص على أن يعلمنا ما هو منهجه، وما ليس فيه بذاته، وما هو منفيّ عنه من النقائص أو مثبت له من الصّفات الخاصة القادرة على إقناع العقول المجهول بالحقيقة؛ فيُعلن أنّ توجيهه ليس بقضية تكتسب، وليس بنظام يبتغي مؤسسه نيل الأجر، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنفال:٩٠]، ويعلن أيضاً أنّه ليس نظاماً يفرض نفسه بالإكراه والاستبداد والديكتاتورية ولكنّه رسالة للبلاغة وتعليم يعرض على أساس موافقة الحرية، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة: ٢٥٦][٢٨].

فالقرآن يحث على مراعاة النتائج المستقبلية للأفعال، سواء كانت فردية أو جماعية، مما يعزز الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وخير مثال على ذلك، هو التأكيد على أن الفعل

---

[٢٧] انظر: محمد عبد الله دراز، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨٢-٨٣.

[٢٨] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٨٦-٢٨٧.

الأخلاقي يجب أن تكون له نتائج إيجابية، ومتصلة بطبيعة الفعل، وليس قائمة على اتفاقيات عرضية.

النقطة الرابعة: مقارنة المبادئ الأخلاقية بين التوراة والقرآن: منها: ما جاء في التوراة "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" هذا النص يقارب ما في القرآن، قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾، [الإسراء: ٢٣][٢٩]. ومن جانب آخر مقارنته بين نظريات الغرب من المفكرين والفلاسفة ونظريات الشرق؛ فهذا المنهج وغيره فعلاً يساعد في فهم مدلول النص القرآني وتطبيقه بقضايانا المعاصرة الاجتماعية.

فالمسؤولية الفردية في هذه الفقرة تبرز من خلال التوجيهات الأخلاقية التي تركز على العبادة الحصرية لله سبحانه وتعالى، ويشير الشيخ دراز إلى المقارنة بين ما جاء في التوراة، وما في القرآن الكريم، هذه المقارنة تدل على توجيه أخلاقي أساسي في الكتابين المقدسين، وهو عبادة الله وحده، وهذا يشكل قاعدة أساسية في المسؤولية الفردية.

فالتطبيق الفردي والجماعي: فالفرد مطالب والجماعة مطالبة باتخاذ قرار شخصي، وتأكيد التزام الجميع بتوحيد الله، هذا التوجيه يُلزم الجميع بأن يكون كل واحد منهم مسؤولاً، ويعيد تقييم أفعاله، وعلاقته بالله بما يتناسب مع هذا المبدأ الأخلاقي، ذلك أنه لا مجال للمساومة في هذا التوجيه، وهو ما يقتضي من الفرد والجماعة تفعيل الإيمان الشخصي والالتزام بمبدأ "لا إله إلا الله" من خلال التصرفات والأفعال اليومية.

النقطة الثالثة: الجانب الاجتماعي للمسئوليّة.

– ويراد بالثّاني: استقصاء الأحكام العمليّة ومعالجتها وفق ما جاء بها القرآن في ذاتها. هذا ويستعينُ دراز للتّعامل مع هذا العنصر بأمورٍ كالتّالي: إيجاد موضوعات وتأسيس قواعد خاصة التي تعينهُ في استقراء الآيات القرآنية العمليّة، أو الوقائع التي لها صلة بالموضوع. ومن الأمثلة التي تدل على ذلك: تقسيم محمّد عبدالله دراز الأخلاق العمليّة إلى موضوعاتٍ كثيرةٍ وقوانين عدّة، منها: الأخلاق الفرديّة، وتحتها تفاصيل مكثّفةٌ بعضها فوق بعض: الأوامر،

---

[٢٩] انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، تحقيق: محمد عبد العظيم، (القاهرة: دار القلم، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٩٩.

والنّواهي، والمباحات، والمخالفات بالاضطرار. وهكذا ينهج دراز بجمع الآيات المختارة من القرآن حسب الموضوعات، ثم يُدلي أسلوبه ومنهجه في المعالجة بها والتّحليل.

وبعد هذا الاستعراض يبدو جليًّا مدى أهمية منهج عبد الله درّاز في تفسير القرآن وخاصةً في هذا العصر. ومع هذا كلّه، لم يحظ منهجه هذا بدراسة تبيّن أهميّته في تحليل النّص القرآني. ومن هنا، جاء هذا البحث لسدّ هذه الثغرة؛ وذلك عن طريق تعريفه وتحليله وبيان كيفية تطبيقه على النص القرآني من خلال أمثلة. وجاء العنوان كالتّالي: (**منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التعامل مع القرآن: دراسة تحليلية**).

مشكلة البحث

يدور فلك هذا البحث حول شخصية فكرية مهتمة بالتراث التفسيري للقرآن الحكيم، وهي شخصية الشيخ محمد عبد الله دراز، وهو من المفكرين الفلاسفة والمفسرين المعاصرين البارزين الذين لا يخفى على المثقفين جهودهم وإسهاماتهم العلمية والمعرفية في حقل علوم القرآن وتفسيره. وعلى الرغم من كل ما سبق، إلا أن البحوث حول منهجية الشيخ في التعامل مع القرآن وتفسيره وعلومه قلَّ فيها الدلاء، إذْ إنّه نَهَجَ نهجًا جديدًا وابتكر قواعد وأساليب تلائم العقلية المعاصرة في فهم النّص القرآني. ولهذا فإن المشكلة تكمن في غرابة منهجيته المبتكرة للتّفسير الموضوعي للقرآن الحكيم؛ حيث ركز من خلالها على اعتماد السّياق التّاريخي والاجتماعي كوسيلة من وسائل الفهم لمقصود النص القرآني. من جهة أخرى، فقد كانت منهجيته تعتمد على إظهار وجوه إعجاز القرآن المتنوعة حيث أظهر اهتمامه على سبيل المثال، بالإعجاز اللّغوي، والإعجاز العلمي وكذا بالإعجاز التّشريعي[٣٠] ليفهم مقاصد القرآن الكريم. ومن ميّزات منهجيته كذلك أنّه يُجْري دراسة مقارِنة بين القرآن والإنجيل والتّوراة في الحوادث والقصص مع ما قاله المفكّرون والفلاسفة الغربيّون بُغْيَةَ بيان الشّبهات والطّعون التي غالبًا ما يوردونها ضد القرآن نَتِيجَةَ فهمٍ سقيمٍ وقصورٍ معرفي في إدراك حقيقة النص القرآني. وقد واجه

[٣٠] انظر: رضوان جمال الأطرش، **مدخل إلى دراسة وجوه الإعجاز القرآني**، (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر العلمي، (IIUM Press)، ط٣، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ص٦٩ وما بعدها.

كل تلك الملابسات بردود علمية لم يفطن لها إلا القليل. ومع كلّ ما ذُكِر من خصائص في غاية الأهمية لهذا المنهج، إلّا أنّ هناك قصورًا وَاضِحًا في بيان معالمها وتقديمها للقارئ المسلم المعاصر بشكل خاص وللقارئ غير المسلم بشكل عام[٣١]. ومن هنا، يسْعَى البحث الذي بين أيدينا لاستدراك هذا القصور وسدّ هذه الثّغرة بحيث يقوم بدراسة المنهج المذكور أوّلًا، ومناقشته وتَحليله ونقده وتقديم الرأي فيه.

أهمية البحث

يمكن إجمال هذه الأهمية في النقاط الآتية:

١. تقديم دراسة علمية شاملة حول منهج الشيخ محمد عبد الله دراز الذي اختاره ورضي به في التعامل مع النص القرآني.
٢. إظهار معالم منهجية العلَّامة دراز في التعامل مع التّراث العلمي التفسير للقرآن الحكيم. لطلاب الدراسات العليا والباحثين والمتخصصين في الدراسات القرآنية.
٣. بيان أهمية الدراسات المتخصصة في موضوع تفسير القرآن وعلومه من خلال السياقات الاجتماعية والتاريخية.
٤. إظهار الجهود الخاصة والأساليب الجديدة التي اعتمدها الشيخ دراز في استقصاء القانون الأخلاقي في القرآن وأسسه وذلك في إطار تقديم الحلول للمشاكل الأخلاقية والاجتماعية في العصر الحديث.
٥. إعطاء فكرة شاملة عن وجوه الإعجاز القرآنية المتنوعة لطلبة العلم والمتخصصين في الدراسات القرآنية والتي من خلال فهمها تحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة.
٦. ضرورة مراعاة الواقع التّاريخي في فهم معطيات التفسير، وإظهار البراعة الجامعة في استخدام المنهجية الوسطية في التعامل مع النص القرآني.
٧. تزويد المكتبة العربية والمعاهد العلمية ببحوث علمية عن منهجية الشيخ دراز في التعامل مع القرآن في صورة جديدة.

---

[٣١] وصفي عاشور أبو زيد، **أسس التعامل مع القرآن الكريم**، (الكويت: د.ن، د.ط، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ص٢-٣.

الدراسات السابقة

حسب علم الباحث المتواضع لم يعْثُرْ على دراسةٍ مّستقلّةٍ تُبيّن منهج الشّيخ محمّد عبد الله دراز في تفسير القرآن: دراسة تحليليّة تطبيقيّة. لكن هناك دراساتٌ سابقة تناولتْ بعض جوانب من موضوع هذا البحث، منها ما يلي:

كتاب ألّفه الأستاذ الشّيخ أحمد مصطفى فضيلة[٣٢] ناشر تراث العلامة: محمد عبد الله دراز بعنوان: **"حول رسالة دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز"**[٣٣] قسم المؤلف فصول هذا الكتاب إلى أربعة فصول ومقدمة، تناول في الفصل الأول ميّزات كتاب (دستور الأخلاق في القرآن) في الفكر الإسلامي المعاصر والفترة التي استغرق فيها محمد عبد الله دراز في إعداد هذا الكتاب. وفي الفصل الثاني ذكر أسباب جهود محمد عبد الله دراز بالبحث الخلقي حيث تكلم فيه عن نبذة يسيرة ومختصرة عن المنهج النظري لمحمد عبد الله دراز في كتابه المذكور؛ وبالتالي فإن الباحث سوف يستفيد منه ويضيف إليه الأمثلة. في الفصل الثالث تناول فيه أفكار محمد عبد الله دراز وذكر الأهداف الرئيسة الموجودة (في دستور الأخلاق في القرآن). واختتم هذا الفصل بذكر أمور تاريخية تتعلق بمحمد عبد الله دراز والتُّراث الذي خلّفه للأمة. والكتاب في نظر الباحث من البحوث القيمة لأنه أبرز فيه أفكار الشيخ دراز لكنه يختلف تماماً عن هذه الرسالة التي تركز على منهجيّة الشيخ محمد عبد الله دراز في التّفسير بشكلٍ شموليٍّ وتطبيقاتها ومحاولة الاستفادة منها في حل كثير من القضايا المعاصرة.

ومن الدّراسات السّابقة رسالةٌ قُدِّمتْ لنيل شهادة دكتوراه بعنوان: **"جهود محمد عبد الله دراز في التّفسير الموضوعي: دراسة تحليليّة"**[٣٤] بجامعة الحاج لخضر_ باتنة، للطالب محي الدين

---

٣٢ هو أحمد مصطفى عبد العزيز فضيلة، ولد في قرية محلة دياى–مركز دسوق–محافظة كفر الشيخ جمهورية مصر العربية، سنة ١٩٦٤/٦/٤م، ابن الأزهر وعمل مدرساً في المعاهد الأزهريّة حتّي رُقي فصار شيخاً لمعهد محلة دياى الأزهري في ٢٠/١٠/ ٢٠٠٤م، وظل يعمل حتى رشح من قبل الإمام الأكبر شيخ الأزهر لبعثة الأزهر لماليزيا في ٢٠١١ م، وكان له نشاط علميّ يُشكر، وبعد حياة مليئة بالنّفع والانتفاع انتقل إلى جوار ربّه يوم الجمعة سنة ٢٠١٣م/ ٤/٥. انظر: صفحة فيسبوك للشيخ أحمد مصطفى فضيلة، <https://www.facebook.com/fdliah/posts/٣١١٦٨٢٨٦٥١٦٦٢٥٧٦?comment_id=٣١١٦٩٦٤٠٩١٦٤٩٠٣٢> آخر تعديل لهذه الصفحة ١٣ ديسمبر ٢٠١٨م.

٣٣ أحمد مصطفى عبد العزيز فضيلة، **حول رسالة دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز**، (القاهرة: دار القلم، ط٢، ٢٠١٢م).

٣٤ محي الدين بن عمار، **جهود محمد عبد الله دراز في التّفسير الموضوعي: دراسة تحليليّة**، (رسالة دكتوراه، باتنة: جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، ٢٠١٢م).

عمار. في هذه الرسالة تحدّث الباحث عن ترجمة حياة الشيخ محمد عبد الله دراز ونشأته العلمية، وحياته الاجتماعية والسياسيّة، وتراثه العلمي، ثم تكلم عن حقيقة التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية المعاصرة وأنواعه، ومنهجه ومصادره فيه، وأيضاً منهجه في علوم القرآن وأهم خصائص في تفسيره. وقد أجاد الباحث في موضوعه غير أنّ بحثه يختلف عن هذا البحث الذي نحن بصدده؛ لأن هذا البحث متخصص في الحديث عن منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في تفسير القرآن وبيان التعامل معه: دراسة تحليلية وتطبيقيّة. بغية الإفادة من منهجيته في تقديم حلول لبعض القضايا الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة.

ومنها: كتاب "**فيلسوف القرآن الكريم محمد عبد الله دراز: حياته وآثاره**"[٣٥] لمؤلفه محمد بن المختار الشنقيطي وهو ممن اعتنى بخدمة التراث الإسلامي الذي خلّفه الشيخ محمد عبد الله دراز في عصرنا. هذا واندرج تحت هذا الكتاب ثلاثة فصول مع مقدمة ومدخل، في الفصل الأول تكلم المصنّف عن حياة دراز الذاتية وآثاره العلميّة، وكذلك تطرق إلى منهجه الفكري بشكل يسير، وفي الفصل الثاني تكلم عن ملامح الوسطية في فكر دراز، وفي الفصل الأخير تحدث عن لتجديد ومكانته في فكر دراز؛ ويُعتبر هذا الكتاب إضافة مهمة في خدمة التراث الإسلامي الذي خلّفه دراز. كما أنّ الشيخ محمد بن المختار الشنقيطي ذكر بعض الأمثلة مقارنة بين أفكار العلمين دراز وصديقه مالك بن نبي. ويرى الباحث أنّه من الممكن الاستفادة من هذا البحث وخاصة في الفصل الثالث رغم أنّ هذا الموضوع يختلف عمّا ستتناوله هذه الرسالة من حيثيات كثيرة: منها إبراز منهجية الشيخ محمد عبد الله دراز في فهم النّص القرآني ومقاصده، وإسقاط ذلك المنهج على تفسير بعض الآيات، وكيف يمكن أن نستفيد من أفكاره في حل مشاكل اجتماعية وواقعية.

وهناك بحثٌ آخر بعنوان: "**محمد عبد الله دراز ودوره في خدمة الإسلام**"[٣٦] كتبه الأستاذ الفاضل رائد أحمد غنيم[٣٧]. وقد قسّم الباحث بحثه إلى مقدمة وخمسة فصول مع الخاتمة. وقد

---

٣٥ محمد بن المختار الشنقيطي الموريتاني، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبد الله دراز: حياته وآثاره**، (القاهرة: دار المشرق، ط١، ٢٠١٧م).

٣٦ رائد أحمد غنيم، **محمد عبد الله دراز ودوره في خدمة الإسلام**، (بحث مقدم لجائزة الشيخ يوسف القرضاوي العالمية للدراسات الإسلامية، سنة ٢٠١٣م).

[٣٧] تواصل الباحث مع الأستاذ رائد ووعدني بأن يزودني مشكوراً بنسخة من بحثه، فجزاه الله خير الجزاء.

كان عنوان الفصل الأول: حياة الشيخ محمد عبد الله دراز وآثاره العلمية ومكانته الفكرية. وأما الفصل الثاني فكان عن جهود الشيخ العملية في خدمة الأمة الإسلامية. والفصل الثالث كان بعنوان: معالم الوسطية والتجديد في فكر الشيخ دراز. أما الفصل الرابع فقد وسمه بـ: إسهامات الشيخ دراز العلمية في مجالات: علوم القرآن، السنة النبوية الشريفة، علم التاريخ. والمدقق يجد أن هناك اختلاف في بحثي هذا عن بحث الأستاذ رائد، لأنه لم يتكلم عن منهجية الشيخ في التعامل مع القرآن الحكيم وتطبيقاتها في تقديم حلول لبعض المشاكل الاجتماعية المعاصرة.

ومن الدراسات السابقة حول دراز رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بعنوان: "**الدكتور محمد عبد الله دراز وجهوده في الدعوة**"[٣٨] لطامي بن هديف البقمي. احتوت هذه الرسالة على خمسة فصول وخاتمة، الفصل الأول تكلم فيه الباحث عن أصالة النزعة الدينية مصطلحاتها ومنطلقاتها، والفصل الثاني: الإسلام هو الدين الحق، وفيه تناول تعريف القرآن ومصدره والإعجاز فيه، الفصل الثالث: العقيدة والشريعة في الإسلام، حيث تحدث الباحث عن جذور عقيدة التوحيد وتطورها، الفصل الرابع: الجانب الأخلاقي في القرآن، واحتوى هذا الفصل مباحث تتحدث عن الجانب النظري والعملي والتطبيقي، وأما الفصل الخامس فقد كان عن الجانب الاجتماعي في الإسلام، ودخل فيه مباحث تتناول قضايا تشريف الله للإنسان في هذا الوجود وقضية الرق وكيف علاجها. والفرق بين هذا البحث ورسالتي بيّنٌ ظاهر، حيثُ إنّ هذا البحث يسير وفق رؤية علمية يتم فيها استقصاء منهجيّة الشيخ محمد عبد الله دراز في فهم النّص القرآني وتفسيره ومن ثم تطبيقاتها على بعض القضايا الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة.

ومن الدراسة التي قدمت حول بعض أفكار دراز مقالة جاءتْ بعنوان: "**أطروحة محمد عبدالله دراز في البرهان على مصدر القرآن**"[٣٩] ذكر المؤلف أنّ الدراسات التي أتتْ حول تحديد مصدر القرآن الكريم قديماً وحديثاً تجد أنّها تدخل تحت قسمين رئيسيين، الأول: دراسات إسلامية تُصرّح بأن القرآن كلام الله. والثّاني: دراسات استشراقية تُحاول أن تُثبت بشرية القرآن

---

٣٨ طامي بن هديف البقمي، الدكتور **محمد عبدالله دراز وجهوده في الدعوة**، (رسالة الماجستير، الرياض: جامعة الإمام بن سعود الإسلامية،كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة، ١٩٨٧م).

٣٩ شيخنا محمد عمو، "**أطروحة محمد عبدالله دراز في البرهان على مصدر القرآن**". انظر: <https://islamonline.net/٢٩٩٠١>. آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٠١٩/ ٠٥/ ١٩.

الكريم. هذا ويبدو جلّياً أنّ معظم الدراسات التي قُدمتْ لم تركز أهمية الاعتماد على البرهان التاريخي العقلي للبحث في مصدر القرآن الكريم، إلى أن ظهرت دراسات جديدة تُحاول أن تبحث في مصدر القرآن الكريم من خلال الاعتماد على البرهان العقلي التاريخي، ولعل من أشهر الذين قاموا بذلك منهم محمد عبدالله دراز، ثم لخص المؤلف ثلاثة احتمالات رئيسية لا يمكن أن يخرج عنها البحث في مصدر القرآن الكريم على أي قسم كان، وبعد ذلك ذكر منهج دراز الخاص في كتابه "النّبأ العظيم ...نظرات جديدة في القرآن" وهدف الكتاب. ومن هنا يرى الباحث أنّه يمكن أن يسفيد في هذه النقطة الأخير- أعني منهج دراز- ويوسع المسار فيه علماً أنّ المؤلف ذكره عرضاً باختصار شديد، أمّا ما سوى ذلك من المقال فليس له تدخل بموضوع بحثي.

وهناك مقالة مدروسة ومنشورة حول محمد عبدالله دراز لكاتب عبدالرحمن حللي بموضوع: **"دستور الأخلاق في القرآن.. بمناسبة مرور نصف قرن على رحيل العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز"**[٤٠] حاول الكاتب التعريف بكتاب: " دستور الأخلاق في القرآن / دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" وإبراز شخصية دراز المميّزة فيه مع مكانته العلمية الموضوعيّة. تحتوي هذه المقالة على نقاط رئيسيّة كالتّالي: الأول: نقد دراز الدّراسات السابقة حول المبادئ الأخلاقية من القرآن، الثاني: منهج الدراسة، ذكر الكاتب مختصراً دون تطبيق وتمثيل من منهجية التي سلك دراز في بثّ أفكاره في كتابه دستور الأخلاق... فيرى الباحث ضرورة توسعة الدائرة حول منهجية دراز وإلقاء الضوء حتى يكون القارئ على دراية في ذلك وهذه المهمة سيقوم بها الباحث. الثّالث: الأخلاق العلميّة. الرابع: الإلزام. الخامس: المسؤولية. السادس: الجزاء. السابع: الجهد. ثم الخاتم. هذه المقالة لها أهمية كبرى في توضيح بعض أفكار دراز ولذلك لها إرتباط جزئيّة ببحث الذي نحن بصدد تقديمه إلى القارئ ومن الممكن أن يستفاد منها غير أنّ البحثين فرق شاسع من ناحية العنوان والمحتويات.

---

[٤٠] عبد الرحمن حللي، **"دستور الأخلاق في القرآن.. بمناسبة مرور نصف قرن على رحيل العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز"** (مقالة علمية مفيدة منشورة تحت موقع ببليو إسلام، ٢٠٠٨م/ ٠٥/ ٢٨). انظر: http://almultaka.org/site.php?id=٥٩٦&idC=٦&idSC=١٩>. آخر تعديل الموقع ٢٠١٧م /١٠/ ١٤.

ومن الدراسات السابقة ورقة بحثية علمية منشورة تحت عنوان: **"محمد عبدالله دراز: عاشق القرآن الكريم"**[٤١] كاتبه د: محمد المختار الشنقيطي، تكلم عن حياة دراز، وعلاقته العرقية بالمغرب العربي، وعن نفسية دراز الأبيّة، وفكره التّركيبي، وتعلقه بالقرآن مع عشقه له، ثم ذكر منهجه الوسطي، وتجديداته القرآنية وغيرها. هذا البحث خلاصة مفيدة جدا فيرى الباحث يمكن الإستفادة منه من جانب تعلق دراز بالقرآن ومساهماته العلمية.

وهناك بعض الدّراسات السّابقة التي دُرستْ لبيان مناهج بعض المفسرين في القرآن نقتصر بذكر بعضها منها:

كتاب ألّفه الدكتور مصطفى الصّاوى الجويني بعنوان: **"منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه"**[٤٢] وهو مدرس بجامعة عين شمس (كلية البنات)، ويحتوي في هذا الكتاب إلى أربعة أبواب وفصول تندرج تحت كل باب، في الباب الأول: نشأة الزمخشري ورحلاته مع نشاطه العلمي، في الباب الثاني: مدرسة المعتزلة ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن، في الباب الثالث: قضية الإعجاز ومنهج الزمخشري في بحث الإعجاز القرآني، وفي الباب الرّابع: آثاره الكشاف من نشاط فكري وخاتمة. لقد اجتهد الكاتب في توضيح منهج الزمخشري في تفسيره غير أنّ بحثه يختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

ومن الدّراسات السّابقة: رسالة الماجستير قدمت من الجامعة الإسلامية– غزة، الدراسات العليا بكلية أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن بعنوان: **"منهج الإمام الشوكاني في عرض القراءات في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية"**[٤٣] لإعداد الباحث: عبد الباسط محمد الأسطل. وقسم هذا البحث إلى تمهيد، وفصول، ويدخل تحتها مباحث ومطالب، وغاية ما في الفصل الأول: أنّ الباحث تكلم عن حياة الإمام الشوكاني الشخصية، والعلمية، وعقيدته،

---

٤١ محمد المختار الشنقيطي، **"محمد عبدالله دراز: عاشق القرآن الكريم" (مقالة منشورة: مجموعة الإحياء والتجديد: ٢٠١٧م/ ١٤ أغسطس).** **انظر صفحة فسبوك:** <https://www.facebook.com/tajdeedgroup/posts/٨٣٧٥٤٨٢٨٦٤٠٣٦٢٠>.

٤٢ مصطفى الصّاوى الجويني، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**، (مصر: دار المعارف، ط٢، د.ت).

٤٣ عبدالباسط محمد الأسطل، **منهج الإمام الشوكاني في عرض القراءات في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية**، (رسالة الماجستير، غزة: جامعة الإسلامية، كلية أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، ٢٠٠٨م– ١٤٢٩هـ).

والمذهب الذي ينتمي إليه. وفي الفصل الثاني: ذكر القراءات التي عرضها الشوكاني في تفسيره وأنواعها. وفي الفصل الثالث: وضّح فيه منهج الشّوكاني في توجيه القراءات وأقسامه؛ من جانب المأثور واللّغة باعتبار أنّها مدخل إلى العلوم كلّها، وتوجيه القراءات بالرّسم العثماني، وأحكام التّلاوة، ولبيان الأحكام الفقهية ومسائل العقيدة. وفي الفصل الرابع: منهج الشّوكاني في التّرجيح والاختيار، وعرض آراء العلماء في التّرجيح وإظهار منهج الشوكاني في اختيار القراءات وترجيحه فيها مع الحكم عليها. وفي الفصل الخامس: القراءات في الميزان عند الشّوكاني مع ماله وما عليه من المآخذ. والفرق بين البحثين بيّن؛ هذا يختصر في ابراز منهج الشّوكاني في القراءات والبحث سيقدم الباحث: إعطاء القرّاء منهج دراز في فهم النّص القرآني وتطبيقه.

ومن الدراسات السابقة: كتاب "**أسس التعامل مع القرآن الكريم**" للأستاذ الدكتور وصفي عاشور أبو زيد[٤٤]، حيث تعرض المؤلف إلى أساسات ثمانٍ إلى التعامل مع القرآن، وهي: معرفة قيمة القرآن الكريم، ثم معرفة مقاصد القرآن الكريم، ثم معرفة الله والقرب منه، ثم التلاوة الصحيحة، ثم الحفظ، ثم الفهم، ثم العمل والتطبيق، ثم التبليغ. وذكر أن الأمة المسلمة لن تعود لمجدها ولعزها إلا إذا عادت للقرآن عوداً حميداً. والكتاب في مجمله في قيمة بالغة، لكنه لم يتطرق أبداً إلى الحديث عن الأستاذ محمد عبد الله دراز في تعامله مع القرآن، وهذا ما سيقوم به هذا البحث.

ومن الدراسات السابقة ما كتبه الأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال الأطرش في كتابه: "**مدخل إلى دراسة وجوه الإعجاز القرآني**"، حيث خصص الحديث عن الشيخ محمد عبد الله دراز في مبحث: العلماء المعاصرون الذين تحدثوا عن إعجاز القرآن، وذكر أن الشيخ دراز تكلم عن ثلاثة وجوه للإعجاز القرآني، هي: الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، ثم الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي، وكان قصده: الحديث عن الإعجاز التشريعي، ولكن الباحث ركز على الإعجاز اللغوي، لأنه في نظره هو الوجه الذي وقع فيه التحدي من ناحيتين: الناحية الأولى: الجمال التوقيعي المتخصص في حركات الحروف، والناحية الثانية، الجمال التنسيقي في رصف حروف الكلمات حتى تظهر كلها حروف متوافقة متآلفة بعيدة عن التضاد. لكن

[٤٤] وصفي عاشور أبو زيد، **أسس التعامل مع القرآن الكريم**، (الكويت: د.ن، د.ط، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

الأستاذ المؤلف لم يركز على منهج الشيخ محمد دروزة في تعامله مع القرآن الحكيم وهو ما يقوم به هذا البحث.

ومن الدراسات السابقة ما كتبه الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، "مفاتيح للتعامل مع القرآن[٤٥]، حيث تحدث عن حديث القرآن عن القرآن، وكيف وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وكيف قال أهل القرآن عن القرآن، وكيف نتأدب بآداب القرآن حين نتلوه، ثم جاء بنظرية خاصة لتدبر القرآن والحياة به. وفي فصل آخر تكلم الأستاذ الجليل عن الخطوات التي يمكن لقارئه أن يستخدمها لفهم القرآن والتعامل معه، بدءاً من النظرة الكلية الشاملة للقرآن، وفهم أهدافه الأساسية وإدراك مهمة القرآن الحركية، وحذر من الإسرائيليات وعدم فهم المبهم القرآني. ولكن الأستاذ لم يتطرق إلى جهود الأستاذ محمد عبد الله دراز في التعامل مع القرآن.

بعد استعراض الدراسات السابقة التي تيسر للباحث الوقوف عليها تبيّن من خلالها أنّ هناك قصوراً في الدّراسات المتعلّقة باظهار منهج الشّيخ محمد عبد الله دراز في التّعامل مع القرآن دراسة مستوعبةً وبالتّالي يتجلّى عنوان هذا البحث لسدّ هذا الفراغ ومحالة إكمال هذا القصور إن شاء الله تعالى. وهذا ما جعل هذا البحث يتميز عن الدراسات السابقة بهذه النقاط المختصرة:

١. لم نجد حسب علم الباحث القاصر دراسة مستقلة توضّح منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التفسير القرآني على الرغم أنه كان فارساً من فرسانه. ولهذا فإنّ هذا البحث يسعى لكشف معالم تلكم المنهجية التي فاتت كثيراً من الباحثين.
٢. يتميّز هذا البحث عن الدّراسات السابقة؛ في أنه يكشف منهجية الشيخ دراز في التفسير الموضوعي من خلال الاعتماد على السياق التاريخي والذي يقدم فيه مقارنات بين القرآن وبين التوراة والإنجيل وما قاله العلماء والمفكرون الغرب عن بعض القضايا القرآنية.

[٤٥] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، (بيروت: دار القلم، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. من هو الشيخ محمد عبد الله دراز وما مكانته العلمية؟

٢. ما القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني.؟

٣. ما دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز؟.

٤. كيف وظّف الشيخ السياق الاجتماعي القرآني في فهم مقاصد بعض القضايا الإنسانية؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. التّعريف بالشّيخ محمّد عبدالله درّاز ومكانته العلمية.

٢. إظهار القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني.

٣. بيان دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز.

٤. استيعاب كيفية توظيف الشيخ دراز للسياق الاجتماعي القرآني في فهم بعض القضايا الإنسانية.

حدود البحث

تحدد هذا البحث في دراسة منهج الشيخ دراز في التعامل مع القرآن الكريم وتفسيره وعلومه من خلال كتب الشيخ محمد عبد الله دراز: (دستور الأخلاق في القرآن) و (النّبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن)، و (مدخل إلى القرآن الكريم).

أسباب اختيار الموضوع

من أسباب اختيار هذا العنوان الأمور الآتية:

١. إبراز مقدرة وبراعة الشيخ دراز في تفسير القرآن وعلومه.

٢. إظهار ما تميّزت به كتب الشيخ دراز في مجال علوم القرآن وتفسيره رغم أنها لم تحظ اهتمامًا بالغًا من الدارسين والمتخصصين في الدراسات القرآنية لكشف الغطاء عن منهجيتها وتطبيقها.

٣. تعريف طلبة الدراسات الإسلامية عمومًا وعلى وجه الخصوص طلبة قسم دراسات القرآن والسنة بأهمية كتب الشيخ دراز في مجال القضايا القرآنية وأنها في الحقيقة تمثل مدرسة قرآنية خاصة لما تملكه من نظريات عميقة.

٤. تقصير الجامعات الإسلامية في إدماج كتب الشيخ دراز ضمن المقررات وخاصة كتابه (دستور الأخلاق في القرآن) رغم احتوائها على كثير من الحلول في مجال التربية والأخلاق.

٥. اعتماد الشيخ دراز على منهجية وسطية علمية متكاملة وذلك ظاهر في كتب الشيخ دراز مما جعلني أختار هذا العنوان راجياً من الله أن أستفيد وأفيد إن شاء الله.

منهج البحث

سيتبع الباحث بإذن الله في كتابة رسالته المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي**: وذلك من أجل جمع المواد العلمية المتعلقة المنثورة في كتب الشيخ دراز: دستور الأخلاق في القرآن، والنّبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، ومدخل إلى القرآن الكريم. كما أن الطالب سوف يستقرئ كل ما يتعلق بالموضوع من الكتب القديمة والمعاصرة لتقديم رؤية شبه متكاملة على منهجية الشيخ دراز لفهم النّص القرآني.

٢. **المنهج التحليلي**: سيقوم الباحث بدراسة مكتبيّة تحليليّة نظريّة ومناقشة المعلومات التي تم جمعها للوصول إلى منهجية كاملة للشيخ دراز في كيفية تناوله النص القرآني مع معرفة مصداقيتها مقارنة بما قدمه علماؤنا المفسرون الأوائل.

طرق وقواعد جمع المواد العلمية وتحليلها:

جدول (١): طرق وقواعد جمع المواد العلمية وتحليلها:

أسئلة البحث	أهداف البحث	منهج البحث	طرق جمع المواد	طرق تحليل المواد	الفصول
١. من هو الشيخ محمد عبد الله دراز وما مكانته العلمية؟	١. التّعريف بالشيخ محمد عبد الله دراز وبيان مكانته العلمية.	المنهج الاستقرائي	الكتب المتخصصة بالموضوع	عن طريق الاستقراء لجمع الأقوال وجمع البيانات	الفصل الثاني
٢. ما القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني.؟	٢. إظهار القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني.	المنهج الاستقرائي والتحليلي	الكتب التفاسير القديمة والمعاصرة	باستخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي العلمي لجمع المعلومات	الفصل الثالث
٣. ما دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز.؟	٣. بيان دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز.	المنهج التحليلي	المقالات ذات الصّلة بالموضوع	باستخدام المنهج التحليلي لاستقصاء منهج الشيخ محمد عبدالله دراز	الفصل الثالث
٤. كيف وظّف الشيخ السياق الاجتماعي القرآني في فهم مقاصد بعض القضايا الإنسانية؟	٤. استيعاب كيفية توظيف الشيخ دراز للسياق الاجتماعي القرآني في فهم بعض القضايا الإنسانية.	المنهج التحليلي	الكتب والرسائل والمقالات والشبكة العنكبوتية	المنهج التحليلي	الفصل الرابع

خطة أعمال الباحث

	الأعمال	سنة (٢٠٢٠)				سنة (٢٠٢١)				سنة (٢٠٢٢)			
	دراسة المواد النظرية												
	اعداد خطة البحث واعتمادها												

	جمع المادة العلمية												
	كتابة الفصل الثاني												
	كتابة الفصل الثالث												
	كتابة الفصل الرابع												
	كتابة النتائج والتوصيات												
	المراجعة والتصحيح												
	التسليم للتحكيم												

هيكل البحث العام

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

مشكلة البحث

أسئلة البحث

أهداف البحث

أهميّة البحث

حدود البحث

منهج البحث

الدّراسات السّابقة

الفصل الثّاني: التّعريف بالشيخ دراز ومكانته العلمية.

المبحث الأول: حياة الشّيخ محمد عبد الله دراز.

المبحث الثاني: مكانته العلميّة.

الفصل الثّالث: القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات

المبحث الثاني القواعد والأحكام التطبيقيّة التي تعين على فهم القرآن وتفسيره في منظور شيخ دراز.

المبحث الثالث: كيفية تعامل الشّيخ دراز مع النّص القرآني

الفصل الرّابع: دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز

المبحث الأول: المقصود بالسياق التاريخي.

المبحث الثّاني: الاستفادة من السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية.

الفصل الخامس: دور السياق الاجتماعي في فهم مقاصد بعض القضايا القرآنية عند الشيخ دراز.

المبحث الأول: مفهوم السياق الاجتماعي

المبحث الثاني: السياق الاجتماعي ومقصد توجيه الأخلاق الفردية: من خلال القرآن.

الخاتمة: نتائج البحث والتّوصيات

المصادر والمراجع

الفصل الثّاني
التّعريف بالشيخ دراز ومكانته العلمية

تمهيد

الشيخ محمد عبد الله دراز كان أحد أبرز علماء الأزهر الشريف في القرن العشرين، حيث وُلد في مصر عام ١٨٩٤م، ونشأ في بيئة علمية ودينية أسهمت في تشكيل شخصيته العلمية والروحية. تلقى دراسته الأولية في الأزهر، حيث أظهر نبوغاً وتفوقاً في العلوم الشرعية واللغوية. وقد تميز الشيخ دراز بأسلوبه الفريد في التدريس والبحث، حيث كان يجمع بين التقليد الأزهري الأصيل والانفتاح على المناهج الحديثة. وقد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس، وهو إنجاز نادر في ذلك الوقت بين علماء الأزهر، مما أضاف إلى مكانته العلمية بعداً دولياً.

قدم الشيخ دراز العديد من المؤلفات والدراسات التي أثرت المكتبة الإسلامية، وكان له دور بارز في مجالات الفقه، التفسير، والفلسفة الإسلامية. ومن أشهر مؤلفاته كتاب "دستور الأخلاق في القرآن" الذي يعد مرجعاً مهماً في الدراسات الأخلاقية الإسلامية. هذا ولم تكن مساهمات الشيخ دراز محدودة بالجانب الأكاديمي فقط، بل كان له دور اجتماعي وثقافي مهم، حيث شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية، وساهم في نشر الفكر الإسلامي الوسطي والمعتدل. وبفضل علمه الواسع وشخصيته المؤثرة، حظي الشيخ محمد عبد الله دراز باحترام وتقدير كبيرين بين زملائه وطلابه، وبقيت أعماله ومساهماته حية في ذاكرة الأجيال اللاحقة، كمثال للعالم المتفاني في خدمة دينه ووطنه.

وعليه، سوف يتناول هذا الفصل عرضًا موجزًا لحياة الشيخ محمد عبدالله دراز، مع التركيز على شخصيته منذ ولادته وحتى وفاته. وسيُسلط الضوء على مختلف جوانب حياته، بما في ذلك نشأته وتعليمه، بالإضافة إلى مسيرته العلمية وتأثيره في مجاله.

الشيخ محمد عبد الله دراز: رحلة علمية وفكرية

يأخذنا هذا الفصل في رحلة عبر حياة الشيخ محمد عبد الله دراز، مُسلطًا الضوء على محطات بارزة من مسيرته العلمية والفكرية. فمنذ نشأته الأولى وحتى وفاته، شكلت حياته نموذجًا للعالم المجتهد الذي كرس فكره وجهده لخدمة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

البداية والتكوين

وُلِد الشيخ دراز في بيئة علمية زاخرة، حيث نشأ في كنف أسرة اهتمت بالعلم والمعرفة. اسمه ونسبه ومكان ميلاده ليست مجرد تفاصيل عابرة، بل تمثل مدخلًا لفهم التربة الثقافية والاجتماعية التي غذت فكره وشخصيته. منذ نعومة أظفاره، ارتبط بالقرآن الكريم، فتشكلت لديه علاقة روحية وفكرية جعلته يسير على درب العلماء، مستضيئًا بأنوار الوحي في رحلته البحثية والتدريسية.

رحلة طلب العلم

لم يكن الشيخ دراز مكتفيًا بالمعرفة التقليدية، بل كان دائم البحث عن أفق أوسع، ما دفعه إلى التنقل بين مراكز العلم المختلفة، باحثًا عن الحكمة حيثما وجدت. درس على أيدي كبار العلماء، وتتلمذ عليه العديد من الطلبة، ليصبح حلقة وصل بين التراث والتجديد. لم تكن دراسته مقتصرة على العلوم الإسلامية فحسب، بل خاض غمار تخصصات متعددة، مما أكسبه رؤية موسوعية.

إسهاماته الفكرية والمكانة العلمية

تميز الشيخ دراز بمنهجية خاصة في قراءة النصوص الإسلامية، حيث أولى اهتمامًا كبيرًا بالسياق التاريخي والاجتماعي للقرآن الكريم، مع التركيز على جوانب الإعجاز المختلفة. لم تكن مقارناته بين القرآن والكتب السماوية الأخرى مجرد استعراض أكاديمي، بل سعى من خلالها إلى إبراز أصالة النص القرآني وتفرده. كما لم يغفل عن تتبع آراء الفلاسفة والمفكرين الغربيين، مقدمًا ردودًا علمية رصينة على شبهاتهم، ما جعله أحد أبرز المدافعين عن الإسلام في العصر الحديث.

إرثه العلمي وتأثيره المستمر

لقد خلف الشيخ دراز إرثًا فكريًا غنيًا من المؤلفات التي شكلت إضافة نوعية للفكر الإسلامي، ولم يكن التأليف لديه مجرد عمل علمي، بل كان استجابة لحاجة معرفية ملحة، نابعة من وعيه العميق بقضايا العصر. من خلال مدرسته القرآنية، ساهم في تأهيل أجيال من الباحثين، ما جعل تأثيره ممتدًا إلى ما بعد حياته. ولم يكن العلماء والمفكرون إلا شاهدين على هذه المكانة العلمية، حيث حفلت كتبهم ومقالاتهم بثنائهم عليه وتقديرهم لجهوده.

ختام الرحلة

لم تكن وفاة الشيخ دراز نهاية لفكره، بل كانت محطة يستمر منها أثره العلمي في العالم الإسلامي. فهو لم يكن مجرد عالم تقليدي، بل كان صاحب رؤية تجديدية جعلت منه شخصية فريدة تستحق الدراسة والتأمل. ومن هنا، فإن تناول سيرته ليس مجرد استذكار للماضي، بل هو فهم لدوره في تشكيل الفكر الإسلامي الحديث، واستلهام لعطائه الذي لا يزال ينبض بالحياة.

وتفصيل الحديث عن هذا الفصل يأتي من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: حياة الشّيخ محمّد عبدالله درّاز

تمهيد

يعتقد الكثيرون عمومًا أن مبدأ حياة الإنسان يتمثل في ربط الأسباب بالنتائج، والذي يُعرف بالعلاقة السببية، ويتحقق هذا المبدأ من خلال السعي وجهود الوالدين، وتتمثل ثماره في وجود هذا الإنسان بفضل قانون سماوي يُتبعه الأبوين في أسرة متربية، حيث يولد ويبدأ الحياة تحت رعايتهما على الأصعدة العقلية والروحية والجسمية. ومن جهة أخرى، ينمو ويتعلم الإنسان المعرفة والفكر نتيجة جهود المربين ورعايتهم له، وتمتد حياته من وقت ولادته حتى وفاته، متخذًا من الكسب والطلب والحركة والجهد جزءًا أساسيًا منها. وتنطلق حياته برعاية الوالدين له من الناحية العقلية والروحية والجسدية؛ ومن خلال هذه الرعاية يكتسب الطفل العلم والمعرفة والفكر نتيجة لجهود المربين واهتمامهم به. هذا، وسنتكلم في هذا المبحث عن ثلاثة مطالب مروراً في

المطلب الأول إلى اسم الشيخ ومولده ونسبه، ونشأته، وفي المطلب الثّاني: نتعرف إلى كيف كانت حياته مع القرآن. المطلب الثّالث: تنقلاته العلميّة والتّعليميّة. المطلب الرّابع: شيوخه وتلاميذه. المطلب الخامس: اقتباسات عما قال فيه العلماء. والمطلب السّابع الأخير في هذا المبحث: وفاتُه.

المطلب الأول: اسمه ومولده، نسبه ونشأته

من المعلوم أن الأسماء قد وضعت لتمييز الأشياء بعضها عن بعض، وعادةً ما يؤثر اسم الشخص في سلوكه وتفاعلاته، ولذلك كان النبي ﷺ يغيّر أسماء بعض أصحابه إلى أسماء جميلة وحسنة وتحتوي على عنصر المودة والمحبة[1]. ولهذا، يعتبر معرفة النسب أمرًا مهمًا في الثقافة العربية، حيث تنبثق منه صلات الرحم، والحفاظ على النسب. لذا، نرغب في معرفة مكان ولادة الشيخ محمد عبدالله دراز، ونسبه، ونتطلع أيضًا إلى فهم حياته بشكل أفضل.

الأول: اسمه

هو الشّيخ الدكتور محمّد عبدالله بن محمّد بن حسنين دراز[2] رحمه الله كان من العلماء الربانيين المتصلين بالله عز وجل، ورغم أنه لم يكن معروفًا بانتسابه إلى أحد الطرق الصوفية بشكل بارز، كما في حال بعض العلماء مثل الشيخ عبد الحليم محمود، إلا أن تلميذه الدكتور يوسف

---

[1] انظر: في حديث هَانِئُ بْنُ يَزِيدَ بن نهيك بن دريد أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ، فَسَمِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تَكَنَّيْتَ بِأَبِي الْحَكَمِ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا» ، ثُمَّ قَالَ: «مَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قُلْتُ: لِي شُرَيْحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَمُسْلِمٌ، بَنُو هَانِئٍ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» ، وَدَعَا لَهُ وَوَلَدِهِ. وفي غير هذا الحديث من أحاديث أخرى تفيد تجويز تغيير الاسم وخاصة إذا كان معناه ليس جيداً وهذا دليل على أنّ هذا الدين دين الرحمة للبشرية وحتى في اختياره للأسماء ينظر إلى أحسن المعاني وأجمل للمسمى. ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩)، باب: كنية أبي حكم، ص٢٨٢.

[2] انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: حياته وآثاره**، (القاهرة: دار المشرق، ط١، ٢٠١٧م)، ص٢٠.

القرضاوي نقل عنه أنه كان يقرأ القرآن بتفانٍ وقوة، وكان دائمًا يحرص على قضاء وقته في ذكر الله وفعل الخيرات.[٣]

وهو عالم فيلسوف مالكيّ المذهب له مشاركة تامّة في التفسير والحديث[٤] يحب الوسطية، وتتجلى وسطيته في تعامله مع عدد من المبادئ والقواعد، مثل: العقل والنقل، السنة والبدعة، الجبر والاختيار، السلم والحرب، العلم والدين، الخلق والقانون، وغيرها. كما يتميز الشيخ محمد عبدالله دراز برؤيته أنّ الفارق بين الخير والشر يكمن في إلهام داخلي ثابت في النفس الإنسانية قبل النظر إلى الشريعة السماوية. ومع ذلك، يرى أن الشريعة الإلهية تكمل الشريعة الأخلاقية الفطرية، وتعتبر هذه التكملة ضرورية للفطرة الإنسانية التي قد تتأثر بشوائب تحجب الحق والخير.[٥] من جهة أخرى، نجد أنه عالم يحب العدل، كيف لا وهو المفسر الدقيق، الذي جمع بين الحسنيين؛ الفكر الإسلامي وتراثه، وبين الفكر الغربي وفلسفته؛ وقد خدم القرآن الكريم كركيزة أساسية في جميع أعماله وكتاباته، وأظهر ذلك في مساهماته الكبيرة للأمة في مجال العلوم الإسلامية، وخاصة في تفسير القرآن؛ حيث صرح أن من بين أهدافه الرئيسة في تأليفه في مجال القرآن الكريم، إبرازه الطابع العام للأخلاق العامة التي تنبع كلها من كتاب الله الحكيم، وقام بتحقيق ذلك من الناحيتين النظرية والعملية.[٦]

الثاني: مولده

ولد الشيخ محمد عبدالله دراز –رحمه الله– سنة ١٣١٢هـ، في اليوم الثامن من شهر نوفمبر عام ١٨٩٤م، في قرية تُدعى "محلة دياي" بدسوق، والتي تقع في محافظة كفر الشيخ بدولة مصر،

---

[٣] انظر: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، (القاهرة: درا القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٢٣.

[٤] انظر: جلال محمد حمادة، **تراجم أعيان الأسرة العلميّة في مصر خلال القرن الرابع عشر الهجري**، (عمان: دار الفتح للدراسات والنّشر، د.ط، د.ت)، ص٢٤٧.

[٥] انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين**، (بيروت: دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦م)، ص٢٧– ٢٨.

[٦] انظر: دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص ي. وانظر: الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: وآثاره**، ص٢١.

وكانت هذه بداية حياة الشيخ في بيئة تتسم بالعلم والدين والأخلاق النبيلة [٧]. وقد ولد الشيخ محمد عبدالله دراز في بيت ملؤه العلم والتدين، والأخلاق الحسنة، حيث كانت عينه تُفتح منذ الصغر على أصحاب أبيه، الذين كانوا يأتون إلى منزله كل ليلة لدراسة كتب العلم، خاصة في مجالات الإصلاح الديني. وقد كان والده من الآباء الذين يشعرون بالمسؤولية تجاه أسرتهم، فكان يهتم بمنزله بأدب التقوى، وكان يؤدي صلاتي العشاء والفجر، ويقرأ لأهله من صحيح الإمام البخاري في ليالي رمضان. كما كان يسعى جاهدًا لتثقيف أولاده، وتعويدهم على ممارسة سنن الخير، بما في ذلك الصلاة والصيام والزكاة، مع التأكيد على الأخلاق النبيلة، والابتعاد عن زخرف الحياة الدنيا، والأمور التافهة، مظهرًا حبهم للمعروف، والاهتمام بالأمور العليا، والتفرغ لأمور الآخرة[٨]؛ ويمكن القول، إن الشّيخ عبدالله دراز كان أباً مثاليّاً، ناجحاً في تربية أبنائه وتعليمهم فجزاه الله عن الأمة خيراً.

---

[٧] انظر: محمّد عبدالله دراز، **النّبأ العظيم نظرات**: جديدة في القرآن، تحقيق: عبدالحميد الدّخاخني، (بيروت: دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٦. و(كفر الشيخ): هي محافظة تقع في أقصى شمال مصر سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ طلحة أبى سعيد التلمسانى المغربى الشاذلى صاحب الضريح المقام المعروف بمدينة كفرالشيخ الذى قدم إليها من المغرب سنة ٦٠٠ هجرية وكانت قرية تسمي (دنقيون) ثم عرفت بعد ذلك بكفر الشيخ طلحة. وفي العربية معنى: كلمة كفّر تعني: القَرْيَةُ. "ولهذا قالوا: كَفْرُ ثُوثا، وَكَفْرُ تِعْقابٍ وغير ذلك. وتطلق كفر على القرية الصغيرة الدائرية. وعند ما أتى الشيخ طلحة إليها قادماً من بلاد المغرب. واستقر في القرية الصغيرة التي كانت تدعى آنذاك دنيقون كما سبق الإشارة إليها سنة ٦٠٠ هـ. والذي عاش بها ٣١ سنة وعندما توفي سنة ٦٣١ هـ دفن بها. ولاعتقاد سكان تلك المنطقة "بركته" بني له أهل تلك القرية الصغيرة "ضريح" ومنذ ذلك الوقت، أشتهرت قرية دنيقون بكفرالشيخ طلحة. و(محلة دياي)،: قرية رئيسية تابعة لمركز دسوق التابع لمحافظة كفر الشيخ، هذا ويقع مركز دسوق في جنوب غرب محافظة كفر الشيخ، ويعتبر المركز نقطة التقاء بين محافظات كفر الشيخ والغربية والبحيرة والإسكندرية، لذلك فهو مركز يعتمد في اقتصاده على الزراعة والتجارة والسياحة بشكل أساسي. وانظر: هذا الرابط (https://ar.wikipedia.org/wiki/). محافظة -كفر- الشيخ. يوم الثلاء/ ٢٠٢٢م/ ١/٢٥.

[٨] انظر: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، (القاهرة: درا القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٣٧.

الثّالث: نسبه رحمه الله

ينتسب الشّيخ محمد عبدالله دراز إلى أسرة علميّة عريقة كان لها نشاطٌ علميٌّ وتربويٌّ ظاهرٌ بارز، فوالده الشيخ عبد الله دراز[٩] كان هو العالم اللّغوي الفقيه الأصولي وهو من كبار علماء الأزهر، المشار إلى تضلّعهم العلمي والمشهود لهم بالعلم الواسع والصلاح الخلقي، وهو شارح كتاب الموافقات (أربعة أجزاء)[١٠] –للإمام الشّاطبي–[١١] وكتاب «تاريخ عمارة المسجد العُميريّ بمحلة دياي» مخطوط بخط يد الشّيخ محمّد إبراهيم عمار، و «تاريخ آداب العرب» و «مراتب الأحكام أو منازل الأحكام».[١٢] هذا وجدّه الأول: هو الشيخ محمد وجدّه الثّاني هو الشيخ حسنين دراز.

هذا وقد كانت أسرته يدرّسونه اللّغة العربية، والعلوم الإسلامية بالمسجد العمريّ في بلدة دياي، والتي كان يؤمّها طلاب العلم من البلدة وما جاورها، يتلقّون العلوم بطريقةٍ منظمة مرتّبة، وفق سُلّم تعليميّ متدرّج بحسب مستويات الطلاب، وكان يُتاح لهم استعارة الكتب العلميّة التي أوقفها الجدُّ الشيخ حسنين على أولاده وذريّته[١٣].

وقيل أنّ نسبه يعود إلى المغرب العربي، وله قرابة عقلية خاصة معهم، فربما لأجل تعلق أجداد الشيخ محمد عبدالله دراز بعلماء المغرب، وتقليدهم للمذهب المالكية مما جعل البعض يظنون أنّ أسرته لها نزع وأصول عرقية مع المغرب العربي. وإضافة إلى ذلك، فقد شرح الشيخ

---

[٩] الشّيخ عبدالله دراز ولد في ثلاث وعشرين من شهر ذي القعدة ١٢٩٠هـ الموافق اليوم الثّاني عشر من شهر يناير ١٨٧٤م. وكان من طبقة العلماء الأصوليين وتوفي رحمه الله في ليلة الخميس ١٥ من شهر صفر ١٣٥١هـ/١٩٣٢م. منقول من هامش: ينظر: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

[١٠] انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: وآثاره**، ص٢١. وانظر: **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص٢٤٢.

[١١] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الذي اشتهر بالشّاطبي، وكنيته أبو إسحاق محدث وفقيه أصولي، لغوي ومفسر، المتوفى سنة ٧٩٠ هـ (تسعين وسبعمائة من الهجرة) ١٣٨٨م في شهر شعبان. صاحب التّأليف الدقيق وله مؤلفات كثيرة منها: عنوان التّعريف بأسرار التّكليف في الأصول شرح على الخلاصة في النحو في أسفار أربعة كبار، الموافقات في أصول الأحكام، عنوان الاتفاق في العلم الاشتقاق، والاعتصام. انظر: عمر رضا كحالة، **معجمُ المؤلفين تراجم مُصنّفي الكتب العربيّة**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، د. ن)، ج١، ص٧٧.

[١٢] انظر: جلال محمد حمادة، **تراجم أعيان الأسرة العلميّة في مصر خلال القرن الرابع عشر الهجري**، ص٢٤٦.

[١٣] انظر: هذا الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/ عبدالله دراز. يوم الجمعة/ ٢٠٢٢م/ ١١/٢.

عبدالله دراز كتاب الموافقات لفقيه الأندلس أبي إسحاق الشاطبي، وحقق دراز الابن الكتاب، ثم كتب دراسة عن كتاب الاعتصام للشاطبي أيضاً، وحاول بعد ذلك توليد أفكار الاعتصام وتجديدها في كتابه (**الميزان بين السنة والبدعة**) الذي وافته المنية قبل إكماله، رحمه الله تعالى[١٤]. ومع هذه النقولات، إلا أنه لا يوجد نقلاً صحيحاً حسب علمي يثبت انتساب أسرة الشيخ إلى المغرب العربي.

رابعاً: نشأته

ترعرع الشـــيخ محمد عبد الله دراز في نشـــأة ربانية، إذ نشـــأ في أســـرة تتميز بالدين والعلم والأخلاق. قضى حياته في خدمة العلم والتعلم، وكان من الموفقين بفضل عناية الله تعالى منذ صباه. تربى في كنف والده، الشيخ عبد الله دراز، الذي اعتنى بتعليمه تربية راقية، حيث كرّس جهده لتعليم ابنه تعليماً دقيقاً. كما أنه حفظ الشـيخ محمد عبد الله دراز القرآن الكريم كاملاً وهو في العاشرة من عمره، ثم تلقى مبادئ العلوم الإسلامية.

والتحق بالمعهد الديني الأزهري في مدينة الإسكندرية عام ١٩٠٥م، والذي كان يديره والده بناءً على توجيهات محمد عبده بالإشراف على تأسيسه؛ حيث درس الشيخ محمد دراز في المعهد حتى نال الشهادة الابتدائية في عام ١٩٠٨م واستظهر بعض المتون العلمية الشهيرة في ذلك الوقت. كما أظهر نبوغه منذ صـــغره، حيث كان متقدماً في امتحاناته الســـنوية، وحصل على الشهادة الثانوية من المسجد الجامع الأحمدي في طنطا عام ١٩١٢م.

عاد إلى المعهد الأزهري بالإسـكندرية مع والده، وحصـل منه على شـهادة العالمية في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م. ثم بعدها عُين مدرسًا، وهو لا يزال في أوائل العشرينيات من عمره، حيث كان الأول في ترتيب الامتحان. ولم تمنعه أعباء التدريس من تعلم اللغة الفرنســـية في المدارس الليلية، وأتقنها في ثلاث سـنوات، وكان من أوائل الناجحين في شـهادة القسـم العالي منها.[١٥]

---

[١٤] انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين**، ص ٢٢-٢٣.

[١٥] انظر: محمد رجب البيّومي، **النّهضة الإسلاميّة في سير أعلامها المعاصرين**، ص٢٤٢. وانظر: محمد عبدالله دراز، **نخبة الأزهار وروضة الأفكار**، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصار، (القاهرة: د،ن. د،ط. د،ت). ص٨.

لم يكن تعلمه للغة الفرنسية حباً في المظاهر، بل كان استعداداً لاستخدامها في خدمة قضايا بلاده ودينه، وقد ظهر ذلك خلال ثورة ١٩١٩م، حيث كان يطوف مع الشباب على السفارات الأجنبية لعرض قضية بلاده، ويدافع عن الإسلام ضد المهاجمين في جريدة "الطان" الفرنسية[١٦].

خلاصة المطلب الأول

هناك خمس نقاط رئيسة استنبطت من هذا المطلب:

١. نشأة علمية ودينية: نشأ الشيخ محمد عبد الله دراز في أسرة ذات علم وخلق، حيث تلقى تربية ربانية على يد والده، الشيخ عبد الله دراز، الذي كان له دور بارز في تعليمه وتربيته.

٢. تفوق دراسي مبكر: حفظ القرآن الكريم كاملاً في سن العاشرة، والتحق بالمعهد الديني الأزهري بالإسكندرية، حيث نال الشهادات الابتدائية والثانوية والعالمية بتفوق.

٣. مهنة التدريس والتعلم: عُين مدرساً في الأزهر الشريف في أوائل العشرينيات من عمره، وواصل تعليمه للغة الفرنسية، التي أجادها في ثلاث سنوات واستفاد منها في خدمة قضايا بلاده.

٤. دور فعال خلال الثورة: شارك بنشاط في الدفاع عن قضايا بلاده وإسلامه خلال ثورة ١٩١٩م، وقدم عرضاً لقضايا بلاده على السفارات الأجنبية وكتب في جريدة "الطان" الفرنسية للدفاع عن الإسلام.

٥. فكر وسطي وجمع بين التراث والفكر الغربي: كان الشيخ محمد عبد الله دراز عالماً ربانياً، اتسم بالوسطية في فكره، وجمع بين التراث الإسلامي والفكر الغربي، وركز على تعليم القرآن وتفسيره.

---

[١٦] انظر: المرجع نفسه، ص٣. وانظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: حياته وآثاره**، ص٢٢.

المطلب الثّاني: حياة الشيخ دراز مع القرآن الكريم.

تمهيد

الشيخ محمد عبد الله دراز كان من العلماء الذين ارتبطت حياتهم ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، فكان القرآن محور دراسته وفكره. نشأ في بيئة علمية ودينية، حيث تلقى تعليمه الأولي في الأزهر الشريف، مما أسهم في تكوين خلفيته القرآنية المتينة. عُرف بتدبره العميق للآيات، وسعيه لفهم معانيها وتفسيرها في ضوء العقل والنقل. اهتم بدراسة القرآن ليس فقط ككتاب ديني، بل كدستور شامل للحياة، وقد سعى إلى إبراز جوانب الإعجاز فيه، سواء من الناحية اللغوية أو التشريعية أو الأخلاقية، كما كانت له إسهامات بارزة في تفسير القرآن وتعليم علومه، وشهدت كتاباته ومحاضراته على مكانة القرآن في حياته كمرجع أساسي لكل مناحي الفكر والعلم.

من جهة أخرى، فإن الشيخ دراز حفظ القرآن وهو صغير، وهذا دأب الصّالحين قديماً وحديثاً تجد في سيرهم أنّ أول ما يهتمّون به في تربية أولادهم حفظ القرآن فعلى سبيل المثال الإمام الطّبري[١٧] يخبر عن نفسه في تفسيره أنّه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وصلّى بالنّاس وهو ابن ثماني سنين[١٨]. ومن المعلوم أن الإمام الشافعي حفظ أيضاً القرآن الكريم، وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ للإمام مالك بن أنس، وهو ابن عشر سنين[١٩]، والإمام أحمد بن حنبل حفظ القرآن الكريم، ولم يجاوز العاشرة من عمره، وغيرهم كثُر لا تعد ولا تحصى وهكذا كان حال الأوائل من العلماء الجهابذة من علماء هذه الأمة.

فالشيخ محمد عبدالله دراز سلك طريق الأكابر من سلفه، فقضى حياته مع القرآن الكريم قراءةً وتدبراً، تأليفاً وتعليماً، ليلاً ونهاراً. هذا، وخير دليل على ذلك، ما خلّفه للأمة من الكتب الإسلامية، وكل هذه الكتب تصب في حقل القرآن وعلومه المختلفة. ومن جانب

---

[١٧] هو العالم المجتهد، الفقيه، المحدّث، المقرئ، المؤرخ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، كنيته أبو جعفر المشهور بابن جرير الطّبري من أهل آمل طبرستان، ولد في أواخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفي عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة وقد جاوز عمره وقت وفاته ثمانين سنة بخمس رحمه الله تعالى. انظر: الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير، **تفسير الطّبريّ جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبدالحميد المحسن التّركي، (القاهرة: دار الهجر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١، ص١٢-٤٦.

[١٨] انظر: المرجع نفسه ص١٢.

[١٩] انظر: بكر محمد إبراهيم، **الإمام الشافعي حياته وفقهه**، (القاهرة: مكتبة الفكر، ط١، ٢٠٠٧م)، ص٢٣.

آخر، تجده يُعنى بمناقشة الحلول التي يجلي بها بعض المفكرين سواء في الشرق أو في الغرب، وسيلةً للمقارنة، وهو أثناء ذلك كله، يجعل من القرآن الكريم دائماً نقطة ارتكازه، ويعتمد في استخلاصه للإجابة الشافية على المسائل المطروحة، ويعتمد اعتماداً مباشراً على النّصوص القرآن الكريم[٢٠].

زيادة على ذلك، كان للشيخ محمد عبد الله دراز سبق متميز في فهم النّص القرآني، حتى احتضن القرآنَ قلبُه، فكان يداوم ويعتكف على قراءة سدسه كل يوم، ولم يكن يترك هذه العبادة يوماً واحداً، لا في أيام المحنة، ولا في غيرها. يقول صهره الدكتور السيد محمد بدوي حكايةً عن مشاهدته لمحمد عبدالله دراز، وقت دراسته في باريس، أيام الحرب العالمية الثانية، فقال: "وما كنت تراه إذا اختلى بنفسه إلا مصلّياً، أو قارئاً للقرآن"[٢١]. وهكذا عاش رحمه الله وقته كله في الاشتغال مع القرآن، وخدمته، بمحاولة إظهار كنوزه، وأسراره لهذه الأمة، فحقق الله له مبتغاه، حتى استخلص لنا القانون الأخلاقي كاملاً من القرآن، وذلك في العقد الأخير من النصف الأول، من القرن العشرين؛ حيث تصدّى لهذا العمل الكبير في رسالته القيّمة التي نال بها درجة الدكتوراه من السوربون، وعنوانها: (دستور الأخلاق في القرآن)[٢٢].

لقد كان الشّيخ محمد عبدالله دراز بشكل دائم منكب على تدبر القرآن الكريم، وهذه العادة المجيدة، هي التي أورثت درازاً أسلوباً قرآنيّاً رصيناً في كتابته، فلا يعدم الناظر في كتبه جملاً، وألفاظاً قرآنية، منثورة كالدرر في ثنايا كلامه، وكأنما أصبح الرجل يتنفس كتاب الله فيما يكتبه، فينضحُ أسلوبه بصبغة قرآنية بديعة[٢٣].

وفيما يأتي نذكر بعض الأمثلة حول خواطره القرآنيّة في بعض المواقف، ومن ذلك استنباطه حول الآيات التي وردت في سياق العتاب: كقوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى . وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى . وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى . وَهُوَ يَخْشى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ [عبس: ١-١٠]، وكقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾ [التحريم: ١].

---

[٢٠] انظر: الشّيخ أحمد مصطفى فضيلة، **حول رسالة دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبدالله دراز**، ص٧٦.

[٢١] المرجع نفسه ص١١.

[٢٢] المرجع نفسه ص٨.

[٢٣] انظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: حياته وآثاره**، ص٣٤.

فأنت لو ألقيت السمع ونظرت في هذه الذنوب التي رفع العتاب عليها، لوجدتها تنحصر وتجمع في شيء واحد، وهو أنه ﷺ كان إذا ترجح عنده بين أمرين، ولم يجد فيهما إنما اختار أقربهما إلى رحمة[٢٤] أهله، وهداية قومه، وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة شبهة في دين الله، لم يكن بين يديه ﷺ نصّ فخالفه كفاحاً، أو جاوزه خطأً أو نسياناً، بل كل ذنبه أنه مجتهدٌ، بذل وسعه في النّظر، ورأى نفسه مخيّراً، فتخيّر، هبْه مجتهداً أخطأ باختيار خلاف الأفضل، أليس معذوراً؟ على أن الذي اختاره، كان هو خير ما اختاره ذو حكمة بشرية، وإنما جاء تنبيه من القرآن، إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية. تَبَصَّرْ، هل ترى في ذلك ذنباً يستوجب عند العقل، هذا التأنيب والتّثريب؟ أم هو مقام الربوبيّة ومقام العبودية[٢٥].

وهناك مسألة أخرى، فعندما يتكلم الشيخ محمد عبدالله دراز عن القيم الأخلاقية، بناءً على بعض المبادئ حسب ما وزعه القرآن، يذكر هذه الآية: ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾، **[الشورى: ٤١-٤٣]**، ثم قال: وهكذا، دفع رذيلة الظلم والبغي، فجعلها مناط الذم واللوم، ومجلبة العقاب الأليم. ثم أشاد بفضيلة الصبر والمغفرة، فجعلها من عزم الأمور، وكتب على نفسه، أنه سيدخر الأجر لصاحبها، حيث قال: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾، [الشورى: ٤٠][٢٦].

---

[٢٤] وفيه حديث أخرجه أصحاب السنن في كتبهم، ويؤكد ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن شيخه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها». انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب: المناقب، باب صفة النّبيّ ﷺ، رقم الحديث٣٥٦٠، ج٤، ص١٨٩.

[٢٥] انظر: محمد عبدالله دراز، **النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**، ص٢٥- ٢٦.

[٢٦] محمد عبدالله دراز، **نخبة الأزهار وروضة الأفكار**، ص٤١.

خلاصة للمطلب الثاني

تظهر النقاط البارزة في هذا المطلب من خلال ما يلي:

١. الشيخ محمد عبد الله دراز كان من العلماء الذين ارتبطت حياتهم بالقرآن الكريم بشكلٍ وثيق، حيث شكّل محور دراسته وفكره، وساهم في تكوين منهجه العلمي.

٢. نشأ الشيخ دراز في بيئة علمية ودينية، حيث بدأ حفظ القرآن في سن مبكرة، متبعًا نهج العلماء السالفين الذين أولوا القرآن أهمية قصوى في نشأتهم وتكوينهم، فحفظ القرآن منذ الصغر كان سمة بارزة لدى العلماء الصالحين عبر العصور، مثل الإمام الطبري، الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، حيث شكلت هذه البداية المبكرة أساساً لمهاراتهم العلمية والروحية.

٣. كان اهتمام الشيخ دراز بالقرآن لا يقتصر على تلاوته فقط، بل امتدّ إلى دراسة معانيه وتفسيره، مع تركيزه على الإعجاز اللغوي والتشريعي والأخلاقي؛ وقضى حياته في خدمة القرآن من خلال القراءة، والتدبر والتأليف والتعليم.

٤. عمل دراز على استنباط الحلول العلمية والفكرية المختلفة من النصوص القرآنية، متخذًا من القرآن مرجعًا أساسيًا في الإجابة عن المسائل المطروحة في الفكرين الشرقي والغربي.

٥. كان للشيخ دراز التزامٌ يوميّ بتلاوة القرآن، حيث كان يقرأ سدسه يوميًا، ولم يكن يتخلى عن هذه العبادة حتى في أصعب الظروف، كما شهد بذلك مقربون منه خلال فترة دراسته في باريس، مما يعكس التزامه العميق بالقرآن.

٦. أثمرت دراسات الشيخ دراز عن القرآن في عدة إسهامات علمية، كان أبرزها رسالته للدكتوراه "دستور الأخلاق في القرآن"، التي تُعدّ عملًا مرجعيًا في فهم الأبعاد الأخلاقية للنص القرآني. فقد صنف الشيخ دراز العديد من المؤلفات حول علوم القرآن وتفسيره، معتمدًا على القرآن كنقطة ارتكاز للإجابة عن المسائل المختلفة، مما يعكس عمق ارتباطه بالنصوص القرآنية.

٧. أثر القرآن الكريم بشكل عميق في أسلوب الشيخ دراز الكتابي، حيث استلهم من النصوص القرآنية قوة البيان وجمال الأسلوب، حيث تتناثر الجمل والألفاظ القرآنية

بين سطور أعماله، مما يضفي على كتاباته طابعًا قرآنيًا مميزًا؛ كما انعكس ذلك في كتبه ومحاضراته التي حملت صبغة قرآنية واضحة.

٨. في تفسيره للقيم الأخلاقية، أبرز الشيخ دراز أن النبي ﷺ كان يختار بين الأمور بما يحقق رحمة أهله وهداية قومه، متجنباً الغلظة والجفاء، مما يعكس فلسفة الأخلاق القرآنية التي طرحها في مؤلفاته.

المطلب الثّالث: تنقلاته العلميّة والتّعليميّة.

تمهيد

الشيخ محمد عبد الله دراز عاش حياة علمية حافلة بالتنقلات بين مراكز العلم المرموقة، مما أسهم في تكوينه الفكري والعلمي المتنوع، حيث بدأ مسيرته التعليمية في الأزهر الشريف، حيث تلقى علومه الأساسية في الشريعة واللغة العربية، وكان الأزهر آنذاك منارة للعلم والتجديد؛ لكن طموح الشيخ دراز العلمي، لم يتوقف عند حدود مصر، فقد دفعه شغفه بالمعرفة إلى السفر إلى فرنسا، لإكمال دراسته العليا. وهناك التحق بجامعة السوربون، حيث حصل على درجة الدكتوراه، برسالته الشهيرة "دستور الأخلاق في القرآن"، وهي شهادة على براعته في الجمع بين الدراسات الإسلامية والفكر الغربي. وبالتالي، فإن تنقله بين الأزهر والسوربون، لم يكن مجرد انتقال جغرافي، بل هو انتقال فكري، ساعده على التعمق في العلوم الإسلامية، وفي الوقت نفسه، الإلمام بالثقافة والفكر الغربي. وقد عاد بعد ذلك، ليواصل مسيرته التعليمية في مصر، حيث شغل مناصب تدريسية مرموقة، وساهم بشكل كبير، في نشر المعرفة وخدمة الفكر الإسلامي، سواء عبر التدريس أو الكتابة.

من جهة أخرى، لا يخفى لأحد من النّاس، أنّ للعلم والعلماء مكانةً عظيمةً، عقلاً ونقلاً، حيث امتدح الله العلماء والعلم، فقال ﷻ مبيّناً شرف العلم وحامليه، فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨]، فقد أشارت هاتان الآيتان على الدلالات الآتية:

- الدلالة الأولى: شرف العلم والعلماء: الله سبحانه وتعالى جعل العلماء في مرتبة عالية، حيث ذكرهم في سياق شهادته ووضعهم بجانب الملائكة، مما يدل على شرف العلم وحامليه، وأن العلماء يحتلون مكانة خاصة عند الله تعالى.
- الدلالة الثانية: شهادة الله على التوحيد: الآية تبدأ بشهادة الله ﷻ على وحدانيته، وهي أعلى وأعظم شهادة يمكن أن تُقدَّم، ما يدل على أن موضوع التوحيد هو أعظم ما يشهد عليه الخالق، وأنه الأساس الذي يقوم عليه كل علم.
- الدلالة الثالثة: العدل والقسط في العلم: وصف الله العلماء بأنهم "قائمون بالقسط"، مما يدل على أن العلم مرتبط بالعدل والإنصاف. العلماء ليسوا فقط ناقلي معرفة، بل هم قائمون بالحق والعدل في تطبيق العلم، مما يبرز مسؤوليتهم الأخلاقية.
- الدلالة الرابعة: ارتباط العلم بالإيمان: ذكر العلماء بجانب الملائكة يربط بين العلم والإيمان، ويُظهر أن المعرفة الحقيقية تؤدي إلى تعزيز الإيمان بالله ﷻ وتوحيده.
- الدلالة الخامسة: أهمية العلم الإلهي: الآية تشير إلى أن العلم الحقيقي ليس فقط معرفة دنيوية، بل هو علم مرتبط بالله، قائم على فهم التوحيد والعدل الإلهي.
- الدلالة السادسة: تكريم العلماء في الدنيا والآخرة: من دلالة الآية أن العلماء ليس لهم مكانة مرموقة فقط في الدنيا، ولكن أيضًا في الآخرة، حيث إن شهادتهم في التوحيد تُعدّ من أعظم الأعمال التي تُرضي الله ﷻ.
- الدلالة السابعة: العلماء ورثة الأنبياء: من الدلالة الضمنية أن العلماء، بقدرتهم على الفهم والشهادة لله ولتوحيده، يُعتبرون ورثة الأنبياء في العلم والهداية، فهم من يقومون بنقل الرسالة الإلهية إلى الأجيال.

من جهة أخرى، نجد أن الله سبحانه وتعالى قرن العلم مع توحيده بل وقدمه على كلمة التّوحيد قبل النّطق بها ويكون قبل القول والعمل، فجاء في القرآن قول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ [محمد: ١٩][٢٧]. فإذا كان هكذا شرف العلم وأهله، فالرحلة في طلبه مرغوب ومستحب لما جاء في

[٢٧] انظر: أبو أنس ماجد البنكاني، **رحلة العلماء في طلب العلم**، (د، ن. د، ط. د، ت.)، ص٥-٦.

الحديث الشّريف عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[٢٨].

فقد كان السفر في طلب العلم من لوازم طريقة المحدثين، ومنهجهم في التحصيل العلمي، والتّأكد لما صح مما لم يصح من المرويات سندًا أو متنًا؛ فكانوا إذا فرغ أحدٌ منهم من سماع العوالي والمهمات التي ببلده يُنصح له أن يرحل إلى غيره من البلد.[٢٩] ورُوي عن يحيى بن معين أن هناك "أربعة لا تؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث"[٣٠].

فالشّيخ محمد عبدالله دراز، لم يحد عن درب من قبله من العلماء، في منهجية طلب العلم وبحثه، فقد كان شغله الشّاغل في حياته اليوميّة؛ التّعلم والتّعليم مع محاولة إزالة الجهل عن هذه الأمة، بكل وسيلة أُعطيها، قراءةً كانت أو كتابةً أو خطاباً، ولذلك لم يكتفِ بالقليل من العلم في مسقط رأسه، بل رحل إلى أماكن كثيرة في طلبه:

الأول: في داخل مصر: كانت بداية طلبه للعلم على يد والده الشيخ الكبير الأستاذ عبدالله دراز في قريته[٣١]؛ فحفظ القرآن الكريم، ودرس علم القراءات القرآنية بأوجهه المختلفة[٣٢]، وفي سنٍّ مبكرة، وعمره لم يتجاوز سن العاشرة، مع حفظ بعض المتون العلمية. ثم انتقل الشيخ محمد عبدالله دراز، بمرافقة والده إلى مدينة الأسكندرية سنة ١٩٠٥م؛ وانتسب إلى المدرسة في

---

[٢٨] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، **الجامع الكبير– سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب: بيروت، د،ط. ١٩٩٨م)، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، ج٤، رقم الحديث: ٢٦٤٦، درجة الحديث: حسّنه الإمام الترمذي، وغيرهم من أصحاب السنن. وهذا الحديث له طرق كثيرة، بعضها فيها زيادات، ص٣٢٥.

[٢٩] انظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المشهور بالخطيب البغدادي، **الرّحلة في طلب الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر، (سلسلة تراثنا الإسلامي، د،ن. ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٥م)، ص١٧.

[٣٠] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: محمود الطحان، (مكتبة المعارف: الرياض، د،ط. د،ت.) ج٢، ص٢٢٥.

[٣١] (**محلة دياي**) "**بمحافظة كفر الشيخ**" : وهي قرية رئيسية تابعة لمركز دسوق التابع لمحافظة كفر الشيخ، هذا ويقع مركز دسوق في جنوب غرب محافظة كفر الشيخ، ويعتبر المركز نقطة التقاء بين محافظات كفر الشيخ والغربية والبحيرة والإسكندرية، لذلك فهو مركز يعتمد في اقتصاده على الزراعة والتجارة والسياحة بشكل أساسي.

[٣٢] انظر: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

المدارس النظامية الابتدائية، في معهد الأزهر الشريف عام ١٩٠٨م. هذا، وكان الشيخ دراز يعد من الطلبة السابقين في الدراسة لهذا المعهد المبارك، علماً أنه قضى فيه، ما لايقل عن أربع سنوات تقريباً. وبعد هذه المدة تحولت الأسرة إلى طنطا، فسافر معهم، والتحق بالجامع الأحمدي سنة ١٩١٦م، إلى أن حصل على الشهادة الثانوية. هذا، وقد عاد مع والده الشّيخ عبدالله دراز مرة أخرى إلى المعهد الأزهري، فأكمل الدراسة فيه، إلى أن نال الشهادة العالميّة، ثم اختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، ثم تَمَّ تعيينه مدرساً عام ١٩٢٨م، ودرّس في الجامع الأزهر لمدة لا تقل عن عشر سنين. وفي خضم هذه الأوقات، كان منشغلاً في التدريس والتأليف، مثل: كتاب المختار[٣٣]، والنبأ العظيم، وغيرهما من الكتب فائقة الأهمية والعلمية، فعلى سبيل المثال: أن كتاب المختار ولد في رحاب الحرم الجامعي، ففي الجامعة، اكتمل إعداده ونسجه، فأملاه رحمه الله على طلبة كلية أصول الدين، بقصد العلم والتعليم، عند أسند إليه تدريس الحديث، وكان من ثمرة هذا الإسناد، ظهور هذا السفر النفيس[٣٤].

ولا عجب في ذلك حيث أنه كان أستاذاً للتفسير بكلية أصول الدين، ما بين سنة ١٩٣٣م وسنة ١٩٣٦م، مع أساتذته الكبار في السن، مثل: الأستاذ إبراهيم الجبالي، ومحمد الخضر الحسين، وهذا دليل على تفوقه العلمي، حتى صار يساوي أساتذته الكبار في درجة التدريس، لغزارة علمه وتواضعه[٣٥].

الثّاني: سفره إلى الحج لزيارة بيت الله الحرام سنة ١٩٣٦م؛ وفي تلك السّنة، وفقه الله للحصول على منحة دراسية- من الملك فؤاد- للدّراسة بجامعة موقرة مشهورة في العالم، وهي جامعة السوربون بفرنسا، بصحبة ستة نفر من أصدقائه. يقول الشيخ دراز معبراً عن تلك البعثة

---

[٣٣] هذا الكتاب اسمه: **المختار من كنوز السنة النبوية**، شرح أربعين حديثاً في أصول الدين، للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، عني بنشره: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مدير الشئون الدينية — دولة قطر، طبع على نفقة صاحب السمو: الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر آنذاك، وهو مؤلف من ٥٥٩ صفحة.

[٣٤] من كلام الناشر: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مدير الشؤون الدينية — الدوحة — قطر. انظر: محمد عبد الله دراز، **المختار**، ص: ب.

[٣٥] انظر: محي الدين بن عمار، **جهود محمد عبدالله دراز في التفسير الموضوعي دراسة وتحليل، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية– تخصص الكتاب والسنة**– جامعة الحاج لخضر– باتنة، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١١م ٢٠١٢م. ص٣٠.

الأزهرية، قال: "هي أول البعثات في هذا القرن إلى جامعات أوروبا، مؤلفة من سبعة من الشّباب، الأساتذة المدرسين في الكليات؛ أوفد أحدهم إلى ألمانيا، اثنين منهم إلى إنجلترا، وأربعة إلى فرنسا، وكان لكاتب هذه السطور شرف عضوية هذه البعثة الفرنسية، فذهب الشّيخ دراز مع مجموعته بإشراف الأزهر الشّريف إلى فرنسا، لاستمرار دراسته العليا في تلك الجامعة المذكورة"[٣٦]. فبقي فيها اثنتي عشرة سنة تقريباً، مضت كلها اجتهاداً في طلب العلم، وانكباباً على استيعاب الثقافة الغربية من منابعها الأصلية، وتأملاً وتفكراً وتدبراً، بغية مقارِنة لتلك الحصيلة العلميّة، بمبادئ علم الأخلاق في القرآن الكريم.

هذا، وبعد أن وطئت قدماه أرض فرنسا، لم يسلك الطّريق السهل الذي اعتاد عليه معظم طلبة العلم، في دراستهم الجامعيّة، بل فضل نفسه أن يبدأ تحصيله العلمي من مبادئه الأوليّة، حتى يستوعب فلسفة الغرب، وثقافته الأصيلة من جذورها، ومن ثم تقديم رسالته العلمية للعالم أجمع. فبدأ الشيخ دراز أولاً بدراسة درجة الليساس، مثل بقيّة الطّلبة الفرنسيين، حتى يتقن مبادئ العلوم، التي يريد خوضها ومعرفة أصولها؛ فدرس على أيدي كبار العلماء في السّوربون، وكوليج دي فرنسا، شتّى العلوم، منها: الفلسفة، والمنطق، والأخلاق، وعلم النّفس، وعلم الاجتماع.

وبعد هذه الاستعدادت العلميّة اشتغل الشّيخ دراز لتحضير درجة الدّكتوراه، فكتب رسالتين: الأول عن التّعريف بالقرآن، وهو يعتبر كمدخل إلى القرآن الكريم. والثّاني: دستور الأخلاق في القرآن الكريم؛ وحصل بهما دكتوراة الدّولة من جامعة السّوربون، بمرتبة الشرف الأولى في عام ١٩٤٧م[٣٧].

الرسالة الأولى: مدخل إلى القرآن الكريم؛ احتوت هذه الرسالة على فكرة تمهيدية مختصرة حول تاريخ القرآن، والثانية: كانت بعنوان: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، وتقع في حوالي ثمانمائة صفحة تقريباً، نظراً لاختلاف الطبعات. فاستطاع الشيخ دراز من خلالها، تقديم رؤية

---

[٣٦] انظر: محمد عبدالله دراز، **نخبة الأزهار وروضة الأفكار**، ص٤١. انظر: محي الدين بن عمار، **جهود محمد عبدالله دراز في التفسير الموضوعي دراسة وتحليل**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية- تخصص الكتاب والسنة- جامعة الحاج لخضر- باتنة، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١١م ٢٠١٢م. ص٣٠.

[٣٧] انظر: محمد عبدالله دراز، **النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**، ص٥.

متكاملة، تظهر فيها النظرية الأخلاقية القرآنية في جهتيها، النظرية، والعملية. وكان فحوى وغاية ما في الرسالة الأصلي، أنها استخلصت للمرة الأولى، فيما نعرف في تاريخ الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعها، وقدمت مبادئها وقواعدها في صورة، بناء نظري متماسك مستقل، عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه، وهو ما أحدث انتقالاً بها من دائرة التعاليم الوعظية، التي تستهدف تقويم السلوكيات، إلى الدائرة المعرفية، والتي يقصد من خلالها تنظيم مسار منهجية التّربية الإسلامية، بأساليب فريدة من نوعها، وسهلة على الفهم.

لم تنل الدراسة في السوربون، والاحتكاك بالمستشرقين، من أزهرية الرجل العتيقة، واعتزازه بثقافته وتراثه؛ فقد كان مؤمناً، بأن مهمة الباحث المسلم، تتجاوز إحياء التراث الإسلامي، ووصل ما انقطع منه، إلى تحديثه والإضافة إليه؛ ولذلك شرع قبيل وفاته في كتابة مؤلفه: الميزان بين السنة والبدعة[٣٨]. وأراد به أن يُحدث كتاب الإمام الشاطبي (الاعتصام) إلا أن أجله المحتوم لم يمهله أن ينجز مهمته الجليلة.

إضافة إلى ما سبق، فقد خلف دراز تراثاً فكرياً راقياً، لم يتجاوز أربعة عشر مؤلفاً، تراوحت بين الكتب والبحوث، وأهم كتبه: النبأ العظيم، وكتاب: الدين- بحوث ممهدة لتاريخ الأديان. أما بحوثه الأخرى، فأبرزها: الربا في نظر القانون الإسلامي[٣٩]، والذي امتدح فيه القرآن بالقول: إن طبيعة المنهج التعليمي في القرآن، جاء في صدد محاربة بعض الرذائل، التي تأصلت في العرف العام، والتي توارثتها الأجيال، خلفاً عن سلف، وفي أحقاب متطاولة. والقرآن في معالجته لهذه الأمراض المزمنة، لا يأخذها بالعنف والمفاجأة، بل يتلطف في السير بها إلى الصلاح على مراحل متريثة، متصاعدة، حتى يصل بها إلى الغاية. ثم تكلم عن التدرج في التحريم[٤٠]. وله كتاب آخر، اسمه: مبادئ القانون الدولي العام في الإسلام، وكذلك: حول المؤتمرات العالمية

---

[٣٨] انظر: محمد عبد الله دراز، **الميزان بين السنة والبدعة**، إعداد وتحقيق: أحمد مصطفى فضلية، (القاهرة: دار القلم، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). والكتاب في ١٧٦ صفحة. رحم الله مؤلفه.

[٣٩] انظر: محمد عبد الله دراز، **الربا في نظر القانون الإسلامي**، وهو عنوان لمحاضرة، ألقاها الأستاذ دراز باللغة الفرنسية، في مؤتمر القانون الإسلامي الذي انعقد بباريس، في ٧ من أغسطس، سنة: ١٩٥١م. وتتألف هذه المحاضرة من ٢٣ صفحة.

[٤٠] محمد عبد الله دراز، **الربا في نظر القانون الإسلامي**، ص٩.

للأديان. وعلى ندرتها فقد شكلت إضافات معرفية سدت فراغاً في حقول الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، وتاريخ الأديان.

الثّالث: رحلته إلى باكستان: نقتصر بنقل شهادة رفيق رحلته إلى المؤتمر الإسلامي بلاهور، الشيخ محمد أبو زهرة: كان يراقب أحوال صديقه الشيخ محمد عبدالله دراز، من خلال سفره معه إلى باكستان للمؤتمر العالمي، فقال: "كان يؤمُّنا في صلاة العشاء، ثم يأوي كل منا إلى فراشه، ويأوي هو إلى صلاته وقرآنه؛ وكنت لا تراه إلا قارئاً للقرآن أو مصليّاً، إضافة إلى جانب اهتمامه بالأقوات الروحية، لم يكن مهملاً بالغذاء البدني، فكان يمارس في يومه أنشطة رياضية متنوعة"[٤١]. وهذا ما دعانا إليه الإسلام وتحث المسلم على ممارسة الرياضية في حياته وأنّ لها مكانة عظيمة وفوائد جسيمة، جاء في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ..»[٤٢]. هذا، وإن كان العلماء قد اختلفوا في ما المراد بـــ (القوي) المذكور في الحديث، إلا أنه يشمل من معانيه (قوي الجسم)، كذلك كما ذهب إليه البعض إلى أن المقصود بها: هو المؤمن الذي يتعدّى نفعه إلى غيره ببدنه، أو بماله أو بارشاده، أمّا المؤمن الضعيف، فهو الذي يقتصر نفعه على نفسه، دون الآخرين. فقوة الجسم مطلوب، ولكن لا يختص بها فقط[٤٣] فهذا رأي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي[٤٤].

خلاصة للمطلب الثالث

١. البداية في الأزهر الشريف: بدأ الشيخ محمد عبد الله دراز مسيرته التعليمية في الأزهر الشريف، حيث درس العلوم الشرعية واللغة العربية في بيئة علمية تقليدية، مما أسهم في تشكيل معرفته الدينية الأساسية.

---

[٤١] انظر: الشيخ أحمد مصطفى فضلية، **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

[٤٢] انظر: **صحيح مسلم**، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث: ٢٦٦٤، ج٤، ص٢٠٥٢.

[٤٣] انظر: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، **شرح سنن ابن ماجة**، وأصل الكتاب دروس صوتية فقام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net. ج٥، ص١٢.

[٤٤]

٢. الانتقال إلى الإسكندرية: في عام ١٩٠٥، انتقل الشيخ مع والده إلى الإسكندرية، حيث التحق بالمعهد الأزهري هناك وتابع تعليمه الرسمي، مع الاستمرار في حفظ المتون ودراسة القرآن الكريم.

٣. الدراسة في طنطا: بعد فترة الدراسة في الإسكندرية، سافرت عائلته إلى طنطا، حيث واصل الشيخ دراز دراسته والتحق بالجامع الأحمدي، ليكمل مرحلة الثانوية، وبدأ في التوسع في الدراسات الشرعية.

٤. نيل شهادة العالمية: بعد إتمام دراسته الثانوية، عاد إلى الأزهر الشريف، حيث درس العلوم الإسلامية حتى نال شهادة العالمية، التي تؤهله للتدريس والمشاركة في الأعمال العلمية.

٥. التدريس في الأزهر: تم تعيينه مدرسًا في الأزهر الشريف عام ١٩٢٨، وبدأ التدريس في كلية أصول الدين، حيث قام بتدريس التفسير والعلوم الشرعية، واستمر في هذه المناصب لأكثر من عشر سنوات.

٦. منحة دراسية إلى السوربون: في عام ١٩٣٦، حصل الشيخ دراز على منحة دراسية من الملك فؤاد للدراسة في جامعة السوربون بفرنسا، مع مجموعة من زملائه، كجزء من البعثة العلمية الأزهرية؛ حيث قضى نحو اثنتي عشرة سنة في تعميق معرفته في الثقافة الغربية والعلوم المختلفة.

٧. الدراسة المتعمقة في السوربون: خلال إقامته في فرنسا، درس الشيخ دراز الفلسفة، والمنطق، والأخلاق، وعلم النفس وعلم الاجتماع، حيث اتجه إلى دراسة الفلسفة الغربية من الأساس ليستطيع فهم جذور الفكر الغربي وثقافته وتقديم مقارنات مع الفكر الإسلامي.

٨. الدكتوراه في دستور الأخلاق: قدّم الشيخ دراز رسالته للدكتوراه بعنوان "دستور الأخلاق في القرآن"، والتي تعتبر عملاً موسوعيًا قدّم فيه رؤية متكاملة عن النظام الأخلاقي في الإسلام، وحصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى في عام ١٩٤٧م.

٩. حفاظه على الهوية الأزهرية: بالرغم من دراسته في الغرب واحتكاكه بالمستشرقين، حافظ الشيخ دراز على هويته الإسلامية والأزهرية، واستمر في تقديم أفكار متجددة تهدف إلى إحياء وتحديث التراث الإسلامي.

١٠. مشاركاته الدولية وتراثه الفكري: شارك الشيخ دراز في مؤتمرات دولية مهمة، مثل المؤتمر الإسلامي بلاهور، وترك خلفه تراثًا فكريًا مهمًا في الفلسفة الإسلامية، ومن أبرز كتبه "النبأ العظيم" و"الدين: بحوث ممهدة لتاريخ الأديان".

١١. تناول المطلب أهمية السفر في طلب العلم، موضحًا أن المحدثين اعتبروا السفر جزءًا أساسيًا من منهجهم لضمان صحة المرويات والتأكد منها.

١٢. خلف الشيخ دراز إرثًا علميًا مهمًا، بما في ذلك أربعة عشر مؤلفًا، وأبحاثًا في مجالات الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، وتاريخ الأديان، مسجلاً إسهامات بارزة في هذه المجالات.

المطلب الرابع: أنواع الرياضات البدنية التي مارسها الشيخ دراز في حياته

تمهيد

الشيخ محمد عبد الله دراز لم يكن فقط عالمًا متمكنًا في العلوم الشرعية والفكرية، بل اهتم أيضًا بصحته البدنية واعتبر الرياضة جزءًا مهمًا من حياته اليومية؛ فقد كان يمارس الشيخ دراز العديد من الأنشطة الرياضية، التي تسهم في الحفاظ على قوته ولياقته البدنية، كما كان يمارس التمارين الرياضية بانتظام، ويهتم بالنشاط البدني كجزء من منهج حياته، وذلك تأكيدًا على تعاليم الإسلام التي تشجع على الاهتمام بالصحة البدنية بجانب الروحية. ومن بين الأنشطة التي مارسها الشيخ دراز رياضات ركوب الخيل، والسباحة، ولعبة التنس، المشي والجري، التي تعتبر من أبسط وأهم الرياضات للحفاظ على اللياقة، بالإضافة إلى تمارين القوة والمرونة التي تساعد على الحفاظ على القوة البدنية. كان الشيخ يرى أن الصحة الجسدية تُكمل الصحة الروحية والعقلية، مما ينعكس إيجابيًا على نشاطه العلمي والدعوي.

الأول: ممارسة ركوب الخيل: لقد تعلّم الشيخ ركوب الخيل في قريته، وشارك في عدة مسابقات للفروسية مع أصدقائه[٤٥]، وكلنا نعرف في الإسلام حب الخيل وركوبها، وفضل رعايتها؛ فالنبيّ ﷺ هو سيّد الخلق كان يركب الخيل، ويسابق بين الخيول، حيث جاء في حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب «أن رسول الله ﷺ سابق[٤٦] بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق»، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها[٤٧]. فأفاد هذا الحديث وغيره من الأدلة، على أن ركوب الخيل والسّباق عليها، سُنَّة من سننه ﷺ، وأنّ له فوائد دنيوية وأخروية، لا تعد ولا تحصى. منها: فوائد صحيّة ونفسيّة تعود للبدن والعقل.

فركوب الخيل تُعدُّ وسيلة فعّالة تعالج لكثير من الأمراض المزمنة مثل شلل الدّماغ وسرطان الدم وسرطان الثدي والرئة؛ وأنّه تنشّط الدورة الدّموية؛ وأنّه يعين الإنسان على التّحكم بجسمه من خلال توازنه وقت ركوب الخيل ويقوّي العضلات وبعد ذلك يساعد في برمجة التفكير وترتيبه[٤٨]. أما فيما يتعلق بفضل ركوب الخيل والاعتناء بها فقد ورد في ذلك آثار كثيرة منها: ما جاء في خيرية الخيل وأن ذلك سار إلى يوم القيامة عن عروة بن الجعد، عن النبي ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٤٩]. وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة في نواصي الخيل»[٥٠]. وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «ليس على

---

[٤٥] انظر: **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

[٤٦] (سابق) من المسابقة، وهي السبق الذي يشترك فيه اثنان فأكثر، على جائزة أو بدونها. انظر: البخاري، **الصحيح**، ج١، ص١٦٢.

[٤٧] **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة: باب: هل يقال: مسجد بني فلان، رقم الحديث: ٤١٠، ج١، ص١٦٢.

[٤٨] انظر: هذا الرابط: فوائد_رياضة_ركوب_الخيل_للجسم: https://mawdoo٣.com/ . يوم الثلثاء/ ٢٠٢٢م/ ٢٨/ ٠٦.

[٤٩] انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: الجهاد والسّير، باب: الجهاد ماض مع البرّ والفاجر. رقم الحديث: ٢٨٥٠، ج٤، ص٢٨.

[٥٠] انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: الجهاد والسّير، باب: الجهاد ماض مع البرّ والفاجر. رقم الحديث: ٢٨٥١، ج٤، ص٢٨.

المسلم في فرسه وغلامه صدقة»[٥١]. روى ابن بطال في شرح صحيح البخاري قال: فيه: أَنَس، اسْتَقْبَلَهُمُ النبي ﷺ، عَلَى فَرَسٍ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَيْفٌ. ركوب الفرس العرى من باب التواضع، وفيه رياضة وتدرب للفروسية، ولا يفعله إلا من أحكم الركوب، فقه ذلك أنه يجب على الفارس أن يتعاهد صنعته ويروض طباعه عليها لئلا يثقل إذا احتاج إلى نفسه عند الشدائد، وفيه تعليق السيف في العنق[٥٢].

الثاني: ممارسة لعبة التنس: صاحب الشيخ دراز توفيق الله فمارس الرياضة بلعبة التنس[٥٣]، وهي لعبة لها أهمية كبرى في تعزيز المناعة وحماية الجسم وتقويته وهي لعبة تساعد على تحسين الأكسجين في أجسامنا وتذاب الدهون[٥٤].

الثالث: ممارسة السّباحة: يمكن أن أسجل هنا تجربتي البسيطة في السّباحة تعتبر واحدة من أنفع الرياضة في الجسم وتعطيه الراحة الكافية وتعمل على التخلص من الضغوطات النّفسية، وتروّحها، وكذلك تخفف ثقل البدن، ولنلاحظ كذلك أنها تجمع بين الرياضة والنّظافة، وتساعد السبَّاح في تنشيط القوى العضلية، وتهدئة الجهاز العصبي، وتطهير الجسم، مع انتعاشه[٥٥].

كان الشيخ دراز يمارس هذه الرياضة بانتظام، محافظًا على توازنه اليومي، فيمنح جسده حقه دون أن يُخلّ بالتزاماته أو يختل نظامه، بل كان يُحسن تنظيم وقته، واضعًا كل شيء في موضعه بترتيب وانسجام. وهكذا مع هذه الفوائد التي ذكرنا ورد أثر يفيد استحباب السّباحة وهو أنّ جابر بنَ عبدالله وجابرَ بن عُمَيْرٍ الأنصاريَّيْن يرميان فأحد منهما ترك الرمي وجلس فتكلم صاحبه له: فقال: أكسلت؟ فأجاب بنعم فقال أحدهما للآخر: أما سمعت كلام رسول

---

[٥١] انظر: **صحيح البخاري**، كتاب: الزكاة، باب: ليس على المسلم في فرسه صدقة، رقم الحديث: ١٤٦٣، ج٢، ص١٢٠.

[٥٢] بن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ج٥، ص٧٠.

[٥٣] انظر: **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

[٥٤] انظر: الرابط – https://www.youm٧.com/story/٢٠١٧/٩/١٩. يوم الثلثاء تاريخ ٢٠٢٢م ٢٨/ ٠٦.

[٥٥] انظر هامش هذا الكتاب: ابن قيّم الجوزيّة، **الفروسيّة**، تحقيق: سُمير حين حلبِي، (المكتبة الحديثة: الإمارات المتحدة، ط١، ١٤١١هـ١٩٩١م)، ص٢٩.

الله ﷺ: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب، لا يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعلم الرجل السباحة»[٥٦]، وفي رواية المسند، حدّثنا أحمد قال: حدّثنا إسحق بن عيسى قال: حدّثني يحيى بن حمزة عن عبد الرحمن بن يزيد أن أبا سلّام حدّثه قال: حدّثني خالد بن زيد قال: كان عقبة يأتيني فيقول: اخرج بنا نرمي. فأبطأتُ عليه ذاتَ يوم أو تثاقلتُ، فقال: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: "إنّ الله عز وجل يُدْخِلُ بالسهم الواحد ثلاثةً الجنّة: صانِعَه المحْتَسِبَ فيه الخيرَ، والراميَ به، ومُنَبِّلَه. فارموا واركبوا، ولأن تَرمُوا أحبُّ إليّ من أن تركبوا. وليس من اللَّهو إلّا ثلاث: مُلاعبةُ الرجل امرأتَه، وتأديبُه فرسَه، ورميُه بقوسه. ومن علَمَه اللَّهُ عز وجل الرميَ فتركه رغبةً عنه فنعمةٌ كَفَرَها"[٥٧] فدل نص هذا الحديث ومدلوله على أنّ تعلم الرجل السباحة ليس عبارة عن اللعب فقط وإنما هو لمعاني سامية ولمصلحة في الجسد واقتداء بنصيحة الرسول ﷺ. قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ: "فَأَمَّا مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَإِجْرَاؤُهُ الْخَيْلَ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَتَعْلِيمُهُ الرَّمْيَ، وَرَمْيُهُ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ، وَلَا نَنْهَى عَنْهُ"[٥٨].

الرابع: المشي بالأقدام: مما كان يمارس الشيخ دراز من نشاطه اليومي، في أواخر عمره المبارك، عُرفَ منه أنه كان يواظب على رياضة المشي، في مسافة طويلة في الصحراء القريب من مسكنه، يبدأ ذلك بعد صلاة الفجر[٥٩].

---

[٥٦] انظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، باب: ملاعبة الرجل زوجته، رقم الحديث: ٨٨٨٩، ج٨، ص١٧٦.

[٥٧] عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **جامع المسانيد**، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ج٦، ص٨٥. ورجاله ثقات، عدا خالد بن زيد – الجُهني، قال عن ابن حجر في التقريب ١/ ١٤٩: مقبول.

[٥٨] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، **معرفة السنن والآثار**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق – بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء (المنصورة – القاهرة)، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ج١٤، ص٣٢٥.

[٥٩] انظر: **دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٣.

خلاصة للمطلب الرابع

إن ممارسة الرياضة في حياة الشيخ محمد عبد الله دراز، أفادته في النقاط الآتية:

١. تقليل التوتر والقلق: كانت ممارسة الشيخ دراز للرياضة وسيلة فعالة لتقليل التوتر والقلق المرتبطين بالتحديات العلمية والدعوية، فالنشاط البدني ساعده على استعادة توازنه النفسي وتحقيق الهدوء الذاتي.

٢. تحسين المزاج: الأنشطة الرياضية التي مارسها الشيخ، مثل ركوب الخيل والسباحة، أسهمت في تحسين مزاجه، فالرياضة أمدته بالطاقة الإيجابية والفرح، مما انعكس على إنتاجيته الفكرية والدعوية.

٣. زيادة الثقة بالنفس: إنجازاته في الرياضات المختلفة، مثل الفروسية والتنس، عززت من ثقته بنفسه، فنجاحه في المسابقات الرياضية منح الشيخ شعورًا بالإنجاز الذي ترجم إلى ثقة في مجالات حياته الأخرى.

٤. تحسين التركيز والذاكرة: من خلال ممارسة الأنشطة الرياضية، تمكن الشيخ دراز من تعزيز قدراته العقلية، الرياضة ساعدته في تحسين تركيزه وذاكرته، مما كان له أثر إيجابي على أعماله الفكرية والبحثية.

٥. تعزيز النوم: التزام الشيخ دراز بممارسة الرياضة ساعده على تحسين نوعية نومه. نومه الجيد كان له تأثير مباشر على صحته النفسية وقدرته على مواجهة التحديات اليومية.

٦. التفاعل الاجتماعي: شارك الشيخ دراز في الأنشطة الرياضية مع الأصدقاء وزملاء العمل، مما ساعده على بناء علاقات اجتماعية قوية. التفاعل الاجتماعي في هذه الأنشطة عزز من شعوره بالانتماء والراحة النفسية.

٧. **توفير شعور بالسيطرة:** من خلال ممارسة الرياضة، تمكن الشيخ من التحكم في صحته ولياقته البدنية. هذا الشعور بالقدرة على التحكم كان له تأثير إيجابي على طريقة تعامله مع الضغوطات الحياتية.

٨. **تعزيز الاسترخاء:** ساهمت الأنشطة البدنية التي مارسها الشيخ في تحقيق حالة من الاسترخاء الذهني والجسدي. هذا ساعده على مواجهة التحديات الفكرية والدعوية بشكل أفضل.

٩. **أنواع الرياضيات التي مارسها الشيخ دراز في حياته:**

ركوب الخيل: بدأ الشيخ دراز تعلم ركوب الخيل منذ صغره وشارك في مسابقات للفروسية. ركوب الخيل له جذور عميقة في الإسلام ويعتبر نشاطاً صحياً ونفسياً فعالاً، يساهم في تعزيز التوازن البدني وتقوية العضلات.

لعبة التنس: مارس الشيخ دراز لعبة التنس، وهي رياضة تعزز المناعة وتساعد على تحسين صحة الجسم بشكل عام. تعتبر التنس من الرياضات التي تحسن الأكسجين في الجسم وتذيب الدهون.

السباحة: اعتبر الشيخ دراز السباحة من الأنشطة البدنية المفيدة، حيث توفر راحة للجسم وتساعد في التخلص من الضغوط النفسية. السباحة تعزز القوة العضلية وتهدئ الجهاز العصبي.المشي: كان الشيخ دراز يواظب على المشي لمسافات طويلة في الصحراء بعد صلاة الفجر في سنواته الأخيرة، مما يعكس اهتمامه بالرياضة كجزء من روتينه اليومي.

التوازن بين الرياضة والعلم: عبر الشيخ دراز عن اهتمامه بالحفاظ على صحة جسمه بالتوازي مع سعيه للعلم، مما يجسد التوازن بين العقل والجسم.

اتباع السنة النبوية: جميع الأنشطة الرياضية التي مارسها الشيخ دراز تعكس احترامه وتعظيمه للأحكام الإسلامية المتعلقة بالرياضة، مثل ركوب الخيل والسباحة، مما يتوافق مع تعاليم النبي ﷺ.

بهذه الطريقة، يمكن القول إن ممارسة الرياضة كانت جزءًا لا يتجزأ من منهج حياة الشيخ دراز، حيث ساهمت في تعزيز صحته النفسية والبدنية، مما انعكس إيجابًا على نشاطه العلمي والدعوي.

المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه

تمهيد

الشيخ محمد عبد الله دراز كان من العلماء المبرزين في مجال الفكر الإسلامي، حيث أثرى المكتبة الإسلامية بآرائه وأفكاره العميقة. وقد ترك بصمة واضحة في مسيرته العلمية من خلال شيوخه وتلاميذه. من ناحية أخرى، نجد أن الشيخ تعلم على يد مجموعة من العلماء البارزين الذين أثروا في تكوينه الفكري والعلمي؛ ومن أبرز شيوخه كان الشيخ محمد عبده، الذي يعتبر من رواد النهضة الفكرية في العالم الإسلامي، حيث ألهمه بفكره التقدمي ودعوته إلى تجديد العلوم الإسلامية. كما درس على يد الشيخ علي عبدالرازق، الذي عرف بمؤلفاته في الفكر الإسلامي، مما ساهم في إثراء معرفته بأبعاد الفقه والتاريخ الإسلامي.

أما في مجال التلاميذ، فقد كان الشيخ دراز معلمًا ملهمًا للعديد من الطلاب، الذين تأثروا بفكره وأفكاره. ومن بينهم كان هناك عدد من العلماء والمفكرين الذين واصلوا مسيرته في تعزيز الفكر الوسطي. العديد من تلاميذه أصبحوا فيما بعد أساتذة جامعيين، ومفكرين بارزين، حيث قاموا بنشر أفكاره والدفاع عن منهجه الوسطي في تفسير الدين الإسلامي.

إن تأثير الشيخ دراز على شيوخه وتلاميذه لا يقتصر على نقل المعرفة فحسب، بل شمل أيضًا ترسيخ قيم الوسطية والتسامح في المجتمع الإسلامي، مما ساهم في تشكيل وعي جديد حول دور الدين في الحياة اليومية. هذه العلاقات العلمية أثرت بشكل كبير على مسار الفكر الإسلامي، وخلقت جيلًا من العلماء الذين يعتنون بالاعتدال ويدعون إلى الحوار الفكري البناء. من جهة أخرى، من المنطق أن نقول إنه لا يخلو أحداً من البشر العادي من معلم يعلمه لأن الإنسان لايولد في هذا الوجود عالماً، وإنما يتعلم شيئًا فشيئًا حتى يكون عالماً يقول الإمام الشّافعي رحمه الله في قصيدته: "تَعَلَّم فَلَيسَ المرءُ يولَدُ عالِماً"[٦٠]. ومن شروط تناول العلم لابد من صُحبة أستاذ[٦١] فدوره مهم جدا في التعلم لقد صدق من قال: من كان شيخه كتابه كان

[٦٠] الإمام أبي عبدالله محمّد بن إدريس الشّافعي، تحقيق: نعيم زرزور، **ديوان الإمام الشافعي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٨، ٢٠١٧م)، ص٨٨.

[٦١] المصدر نفسه، ص٩٩.

خطؤه أكثر من صوابه وإن كان هناك تفاصيل حول هذه المقولة ولكن بالعموم عبارة جميلة ووجيهة.

فلأجل رفع الجهل لهذا الوجود وتصحيح الأفهام الخاطئة عن البشريّة وعمار الأرض يحتاج إلى معلّم فالرّسول ﷺ هو المعلّم المؤثّر اللطيف الرحيم الرّؤف الذي علّم العالم ووضّح لنا وظيفة المعلّم ودوره في المجتمع وأهميّته في هذه الحياة فالصّحابة تتلمذوا على يد رسول الله ﷺ، وكذلك كبار التّابعين على أيد الصّحابة وهكذا من بعدهم من التّابعين تلقوا العلم على يد بعضهم.

وكذلك الشّيخ محمد عبدالله دراز رحمه الله كان له أساتذة وشيوخ كثر أخذ العلوم على أيد كبار العلماء سواء في مسقط رأسه أو في غيره من كبار المشايخ الذين عاصره ومن جملتهم:

شيوخه

بلا شكّ أستاذه ومرشده الأولى هو والده الكريم الشيخ عبدالله دراز رحمه الله وهو الذي رسم له خطوط العلم وأهميته واعتنى بتربيته أكمل وجه، فمن أساتذته الذين أخذ العلوم على أيديهم منهم:

الأول: الشّيخ سعد القرنشاوي الذي حفظ الشّيخ محمد عبدالله دراز القرآن وقبل إتمام العشرة من عمره وبعد ذلك التحق بمعهد الإسكندرية[٦٢].

الثّاني: الشيخ إبراهيم الْجِبَالِي[٦٣] وهو صاحب كتاب الإسلام دين الفطرة.

---

[٦٢] ينظر: محمود سعيد محمد محمود الشّافعي، **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسّماع**، (دار الكتب المصريّة: بيروت، ط٢، ١٤٣٤هـ)، ص٥٠٠.

[٦٣] هو العلامة الشّيخ إبراهيم بن حسن بن يوسف الجبالي كان الشيخ عضوا بمجلس شيوخ الأزهر والمفتش بوزارة المعارف العموميّة للامور الدّينيّة كان رجل عالم وهو ممن يرجع إليه في أمور الدّينيّة فيحلّها، مصريّ الأصل ولد بناحية الرحمانية مركز شبراخيت من أعمال مديرية البحيرة في غرة المحرم سنة ١٢٩٥هـ الموافق ٥ يناير سنة ١٨٧٨م، حفظ القرآن في سنّ مبكر ثم أدخله والده في الأزهر الشريف ودرس وتفوّق ونال شهادة العالمية بتقدير ممتاز من الدرجة الأولى ١٨ من ربيع الثّاني سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وجلس للتدريس في الجامع الأزهر، كان رحمه الله من الدعاة للإصلاح في عصره ولأجل هذا التقدم والتجديد الفكر الإسلامي عيّن شيخا للمعهد العلمي الديني باسيوط ١٣ من المحرم سنة ١٣٣٩هـ الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٠م حتى جعل هذا المعهد في طريق التقدم والتفوّق بعد أن كان من المعاهد الصّغيرة وبدأ يزدحم بالطلاب بلغ عددهم ١١٧٢، قبل ذلك كان عدد الطلاب فيه ٣٥٤، يشهد له الكثير أنه ترك إنجازات كبيرة في هذه الأمة فرحمه الله رحمة الأبرار. ينظر: زكي فهمي، **صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر**، (مكتبة مدبولي: القاهرة، د.ط، ١٩٩٥م). ص٥٢٩-٥٣٢.

الثّالث: الشّيخ محمد شاكر

الرّابع: الشّيخ عبد المجيد اللبَّان

الخامس: الشّيخ محمود الدِّينَاري

السادس: الشّيخ علي إدريس عضو هيئة كبار العلماء

السّابع: السّيد عبدالحي الكتَّاني، وهو شيخه في الحديث روى عنه

الثّامن: الشّيخ محمد حبيب الله الشَنْقِيطي روى عنه[٦٤]

التّاسع: الشيخ الأكبر محمد الخضر الحسين[٦٥]

العاشر: الشيخ علي محفوظ [٦٦].

الحادي عشر: الشّيخ محمد سلامة

الثّاني عشر: الشّيخ علي بن سرور الزَّنْكَلُوني[٦٧]

الثّالث عشر: الشّيخ محمود أبو دقيقة.

---

[٦٤] **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسّماع**، ص٥٠١.

[٦٥] هو محمد الخضر الحسين التّونسي فقيه أصوليٌّ وعالم من أفاضل العلماء أديب، باحث مميّز وشاعر من كبار شيوخ الأزهر ممن تولّى مشيخة الأزهر، مولده في قرية تونسيّة حرسها الله المسمى بنفطة سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م وله السبق في إنشاء مجلة «السعادة العُظْمى» سنة ١٩٠٢م، وهي تعتبر أول مجلةٍ عربية وأدبية عِلْمية خاصة في شمال أفريقيا، وقد شاركت هذه المجلة في نَشْر الإسلام، كما أسهمَتْ في مقاومة مَساوِئ الاستعمار. ودرّس في الأزهر. ومن الجمعية التي أنشأها جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها بنفسه وتحرير مجلتها. وترأس تحرير مجلة "نور الإسلام" الأزهرية، ومجلة "لواء الإسلام". هكذا قضى حياته في نفع الأمة حتى وافته المنيّة بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م ودفن بوصية منه في تربة صديقة أحمد تيمور (باشا) فرحمه الله. ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، **الأعلام**، (دار العلم للملايين: لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٦، ص١١٣.

[٦٦] الشيخ علي محفوظ مصريّ خريج الأزهر وعضو هيئة كبار علمائه، واعظ الفعّال شافعي المذهب ولد في محلة روح مركز طنطا غربية، مولده كان في تلك القرية وفيها نشأ وردس وحفظ القرآن الكريم وله مؤلفات كثيرة: منها سبيل الحكمة في الوعظ، و هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، والإبداع في مضار الابتداع، والدرة البهية. ثم لقي ربه يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة ١٣٦١هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٤٢م. ينظر: الشيخ علي محفوظ، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطاب**، (دار الاعتصام: بيروت، ط٩، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)، ص٧-١٠.

[٦٧] كنيته أبو الحسن واسمه الشيخ علي سرور الزّنكلوني يعتبر عضو من كبار علماء الأزهر في أيامه، ولد سنة ١٢٨٨م وقيل ١٢٨٩م كان مولده في قرية اسمها الزَّنْكَلُونِي وبدأ تعليمه الأولى بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم ذهب إلى الأزهر وتتلمذ على يد شيوخه وكانت سنة وفاته واحد وعشرين من شهر رمضان ١٣٥٩ بعد صراعه مع مرض ألجأه الفراش عدة شهور فرحمه الله رحمة وسعة.

أساتذته من فرنسا وقت دراسته، منهم

الأول: ماسينيون

الثّاني: ليفي

الثّالث: بروفنسال

الرّابع: لوسن

الخامس: فالون

السّادس: فوكونية [٦٨].

تلاميذه

الرّابع عشر: الإمام محمد أبو زهرة

الخامس عشر: د. حسن جاد

السّادس عشر: د. أحمد الشرباصي

السّابع عشر: د. السّيد محمد بدوى

الثّامن عشر: الشّيخ عبدالرحيم فوده

التّاسع عشر: د. محمد رجب البيومي

عشرون: محمد عبدالله السّمان

واحد وعشرون: أستاذ أنور الجنيدي

الثاني وعشرون: د. يوسف القرضاوي

الثّالث وعشرون: د. عبد الستار فتح الله سعيد

الرّابع وعشرون: د. عبد العظيم المطعني

الخامس وعشرون: د. مصطفى حلمي

السّادس وعشرون: عبد الغفار عبد الرحيم

السّابع وعشرون: عبد الغني بركة.[٦٩]

---

[٦٨] ينظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٥.

[٦٩] ينظر: **الشيخ أحمد مصطفى فضلية، دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١١.

تتجلى أهمية كثرة الشيوخ والتلاميذ في حياة الشيخ محمد عبد الله دراز من الناحيتين العلمية والتربوية بشكل واضح. فمن الناحية العلمية، كان الشيخ دراز مستفيدًا من مجموعة من العلماء البارزين، بدءًا من والده الذي كان له الدور الأساسي في توجيهه وتعليمه، مرورًا بشيوخ آخرين مثل الشيخ محمد عبده والشيخ علي عبدالرازق. هذه المجموعة الواسعة من الشيوخ ساهمت في تكوين رؤيته الفكرية وتعزيز معرفته بالأبعاد المختلفة للعلوم الشرعية والفكرية.

أما من الناحية التربوية، فقد كان الشيخ دراز معلمًا ملهمًا للعديد من الطلاب الذين تتلمذوا على يديه، مما يبرز تأثيره في نقل المعرفة وتعزيز قيم الوسطية والتسامح. من بين تلاميذه، نجد علماء بارزين مثل الإمام محمد أبو زهرة ود. يوسف القرضاوي، الذين واصلوا مسيرته الفكرية وفتحوا آفاقًا جديدة في الفكر الإسلامي.

تؤكد هذه العلاقات العلمية والتربوية على أهمية دور المعلم في تشكيل العقول وإثراء الفكر، حيث إن تفاعل الشيخ دراز مع شيوخه وتلاميذه أسهم في خلق بيئة تعليمية غنية ومليئة بالتجارب، مما يعكس قيمة التعليم في الحياة العامة. كما أن التفاعل بين الشيوخ والتلاميذ يعكس أهمية استمرار المعرفة عبر الأجيال، حيث يساهم كل من الشيوخ في توجيه الطلاب، بينما يساهم الطلاب في نشر وتعزيز الأفكار التي تعلموها، مما يجعل من التعليم عملية مستدامة تعود بالنفع على المجتمع ككل.

ملخص المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه

١. مكانة الشيخ محمد عبد الله دراز: يعتبر من العلماء المبرزين في الفكر الإسلامي، وله تأثير واضح في المكتبة الإسلامية من خلال آرائه العميقة.
٢. شيوخه وتأثيرهم:
   - تعلم الشيخ دراز على يد مجموعة من العلماء البارزين، ومن أبرزهم:
   - الشيخ محمد عبده: رائد النهضة الفكرية، ألهمه بفكره التقدمي.
   - الشيخ علي عبدالرازق: أثرى معرفته بالفكر الإسلامي وأبعاد الفقه والتاريخ.
   - والده، الشيخ عبدالله دراز، كان له الدور الأساسي في توجيهه وتعليمه.

٣. تلاميذه وإرثهم:

- كان الشيخ دراز معلمًا ملهمًا للعديد من الطلاب، من بينهم علماء بارزون مثل
- الإمام محمد أبو زهرة
- د. يوسف القرضاوي
- العديد من تلاميذه أصبحوا أساتذة جامعيين ومفكرين، نشروا أفكاره وعززوا منهجه الوسطي.

٤. أهمية العلاقات العلمية:

- لا تقتصر على نقل المعرفة فقط، بل تشمل ترسيخ قيم الوسطية والتسامح .
- تفاعل الشيخ مع شيوخه وتلاميذه ساهم في تشكيل وعي جديد حول دور الدين في الحياة اليومية.

٥. الدور الأساسي للمعلم:

- يشدد على أهمية وجود معلم في حياة كل فرد، وأن التعلم هو عملية مستمرة تتطلب صحبة أستاذ .
- يساهم المعلم في رفع الجهل وتصحيح الأفهام، كما وضح الرسول ﷺ دور المعلم في المجتمع.

٦. استمرارية المعرفة

- تفاعل الشيوخ والتلاميذ يعكس أهمية استمرار المعرفة عبر الأجيال، مما يجعل التعليم عملية مستدامة تعود بالنفع على المجتمع.

المطلب السادس: ثناء العلماء عليه

تمهيد

يُعتبر الشيخ محمد عبد الله دراز أحد أبرز علماء الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وقد لاقى تقديرًا كبيرًا من قبل العديد من العلماء والمفكرين في مجالات الشريعة والفلسفة. كان الشيخ

دراز يتمتع بعمق فكري وبلاغة في التعبير، مما جعله مرجعًا مهمًا في تناول القضايا الإسلامية المعاصرة .

أشاد العديد من العلماء بمؤلفاته وآرائه التي عكست روح الوسطية والتسامح، حيث أثرت في الكثير من الطلاب والمفكرين الذين تتلمذوا على يديه أو استلهموا من فكره. فقد اعتبره بعض العلماء نموذجًا للنهضة الفكرية، لما قدمه من أفكار تجديدية تسهم في فهم الإسلام وفقًا لمتطلبات العصر.

هذا وقد تجلى ثناء العلماء على الشيخ دراز في مختلف الكتابات والمقالات التي تناولت أعماله، حيث تم الإشادة بقدرته على الجمع بين النصوص الشرعية والفهم العقلاني، وهو ما أكسبه احترامًا واسعًا في الأوساط العلمية والدينية. إن إرث الشيخ محمد عبد الله دراز يستمر في التأثير على الأجيال الجديدة من العلماء، مما يجعله واحدًا من الأعلام الذين ساهموا في إرساء دعائم الفكر الإسلامي الوسطي.

ومن الجدير بالعلم، أن هناك مقالة كتبت في حق شيخ محمد عبدالله دراز بعنوان: "الأزهري الذي أجمع العلماء على مكانته المرموقة د. محمد عبد الله دراز". وهي في الحقيقة أبلغ ثناء بهذا العالم الجليل وغاية التقدير بمكانته الشريفة، ومما ذكر كاتب المقالة د. محمد الجوادي: في ثنائه بالشيخ محمد عبدالله دراز: ومن الطريف أنه في حواراتنا مع أساتذتنا الأزاهرة لم نصادف شخصية حصلت على ١٠٠٪ في تقييم كل من سألناهم عن تقييمها إلا شخصا واحداً فقط كان هو الدكتور محمد عبد الله دراز، و بالنسبة لنا فإن هناك عاملا إضافيا قد لا يتصوره القراء و لا الأزاهرة وهو أننا ذات مرة سألنا المفكر المصري العظيم الدكتور حسين فوزي ١٩٠٠-١٩٨٨ وهو أكثر العرب اتصالا بالحضارة الغربية عن أكثر علماء الدين المعاصرين فهما للحضارة والانسان فأجاب بلا لحظة من تفكير باسم: محمد عبد الله دراز.

ويمكن القول، إن هذه الإجابة نفسها كانت هي إجابة والدنا رحمه الله حين سألناه في صبانا عن أنبغ أساتذة الأزهر الذين تلمذ لهم، فأجاب بلا تفكير: محمد عبد الله دراز، فلما سألته عن علاقة الدكتور دراز بكليتهم الشريعة أجابني بأنهم تلمذوا له بعد تخرجهم في كلية

الشريعة أي في مرحلة العالمية وما يسمى بشهادة تخصص التدريس حيث درس لهم علم الأخلاق[٧٠].

ما أُثْني عليه حال تعلقه بالقرآن حتى كُني بـــ عاشق القرآن

فكانت أهم سمة من سمات شخصية دراز، والمنبع الذي فاضت منه كل مآثره العلمية والعملية هي الوله بالقرآن الكريم. كان رجل القرآن بحق، فقد ملكت محبة القرآن عليه لبه، وشغفت قلبه، فكان شغله الشاغل، لا يكاد يرى إلا وهو منكب على قراءته وتدبره، أو قائم يصلي به. وقد انصب اهتمامه العلمي على القرآن حصرا، فلا يكاد يوجد له عمل علمي إلا والقرآن محوره ولبابه. ولا يستطيع دراز كفكفة عشقه لكتاب الله وتعلقه القلبي به، فهو يتتبع ألفاظ القرآن تتبع الواله، ويصفها بحق بأنها "حبات درية".

وكان دراز مثابرا على قراءة ست أجزاء من القرآن كل يوم دون كلل أو ملل. وكان معظما للقرآن، ويحافظ على فعل سجود التلاوة أثناء محاضراته في التفسير، ويطلب من طلابه التوضؤ قبل بداية المحاضرة استعدادا لذلك فكان مربي لهم في ذلك ويجذبهم إلى التعلق بالقرآن وتصويره نصب عينيهم. وقد كتب عنه رفيق رحلته إلى المؤتمر الإسلامي بلاهور، الشيخ محمد أبو زهرة: "كان يؤمنا في صلاة العشاء، ثم يأوي كل منا إلى فراشه، ويأوي هو إلى صلاته وقرآنه. وكنت لا تراه إلا قارئا للقرآن أو مصليا."

ما مُدح حال وسطيته

كان الشيخ دراز إمامًا من أئمة الوسطية الإسلامية السمحة، حيث تجلت وسطيته في معالجته لعدد من الثنائيات الكبرى التي أرهقت الفكر الإسلامي واستنزفت طاقاته. من هذه الثنائيات: العقل والنقل، السنة والبدعة، الجبر والاختيار، السلم والحرب، العلم والدين، الخلق والقانون، وغيرها. لقد قمت بدراسة تناول الشيخ دراز لهذه الثنائيات بتفصيل، وستصدر قريبًا دراسة عن (مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد) في الدوحة. لا يسع المجال هنا للحديث عن كل ما في الدراسة، لكنني أود الإشارة إلى بعض أفكاره المتعلقة بمسألة العقل والنقل.

---

[٧٠] ينظر: https://www.aljazeeramubasher.net/blogs/٢٠٢١/١٠/٢٣/

يؤكد الشيخ دراز أن "التمييز بين الخير والشر هو إلهام داخلي متجذر في النفس الإنسانية قبل أن يكون تشريعًا سماويًا". لكنه يرى أن الشرع الإلهي "يكمل الشرع الأخلاقي الفطري"، مما يُعد تكملة ضرورية للفطرة الإنسانية التي قد تشوبها شوائب تدفعها بعيدًا عن الحق والخير، أو ظلمات تؤدي إلى الحيرة والاضطراب.

والحقيقة التي لا بد من التأكيد عليها، أن الحياة البشرية بدون نور الوحي، سيبقى الناس في صراع دائم حول تعريف الخير والشر، "حيث ستتصارع العقول كما تتصارع العواطف". تاريخ البشرية يعكس تجارب متعددة من هذا التخبط، بدءًا من تقشف النرفانا في البوذية وصولًا إلى الإباحية في الرواقية اليونانية. هذه الشهادات تُظهر ضرورة أن يبقى نور الوحي ونور الفطرة هما المرجعان الأساسيان، كما أرادهما خالق الشريعة الفطرية، وهو منزل الشريعة السماوية.[٧١]

ثناء الشيخ علي جمعة على الأستاذ دراز وذكر أسبقيّته حول التجديد الفكر الإسلامي المعاصر

قال الشيخ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف: إن المشروع التجديدى للشيخ الراحل محمد عبد الله دراز بنى على إدراك الواقع، وعلى صوغ النموذج التفسيرى، وعلى صوغ النموذج المعرفى، وعلى المنظومة الأخلاقية التى تمثلت فى دستور الأخلاق فى الإسلام، رسالته التى أخذ بها درجة الدكتوراه من السوربون، وأضاف مفتى الديار المصرية السابق، خلال حلقة اليوم السبت، من برنامج "مصر أرض المجددين"، والذى يقدمه الإعلامى عمرو خليل، والمذاع على فضائية ON TV، إن المشروع التجديدى للشيخ محمد عبد الله دراز من الممكن أن نقول عليه إنه يتمثل فيما يمكن أن نقول إن محوره هو إعادة قراءة النصوص، وذلك للبحث عن المشترك الإنسانى الذى يجمع ما بين الأديان والثقافات والحضارات.[٧٢]

---

[٧١] ينظر: مقالة تسمى: **بـ أرواح مشرقة (٢).. محمد عبد الله دراز**، على مؤلفه: د. محمد مختار الشنقيطي، وهو أستاذ للشؤون الدوليّة بجامعة القطر، بتاريخ: ٢٠٢٣/٣/٧، انظر تحت هذا الرابط: محمد-عبد-الله-دراز-عاشق-القرآن-الكريم: https://www.aljazeera.net/blogs.

[٧٢] ينظر: على-جمعة-**المشروع-التجديدى-للشيخ-محمد-عبد-الله-دراز-اعتمد**، صدر بتاريخ ١٦/٤/٢٠٢٢. https://www.youm٧.com/story.

شهادة الشيخ يوسف القرضاوي والشَّيْخ محمد أبو زهرة على عظيم مكانة دراز:

قال: "كان الشيخ دراز علمًا من أعلام الفكر، وإمامًا من أئمة الدين، وبحرًا من بحور العلم والثقافة، جمع – حقًّا– بين الأصالة والمعاصرة، فإن شئت نسبته إلى جامع (الأزهر) فهو ابنه البار، وتكوينه الأزهري قوي متين، وإن شئت نسبته إلى جامعة (السوربون) فهو من خريجيها الذين تعتز بهم، وتفخر بانتمائهم إليها، وهو أحد رجال الفلسفة والأخلاق المعدودين في عالمنا العربي والإسلامي".

يقول الشَّيْخ محمد أبو زهرة –وكان قريبًا منه: "وقد عاد أي الشيخ دراز– بعد هذه الرِّحلة الطويلة الشَّاقة المجهدة، وتوقعنا أن نجدَ تغيرًا في مظهرِه، أو ملبسه أو عاداته أو تدينه، كما رأينا في بعض من ذهبوا وأقاموا بعضَ إقامته، ولكنَّا وجدناه كما تركناه خلقًا ودينًا وإيمانًا، فأثبتَ بذلك سلامةَ جَوْهره؛ لأنَّ جيد المعادن تجلوه التَّجارِبُ، وتصقلُه الحوادثُ من غير أن يفنى ويبلى، ولقد ازداد استمساكًا بدينه وتشددًا فيه، فزاد بهاءً ونورًا وجلالاً"[٧٣]. يشهد بفضله الشيخ أحمد مصطفى عبدالعزيز فضيلة فقال: "وقد كان الدكتور محمد عبد الله دراز من هذا الطراز الغالي من الرجال الكبار الذين يطهر الله بهم الأرض من فساد الأفكار وباطل المعتقدات ، ومذموم الأخلاق"[٧٤].

ما قاله د. يوسف القرضاوي

يُسجل الباحث هنا خلاصة ما ذكرها تلميذ الشيخ دراز، والدكتور يوسف القرضاوي في ذكر فضله ومكانته العلمية: أنّ في وقت الذي كان يدرسهم الشّيخ دراز مادة: (علم الأخلاق). كان يتدفق في معارفه كأنما يغرف من بحر، ويبهر سامعه عندما يسمعه كان كلامه السحر المؤثر، ويشرح الدقائق العلمية فيجليها، والغوامض فيكشف عن خوافيها، ويبين عن معانيها، لقد كنت أستمع إليه، وأنا معجب متابع، ويُرى أنه ينطبق عليه ما كان يكتبه الأولون عن علمائهم ومؤلفيهم، مثل : العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، فهذا ما يمكن أن يُقال عن

---

[٧٣] ينظر: تراجم الشيخ–الدكتور–المفكر–محمد–عبد–الله–دراز. https://www.odabasham.net/.

[٧٤] أحمد مصطفى فضيلة، د/ **محمد عبدالله دراز الميزان بين السنة والبدعة**، تحقيق: هو المحقق نفسه، (القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١١.

الشيخ دراز، فقد أحاط بعلوم الدين من التفسير والحديث والتوحيد والأصول والفقه، وبعلوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة، وبالأدب وتاريخه، وبالعلوم الإنسانية العصرية، التي درسها في (السوربون وحصل بها على الدكتوراه، وقدم فيها أكثر من رسالة ، وبخاصة رسالته للدكتوراه دستور الأخلاق في القرآن وهو ممن جمع حقاً بين التراث والحداثة، أو شئت فقل بين الأصالة والمعاصرة[٧٥].

خلاصة المطلب السادس

تظهر خلاصة المطلب هذا في النقاط الآتية:

١. يُعتبر الشيخ محمد عبد الله دراز رمزًا بارزًا في الفكر الإسلامي الحديث، حيث نال تقديرًا عظيمًا من قبل العديد من العلماء والمفكرين في مجالات الشريعة والفلسفة. تميز الشيخ دراز بعمق فكري وبلاغة في التعبير، مما جعله مرجعًا مهمًا في معالجة القضايا الإسلامية المعاصرة.

٢. أثنى الكثير من العلماء على مؤلفاته وآرائه التي تعكس روح الوسطية والتسامح، واعتبره البعض نموذجًا للنهضة الفكرية بفضل أفكاره التجديدية. وأكدت الكتابات والمقالات التي تناولت أعماله على قدرته الفائقة في الجمع بين النصوص الشرعية والفهم العقلاني، مما أكسبه احترامًا واسعًا في الأوساط العلمية.

٣. تم ذكر ثناء خاص للشيخ دراز في مقالة للدكتور محمد الجوادي، حيث وصفه بأنه الشخص الوحيد الذي حصل على تقييم كامل من العلماء. وأشار أيضًا إلى تأثره الكبير بالقرآن الكريم، إذ كان يُعرف بـ "عاشق القرآن"، وكان له التزام قوي بقراءته وتدبره.

٤. كما أشار العلماء إلى وسطيته في معالجة القضايا الكبرى، حيث تمكن من التوازن بين الثنائيات المتعارضة في الفكر الإسلامي. اعتبر الشيخ دراز إمامًا للوسطية، وكان له دورٌ بارز في تقديم أفكار حول العلاقة بين العقل والنقل.

---

[٧٥] ينظر: المصدر نفسه، ص٢١.

٥. وأبرز العلماء مثل الشيخ علي جمعة والدكتور يوسف القرضاوي أهمية الشيخ دراز في الفكر الإسلامي المعاصر، حيث تم الإشادة بمشروعه التجديدي وقدرته على إعادة قراءة النصوص الإسلامية بشكل يتماشى مع احتياجات العصر.

وعليه، فإن إرث الشيخ محمد عبد الله دراز مستمر في التأثير على الأجيال الجديدة من العلماء، مما يجعله أحد الأعلام البارزين الذين ساهموا في تعزيز الفكر الإسلامي الوسطي.

المطلب السابع: وفاتُه

تمهيد

توفي الشيخ محمد عبد الله دراز، أحد أعلام الفكر الإسلامي، في ٦ يناير ١٩٥٨، خلال انعقاد مؤتمر الأديان العالمي في لاهور بباكستان. يُعتبر رحيله خسارة فادحة للأمة الإسلامية، حيث كان نموذجًا فريدًا يجمع بين العلوم الشرعية وثقافة العصر الحديث. اشتهر الشيخ دراز بغزارة علمه، وكتبته العديدة التي تركت أثرًا عميقًا في مختلف مجالات الفكر الإسلامي، مثل الاقتصاد الإسلامي والفلسفة والأخلاق .

على الرغم من دراسته في جامعة السوربون، إلا أنه ظل متجذرًا في تقاليد الأزهر الشريف، الذي خدمه بفخر وأصالة. كان يُعرف بفيلسوف القرآن الكريم، إذ اعتمد في جميع أعماله الفكرية على القرآن الكريم كمرجع رئيس. وُصِف بأنه جمع بين ثقافة الشرق والغرب، مما أكسبه قدرة فريدة على معالجة القضايا المعاصرة بأسلوب يجمع بين العمق الفكري والإشراق الروحي.

كانت وفاة الشيخ دراز بمثابة فقدان آخر علامة من جيل كبار العلماء، وقد عُبِر عن ذلك بأسى كبير من قبل علماء الأمة، حيث قال شيخ الأزهر عبد الحليم محمود: "لقد فقدنا اليوم آخر عالم من رعيل كبار العلماء الذين تخرجوا في الأزهر". إن إرثه الفكري يستمر في التأثير على الأجيال الجديدة من العلماء والباحثين، مما يجعله رمزًا من رموز الفكر الإسلامي الوسطي.

إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى:

فمهما طالت الحياة فلا بد من الانتقال يومًا؛ من درا الفناء إلى درا البقاء، ولكن لسيت المشكلة مغادرة هذا الوجود إنما القضية عما يخلفه الإنسان للعباد والبلاد بعد حياته الدنيوية. فرحيل الأمّة وفقيدها هو الشّيخ العلاّمة محمد عبدالله دراز الذي شهد له القاصي والدّاني على صلاحه وإصلاحه وغزارة علمه؛ وأنّه رجل مكتبيٌّ وموسوعيٌّ خلّف للعالم الإسلامي تُراث ضخم نَدُر مثيله، ومعهد فكريّ ربّانيٌّ فيه كثير من الحلول في العصر الحديث سواء فيما يتعلق في الاقتصاد الإسلامي ومتعلقاته أو المسائل العقائدية، فعلى سبيل المثال كتابه الدّين نموذ في ذلك وهو رجل في الحقيقة تمثل مدرسة عقائدية عريقة خاصة ويعرف ذلك من له أدنى اطلاع على كتبه وهو رائع من روّاد علم الفلسفة وواضع دستود الأخلاق وهو نظريّة جديدة قام بها المرحوم دراز والجميل أنّ اعتماده الوحيد في التّعامل مع هذه العلوم كلها هو القرآن يجعله نصب عينيه وغايته ابراز الكنوز المكنون من هذا الكاب لذلك يكنيه البعض[٧٦] بفيلسوف القرآن الكريم لقد وُصِف بأنه اجتمع في شخصيته أموراً لم تجتمع إلا في الأفذاذ من أعلام المسلمين في القرن العشرين: جمع الشّيخ دراز بين ثقافة الشّرق وثقافة الغرب، وبين العلم الشّرعي والموقف الشّرعي، وبين عمق الفكرة وإشراق الرّوح[٧٧].

وبعد جهود عظيمة بنشر تعاليم هذا الدّين افتقد العالم عالماً من علماء هذه الامة مساء يوم الإثنين ١٦ من شهر جمادى الثّانية سنة ١٣٧٧هـ، الموافق ٦ من شهر يناير سنة ١٩٥٨م وهو الشّيخ محمد عبدالله دراز وافته المنية أثناء انعقاد مؤتمر الأديان العالمي وهو يمثل الأزهر الشريف في لاهور بباكستان سنة ١٩٥٨م، وكان رحمه الله من العلماء الموسوعيين، الذين جمعوا بين علوم الشريعة، وثقافة العصر، وأجاد الفرنسية إجادته لعلوم العربية، فهو ابن الأزهر، وابن السوربون، فإن شئت نسبته إلى جامع (الأزهر)، فهو ابنه البار، وتكوينه الأزهري قوي متين، وإن شئت نسبته إلى جامعة (السوربون)، فهو من خريجيها الذين تعتزُّ بهم، وتفخر بانتمائهم إليها، وهو أحد رجال الفلسفة والأخلاق المعدودين في عالمنا العربي والإسلامي،

---

[٧٦] وهو الدّكتور محمد بن المختار الشنقيطي وله كتاب خاص بهذا العنوان وهو ممن له اهتمام بالغ بتراث دراز في هذا العصر.

[٧٧] ينظر: **فيلسوف القرآن الكريم**، ص٧.

ولكن دراسته في السوربون لم تُخرجه عن أزهريَّته العريقة، حتى إنه من القليلين الذين بقوا على زيِّهم الأزهري- الجُبَّة والعمامة- بعد عودتهم من بعثتهم إلى الخارج. فعندما بلغ شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود خبر وفاة الشيخ محمد عبدالله دراز صاح قائلاً: "لقد فقدنا اليوم آخر عالم من رعيل كبار العلماء الذين تخرجوا في الأزهر. ليكن الله في عوننا وفي حماية الإسلام"[٧٨].

خلاصة المطلب السابع:

إن خلاصة هذا المطلب ظهرت في النقاط الآتية:

١. تاريخ الوفاة ومكانها: توفي الشيخ محمد عبد الله دراز في ٦ يناير ١٩٥٨، خلال انعقاد مؤتمر الأديان العالمي في لاهور، باكستان.
٢. خسارة للأمة الإسلامية: اعتُبرت وفاته خسارة فادحة للأمة، حيث كان نموذجًا فريدًا يجمع بين العلوم الشرعية وثقافة العصر الحديث، وترك تراثًا علميًا ضخمًا.
٣. تأثيره العلمي: اشتهر الشيخ دراز بكتبه ومؤلفاته التي غطت مجالات متعددة مثل الاقتصاد الإسلامي والفلسفة والأخلاق، وكان يُعرف بفيلسوف القرآن لارتكازه على القرآن الكريم في جميع أعماله.
٤. توازن ثقافي: جمع الشيخ دراز بين ثقافة الشرق والغرب، مما منحه القدرة على معالجة القضايا المعاصرة بأسلوب يجمع بين العمق الفكري والإشراق الروحي.
٥. استجابة العلماء لفقده: عُبر عن أسف كبير لفقدانه من قبل العلماء، حيث وصفه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود بأنه آخر عالم من كبار العلماء الذين تخرجوا في الأزهر، مؤكدًا أهمية إرثه الفكري في استمرارية تأثيره على الأجيال الجديدة.

---

[٧٨] : **الشيخ أحمد مصطفى فضلية، دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص١٨.

المبحث الثاني: مكانته العلميّة

تمهيد

يُعد الشيخ محمد عبد الله دراز واحدًا من أبرز العلماء في الفكر الإسلامي في القرن العشرين، حيث ارتبطت مكانته العلمية بإسهاماته العميقة والمتنوعة في مجالات الشريعة والفلسفة والأخلاق. وُلِد في مصر، ودرس في الأزهر الشريف، حيث حصل على تكوين أكاديمي متين يعكس روح الحضارة الإسلامية. واصل دراسته في جامعة السوربون بفرنسا، مما زوّده بأدوات معرفية حديثة أضافت عمقًا إلى أفكاره.

تميز الشيخ دراز بقدرته على دمج التراث الإسلامي مع معطيات العصر الحديث، حيث كان لديه رؤية شاملة تعزز من فهم الإسلام كدين يتفاعل مع التحديات المعاصرة. قدم العديد من المؤلفات التي تناولت قضايا جوهرية في الفكر الإسلامي، مثل كتابه المعروف "الدين" الذي يُعتبر نموذجًا في معالجة المسائل العقائدية والأخلاقية. كما عُرف بلقب "فيلسوف القرآن الكريم" لكونه اعتمد بشكل أساسي على القرآن كمصدر رئيسي في دراساته وأبحاثه.

ومهما يكن من أمر، فلقد لعب الشيخ دراز دورًا مهمًا في نشر التعاليم الإسلامية السليمة وتطوير الفكر الإسلامي الوسطي، حيث أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته وأفكاره التي تبرز قيمة الوسطية والتسامح. تلامذته وزملاؤه في الدراسات الإسلامية يشيدون بعمق فكره وبلاغته، مما جعله واحدًا من الأعلام الذين ساهموا في إرساء دعائم الفكر الإسلامي المعاصر. بفضل هذه المكانة، يظل الشيخ محمد عبد الله دراز رمزًا من رموز الفكر الإسلامي، يتجلى أثره في الأجيال اللاحقة من العلماء والمفكرين، مما يؤكد استمرارية تأثيره على الثقافة الإسلامية.

من جهة أخرى، ظهرت مكانة الشيخ محمد عبد الله دراز العلمية في تراثه الذي خلفه للأمة والجهود التي قدمها للإسلام والمسلمين وهو صاحب الفكر النبيل ومربي العقل المعاصر قراءة كتبه ما تشبع لأنه يعتمد على الأصل الأصيل وهو القرآن الحكيم في كل ما يقدمه في حياته العلمية. تندرج تحت هذا المبحث مطالب:

المطلب الأول: مؤلّفات الشّيخ دراز العلميّة.

المطلب الثّاني: أسباب التّأليف عند الشّيخ دراز.

المطلب الثّالث: مدرسته القرآنية.

المطلب الأول: مؤلّفات الشّيخ دراز العلميّة

الشيخ دراز رحمه الله ما فتئ قلمه عن الكتابة والقراءة حتى فارق الدنيا وهو في مسار نشر رسالة الإسلام والذّب عنه من دسائس أعدائه، وهو رجل موسوعي في كتابته العلمية ومكتبي الموثوقة صاحب التصنيف المخلص، له مجموعة من الإنجازات والمؤلفات منها ما سنذكره في هذا المطلب:

١. أطروحة الدكتور محمد عبد الله دراز وجهوده في البحث الخلقي- مؤلف عنه.
٢. أطروحة الدكتور محمد عبد الله دراز وجهوده البلاغية – مؤلف عنه .
٣. أطروحة دستور الأخلاق في القرآن- مؤلف .
٤. الإمام المجدد محمد عبد الله دراز سيرة وفكر – مؤلف عنه
٥. أوراق محمد عبد الله دراز في الإسلام واللغة والآداب والنقد والتاريخ والجغرافيا، نبذة عن العالم الأديب والصالح المصلح المغفور له الشيخ عبد الله دراز. مؤلف عنه
٦. الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. مؤلف
٧. خلاصة مختصر دستور الأخلاق في القرآن.
٨. المختار من كنوز السنة النبوية: شرح أربعين حديثاً في أصول الدين. مؤلف
٩. دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية. مؤلف.
١٠. من خلق القرآن. مؤلف
١١. فقيد الأزهر الشيخ محمد عبد الله دراز، كامل محمد حسن: مجلة الأزهر: الجزء السادس جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ – ٢٢ ديسمبر ١٩٥٧م المجلد التاسع والعشرون ص ٦٢٥- ٦٢٦.
١٢. فقيد الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء .
١٣. الربا في القانون الإسلامي. مؤلف
١٤. أساس الشعور بالمسئولية .
١٥. بحث في مؤتمر السيرة العطرة لعمر بن العزيز.
١٦. بحث في مؤتمر الربا في القانون الإسلامي.

١٧. بحث في مؤتمر إصلاحات الشيخ محمد عبده .

١٨. بحث في مؤتمر موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها .

١٩. تسجيل إذاعي من خلق القرآن .

٢٠. تسجيل تليفزيوني حلقة خاصة من برنامج وتزودوا مخصصة للحديث عن الشيخ محمد عبد الله دراز ، قناة الخليجية .

٢١. النّبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم. مؤلف

٢٢. نظرات في الإسلام. مؤلف

٢٣. تسجيل تليفزيوني خواطر في الحج[٧٩].

خلاصة للمطلب الأول

يمثل التراث العلمي للشيخ محمد عبد الله دراز علامة بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث تميز بإسهاماته التي تعكس التفاعل بين التراث الإسلامي ومعطيات العصر الحديث. ومن أبرز الجوانب العلمية التي يمكن التعليق عليها في تراثه:

١. الوساطة بين التراث والحداثة: استطاع الشيخ دراز أن يجمع بين علوم الشريعة وثقافة العصر، مما جعله رائدًا في التجديد الفكري. كان لديه القدرة على تقديم الإسلام بصورة تتماشى مع التحديات المعاصرة، دون التفريط في القيم الأساسية للدين. هذه الوساطة تمثل منهجًا علميًا متوازنًا، يسعى إلى إيجاد أرضية مشتركة بين الأصالة والمعاصرة.

٢. اعتماده على القرآن الكريم: عُرف الشيخ دراز بلقب "فيلسوف القرآن الكريم"، حيث كان القرآن هو المرجع الأساسي في جميع أعماله الفكرية. إن هذا الاعتماد يعكس فكرًا علميًا عميقًا، يتمحور حول استنباط المعاني والدروس من نصوص الوحي، ويجعل من تفسيره وفهمه للقرآن جزءًا لا يتجزأ من هويته العلمية.

٣. الإسهام في الفلسفة والأخلاق: كان الشيخ دراز من رواد الفلسفة الإسلامية، حيث تناول موضوعات الأخلاق بأسلوب يجمع بين العمق الفكري والشعور

[٧٩] ينظر: **تراجم الشيخ–الدكتور–المفكر–محمد–عبد–الله–دراز**. https://www.odabasham.net/.

الروحي. كتبه، مثل "دستور الأخلاق في القرآن"، تظهر اهتمامه بفهم القيم الأخلاقية من منظور إسلامي، مما يساهم في تعزيز التفكير النقدي بين طلابه والباحثين.

٤. التفاعل مع القضايا المعاصرة: تناول الشيخ دراز قضايا معاصرة مثل الاقتصاد الإسلامي والحقوق، وقدّم رؤى تعكس الفهم العميق للإسلام في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية. هذه الجوانب تبرز أهمية فكره في معالجة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، مما يساهم في تطوير حلول فعّالة تعكس روح الدين.

٥. تأثيره على الأجيال الجديدة: لقد أسس الشيخ دراز مدرسة فكرية متكاملة، جعلت منه مرجعًا للعديد من العلماء والباحثين الذين تأثروا بأفكاره ومنهجه. تتجلى آثار تراثه العلمي في أعمال تلامذته والمفكرين اللاحقين، مما يعزز من استمرارية تأثيره الفكري عبر الزمن.

وفي المجمل، يُعَدُّ التراث العلمي للشيخ محمد عبد الله دراز ثروة فكرية غنية تساهم في إثراء الفكر الإسلامي وتعزيز الحوار بين الثقافات، مما يجعله شخصية محورية في دراسة الفكر الإسلامي المعاصر.

المطلب الثّاني: نوعية التصانيف عند الشّيخ دراز

تمهيد

تُعَدُّ التصانيف الكثيرة للشيخ محمد عبد الله دراز تجسيدًا لعمق فكره وتنوع اهتماماته، وهي نتاج لعدة أسباب تتعلق بشخصيته العلمية وثقافته الواسعة. كان الشيخ دراز عالما موسوعيًا، يجمع بين دراسة العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية، مما أفضى إلى إنتاجه لعددٍ كبير من المؤلفات التي تلبي احتياجات العصر وتطرح حلولًا لقضايا معاصرة .

أولًا، كانت رغبة الشيخ دراز في إحياء الفكر الإسلامي إحدى الدوافع الأساسية لتأليفه. حيث اعتبر أن العالم الإسلامي كان في حاجة ماسة إلى تجديد الفكر والدعوة إلى إحياء التراث الإسلامي بما يتناسب مع التحديات الجديدة.

ثانيًا، تنوع مجالات اهتماماته أدى إلى تصنيفاته المتعددة، إذ تناول مواضيع تتراوح بين العقيدة، والاقتصاد الإسلامي، والأخلاق، والفلسفة، مما جعله مرجعًا هامًا في كل من هذه المجالات.

ثالثًا، كان الشيخ دراز ملتزمًا بتطوير التعليم ورفع مستوى الوعي الثقافي والديني بين الشباب، مما دفعه إلى تأليف كتب تُعنى بالأسئلة الشائعة والقضايا التي تهم المسلمين في عصره، مستندًا في ذلك إلى أسلوبٍ سهلٍ ومشوق يُمكن الفئات المختلفة من فهم الأفكار المعقدة.

رابعًا، أهمية العمل الجماعي الذي برز من خلال مشاركته في المؤتمرات والندوات العلمية، إذ ساهمت هذه المشاركات في توسيع مداركه وفتحت له آفاقًا جديدة للتأليف.

خامسًا، التفاعل مع ثقافات أخرى نتيجة دراسته في السوربون وتعامله مع باحثين من مختلف الخلفيات، مما أضفى على كتاباته طابعًا عالميًا وجعلها تتضمن رؤى متعددة تسهم في إثراء الفكر الإسلامي.

بهذا، يعكس التراث العلمي للشيخ محمد عبد الله دراز استجابة فعّالة لمتطلبات العصر، مما جعله أحد أبرز المفكرين الذين ساهموا في تطوير الفكر الإسلامي في القرن العشرين.

وتذكر الباحثة جعوان مبروكة في رسالتها نقلاً من مرجع قد صعُب على الباحث الوصول إلى ذلك المرجع. أن الشيخ محمد عبدالله دراز قد رزق نباهة ساطعة في الدوائر العلمية لأن الرجل كان طرازاً خاصاً من المفكرين حيث لم يكن يكتب غير الجديد الطريف، الذي لم يسمع به القارئ من قبل ... لذلك كان محمد عبد الله دراز نمطا نادرا فيما يكتب لأنه يؤثر البحث الهادئ دون عجلة و ويضع المحكمة دون تسرع ولا يهمه طال الأمد و قصر فالذي يهمه جدا أن يستخرج من المعلوم مجهول وأن يكتب في موضوع قد اشتهر بين الناس يأتي بما يجهل الناس[٨٠].

---

[٨٠] ينظر: جعوانة مبروكة، **منهج الشيخ محمد عبدالله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم**، مذكرة لاستكمال متطلبات الماجستير: تخصص: تفسير وعلوم القرآن، **جامعة أحمد دراية**_ أدرار كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية: قسم: العلوم الإسلامية، السنة الجامعية: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦- ٢٠١٥هـ. ص٨. منقول..

ويذكر لنا الشيخ دراز بنفسه في مقدمة كتابه دستور الأخلاق أسباب دواعي تأليف الكتاب مستشهداً بكلام من قبله من العلماء[٨١] أن الكاتب لاينبغي له أن يقدم إلى التأليف إلا أن يكون أحد أقسام سبعة وهي تُعتبر من أسباب التّأليف، قال: "لا يؤلف أحد كتابًا إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي: إما أن يؤلف من شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره، دون أن يخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه" [٨٢]. "هذه القاعدة الرشيدة التي قالها عالم أزهري، من علماء القرن السابع عشر الميلادي، تحتفظ دائمًا بقيمتها، وهي تدعو دائمًا كل كاتب أن يسير على نهجها. ولسوف يكون لدى قارئنا الواعي فرصة أن يقدر إلى أي مدى يوفي كتابنا –الذي نقدمه اليوم إليه– بهذه الشرائط؛ فلم يكن شروعنا في هذا المؤلف الجديد عن القرآن، عبثًا نضيع فيه وقتنا، ونثقل به على قرائنا، ونزحم به مكتباتنا، فإذا لم يأتِ عملنا هذا بشيء جديد في عالم الشرق أو الغرب، فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقال"[٨٣].

ومن أسباب كتابة الشيخ دراز لكتابه "دستور الأخلاق في القرآن" مجمل هذه الأسباب التالية:

الأول: عدم اهتمام علماء الأخلاق الغربيين للأخلاق القرآنية وهذا يُعتبر ظلمٌ واضحٌ وإغفالٌ للحقائق الثابتة التي لايمكن انكارها.

الثانية: أنّ هناك بعض الجهود والمحاولات التي قُدمت بدراسة الأخلاق في القرآن إلا أنها كانت محدودة، وهي غير موافقة للنظرية الأخلاقية في القرآن.

الثالثة: تعريف المجتمع الأوربي الغربي الوجه الحقيقي للأخلاق في القرآن الكريم.

الرابعة: إهمال الكاتبين الباحثين المسلمين في كشف واستخراج النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم.[٨٤].

---

[٨١] ينظر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، (بيروت: دار صادر، د.ن، د.ت،)، ج٤، ص٤١.

[٨٢] ينظر: **دستور الأخلاق**، ص٢٩.

[٨٣] المرجع نفسه، ص٢٩.

[٨٤] ينظر: شيخ أحمد مصطفى فضيلة، **حول رسالة دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبدالله دراز**، ص١٩.

خلاصة المطلب الثاني

وهنا تحليل خاص لأسباب التصانيف الكثيرة والوفيرة للشيخ الجليل محمد عبد الله دراز:

١. إحياء الفكر الإسلامي: تعكس هذه الرغبة إحساسًا عميقًا بالمسؤولية تجاه الأمة الإسلامية وضرورة تقديم حلول لمشاكلها. يمثل هذا الدافع نوعًا من الإيجابية والشغف بالفكر، مما يعزز الشعور بالذات ويمنح الشيخ دراز هدفًا واضحًا في حياته. كما تأتي هذه الرغبة أيضًا استجابة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم الإسلامي. تتطلب هذه المتغيرات تجديد الفكر الإسلامي لمواكبة العصر، وهو ما يتطلب تحليلًا علميًا عميقًا يستند إلى دراسة شاملة للتاريخ والتراث.

٢. تنوع مجالات الاهتمام: يدل هذا التنوع على شخصية فضولية تسعى لاكتساب المعرفة من مصادر متعددة. كما يشير إلى قدرة الشيخ دراز على التفكير النقدي والتأمل في قضايا متعددة، مما يعزز من شعور النجاح والتحقيق الذاتي. هذا بالإضافة إلى التنوع في الموضوعات جاء أيضًا نتيجة للانتقائية العلمية، حيث تمثل الفلسفة، والأخلاق، والعقيدة مجالات متداخلة تسهم في فهم أعمق للأفكار الإسلامية؛ هذا التنوع يعكس قدرة فكرية على الربط بين المعرفة الدينية والمعاصرة.

٣. رفع مستوى الوعي الثقافي: يتجلى هذا الالتزام كنوع من الرغبة في تحسين جودة حياة الآخرين. يشير ذلك إلى إنسانية عالية وشعور بالتضامن مع المجتمع، مما يعزز من شعور الفرد بجدوى عمله وتأثيره الإيجابي. كما أنه من الناحية العلمية تُعتبر هذه الجهود ضرورية في ظل التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مساهمة فعالة في رفع الوعي في تعزيز التفكير النقدي والبحث العلمي، وهو ما يحقق تطورًا اجتماعيًا.

٤. المشاركة في العمل الجماعي: تدل المشاركة في المؤتمرات والندوات على رغبة في التواصل وتبادل الأفكار، مما يعزز الشعور بالانتماء ويعكس فهمًا عميقًا لأهمية العمل الجماعي في تطوير الفكر. كما يعتبر هذا التواصل الفعال مع العلماء مصدرًا

للمعرفة والتنوع الفكري، هذا بالإضافة إلى أنه يتيح للباحثين استكشاف أفكار جديدة ودمجها في كتاباتهم، مما يُثري المحتوى العلمي.

٥. التفاعل مع الثقافات الأخرى: يُظهر هذا التفاعل قدرة على الانفتاح والتقبل للآراء المختلفة، مما يعزز الشعور بالتسامح والوعي الثقافي، كما أنه يُمكن أن يُعزز مسألة الإبداع الفكري. كما أن التفاعل مع الثقافات الأخرى يُغني الفهم العلمي ويوفر رؤى جديدة، وأساسًا لتطوير أفكار جديدة تسهم في إثراء الفكر الإسلامي.

٦. أسباب منهجية للتأليف: تنم هذه الأسباب عن منهجية واضحة وهدف متسق في التأليف؛ كما أنها تعكس الحاجة إلى التأصيل والابتكار، مما يمنح الشيخ دراز شعورًا بالأمان النفسي عند كتابة ما هو جديد ومفيد. من جهة أخرى، تُعتبر هذه المنهجية دليلاً على تفكير منهجي وعلمي دقيق. يعكس التركيز على تقديم معلومات جديدة أو استكمال موضوعات ناقصة التزامًا بمعايير البحث العلمي، مما يُعزز من جودة الأعمال الأدبية والعلمية. بهذا الشكل، تُعبر تصانيف الشيخ محمد عبد الله دراز عن تفاعل غني بين الدوافع النفسية والقدرات العلمية، مما أسهم في تشكيل إرث فكري راسخ ومؤثر.

المطلب الثّالث: مدرسته القرآنية

تمهيد

تعتبر مدرسة الشيخ محمد عبد الله دراز القرآنية إحدى المدارس الفكرية البارزة التي ساهمت بشكل كبير في تجديد الفهم الإسلامي وتطويره. حيث أسس الشيخ دراز منهجًا علميًا مستندًا إلى القرآن الكريم، مبرزًا قيمه ومبادئه بشكل يتناسب مع التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمع الإسلامي. تميزت هذه المدرسة بالتفرد والعمق، إذ لم تكن مجرد مدرسة تعليمية، بل كانت إطارًا فكريًا يشمل الفلسفة والأخلاق والعقيدة، متجاوزةً الفهم التقليدي للنصوص. من جهة أخرى، تجسدت رؤية الشيخ دراز في دعوته إلى ضرورة إحياء الفكر الإسلامي من خلال قراءة متجددة للقرآن، حيث اعتبر أن القرآن هو المصدر الأساسي لكل العلوم والمعارف، ويمثل مرجعية قوية في معالجة القضايا المعاصرة. وقد ساهمت هذه الرؤية في خلق حوار مثمر بين التراث والحداثة،

مما أسفر عن إنتاج مجموعة من المؤلفات التي تلامس مختلف جوانب الحياة الإسلامية. والمدقق يجد أنه من خلال دراساته وأعماله، قام الشيخ دراز بتأسيس قاعدة علمية راسخة تُعنى بفهم النصوص القرآنية بأسلوب نقدي وعميق، مما عزز من مكانته كأحد أبرز المفكرين في القرن العشرين. تميزت مدرسته أيضًا بالتفاعل مع الثقافات الأخرى، مما أضفى بعدًا عالميًا على أفكاره ومؤلفاته.

وفي ظل هذه السياقات، تقدم مدرسة الشيخ عبد الله دراز القرآنية نموذجًا مثاليًا للتجديد الفكري والإبداع في الفكر الإسلامي، مما يجعل من دراساتها ونتاجه العلمي إرثًا يستمر في التأثير على الأجيال الجديدة من العلماء والمفكرين.

من جهة أخرى، ترعرع الشيخ دراز في منزلٍ قرآنيّ وتربى في ظله يستظل به في أيامه كله[٨٥] وذلك أنّ والده كان أساسه في تربية أولده القرآن وهو اللبن الأولى له في حياته قراءة وتفسيرا وعملاً، فكان لذلك أثر كبير في نفس الشيخ دراز[٨٦] حيث أنه حفظ القرآن في سنّ مبكر[٨٧] ثم بدأ يتلقى العلوم الأساسية التي تعينه في فهم معاني القرآن والتّعامل معه بدءً من والده ومروراً من أساتذته حتى بلغ في العلم ذروة سنامه وذلك كله حازه بتعلقه بالقرآن الكريم الدائم، أثمر ذلك في شخصيته إلى أن بلغ في تأسيس مدرسة قرآنية، الملائم لخطاب العقلية المعاصرة في فهم معطيات العصر الراهن، وتصبح تلك المدرسة مرجعا لكل من جاء بعده يبتغي كشف أسرار القرآن وينهل من منهجه في التعامل مع النص القرآني واسقاطه في ظل القضايا المعاصرة.

كان اهتمام الشيخ دراز العلمي بالقرآن الكريم هو المحرك الرئيسي لكل أعماله، فلم يكن لديه أي عمل علمي—سواء كان كتابًا، أو رسالة، أو محاضرة أو مقالة—إلا وكان

---

[٨٥] كان مواظباً لقراءة القرآن ليلاً ونهاراً حتى زوّاره شهد له بذلك حيث أنه كان يتلوه آناء الليل والنهار فهو يُعتبر شغله الشاغل ويتعبد به في قراءته وتدبره وكان وقته معموراً بذكر الله وفعل الخير وخدمة العلم. ينظر: د. يوسف القرضاوي، **في وداع الأعلام**، ص٣٧.

[٨٦] ينظر: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، **محمد عبدالله دراز دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص٢٢.

[٨٧] حفظ القرآن وهو فتى يافع لما يُكمل بعدُ العقد الأول من سنيه، لم يكن أحد يراه يختلى بنفسه إلا ذاكرا لله، أو تالياً لكتاب الله. ينظر: محمد بن المختار الشنقيطي، **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: حياته وآثاره**، ص٢٢-٢٦.

القرآن هو محور اهتمامه وجوهره. حتى المواضيع التي قد لا ترتبط مباشرة بالدراسات القرآنية وفق التصنيفات التقليدية، كان الشيخ دراز يتناولها دائمًا من منظور قرآني. لم يستطع الشيخ كبح شغفه بكتاب الله وتعلقه العميق به، حيث كان يتتبع ألفاظ القرآن بتفانٍ وإخلاص، ويصفها بأنها "حبَّاتٌ دُرِّية"[٨٨]. ومع ذلك، يوجد بعض الباحثين المعاصرين الذين يرون أن الشيخ دراز تأثر بطريقة تفسير الإمام عبده، لكن هذه الدعوة لا تصح بشكل مطلق، بل تنطبق فقط على بعض الجوانب، مثل التفسير الموضوعي للسورة. يجدر بالذكر أن الشيخ دراز يمتلك سمات فريدة وخاصة في منهجه في التفسير. ومن أبرز هذه السمات هو تمسكه بمنهج السنة الشريفة في فهم القرآن، حيث لم يقدم النظر العقلي المجرد كحاكم على القرآن. بل كان يركز على إعمال العقل في إطار فهمه وتمحيص لغة القرآن، متأملاً في معانيه ومراد الشارع، مما يساهم في حماية المسلمين من الوقوع في البدع.[٨٩]

وتتمثل تلك المدرسة في بطون تلكم الكتب التي ألفها وقدمها للأمة، وكل ذلك يجعل القرآن هو نقطة ارتكازه دائماً، ويعتمد في استخلاصه للإجابة الشافية على المسائل المطروحة اعتمادا مباشراً على النصوص القرآنية[٩٠] وإبراز الطابع العام للأخلاق التي تستمد من كتاب الله الحكيم،[٩١] فعلى سبيل المثال يمكن ارجاع ذلك إلى المحورين:

المحور الأول: النظرية التي تقوم عليها المبادئ الأخلاقية في القرآن الكريم، وقد ناول الشيخ دراز هذا القسم تحت فصول خمسة في كتابه دستور الأخلاق: الإلزام والمسؤولية والجزاء، والية ودوافعها، والجهد.

المحور الثاني: الأخلاق العملية في القرآن الكريم وقد جاء في خمسة فصول تتحدث عن الأخلاق الفردية، والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية والأخلاق الدينية، وأخلاق الدولة، ثم ختمت الرسالة ببحث إجمالي أوجز فيه أمهات الفضائل الإسلامية. وأيضاً قد انتشر بين العلماء وخاصة

---

[٨٨] المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣.

[٨٩] ينظر: **من روائع التفسير للإمام: محمد عبدالله دراز**، ص٥٠-٥١.

[٩٠] ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، ص أي.

[٩١] المرجع نفسه، ص ي.

دارسي علوم القرآن والتّفسير، أنّ الشيخ دراز من أوائل من قالوا بالتفسير الموضوعي للسورة القرآنيّة، ومن أقدر العلماء تطبيق منهج "وحدة التفسير الموضوعية" للسورة القرآنية[٩٢].

خلاصة المطلب الثالث

ظهرت العلامات الفارقة في هذا المطلب من خلال النقاط الآتية:

١. منهج تجديدي: أسس الشيخ محمد عبد الله دراز مدرسة فكرية متميزة تعتمد على القرآن الكريم كمصدر أساسي لفهم الإسلام، مما ساهم في تجديد الفكر الإسلامي وتطويره لمواجهة التحديات المعاصرة.

٢. تفاعل مع الثقافات: تميزت المدرسة بالتفاعل مع الثقافات الأخرى، مما أضفى طابعًا عالميًا على أفكاره، وجعل مؤلفاته تتضمن رؤى متعددة تسهم في إثراء الفكر الإسلامي.

٣. فهم النصوص القرآنية: اتبع الشيخ دراز منهجًا علميًا عميقًا في دراسة القرآن، حيث كان يتناول المواضيع المختلفة من منظور قرآني، مما يعكس شغفه العميق بكتاب الله.

٤. أعمال مؤثرة: قدم الشيخ دراز مجموعة من المؤلفات القيمة التي تلامس جوانب الحياة الإسلامية، وتشتمل على تفسير موضوعي للسور، مما يجعله مرجعًا مهمًا للباحثين.

٥. التأكيد على الأخلاق: تناولت المدرسة القرآنية مبادئ الأخلاق من منظور قرآني، حيث تناول الشيخ دراز في كتابه "دستور الأخلاق" النظرية الأخلاقية والفضائل الإسلامية.

٦. إرث علمي مستمر: يظل تراث الشيخ دراز العلمي في فهم القرآن وتعاملاته مع النصوص مرجعًا للأجيال الجديدة من العلماء والمفكرين، مما يساهم في استمرارية تأثير مدرسته الفكرية.

---

[٩٢] ينظر: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، **من روائع التفسير للإمام محمد عبدالله دراز**، راجعه: د. حمدي الأدهم، (دار مفكرون: د.ط، د.ت)، ص١٢-١٣.

الفصل الثّالث

القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني

تمهيد

يمثل التعامل مع النص القرآني أحد الجوانب الأكثر أهمية في الفكر الإسلامي، حيث يشكل الأساس الذي يقوم عليه الفهم الصحيح للدين وتطبيقاته في الحياة اليومية. في هذا السياق، برز الشيخ محمد عبد الله دراز كأحد أبرز العلماء الذين وضعوا قواعد منهجية راسخة في دراسة وتفسير القرآن الكريم. فقد قام بتطوير إطار شامل يمزج بين الفهم العميق للنصوص القرآنية والوعي بالتحديات المعاصرة، مما مكنه من إنتاج رؤية متكاملة تعكس تفاعله العميق مع معاني القرآن.

من جهة أخرى، تتضمن منهجية الشيخ دراز عدة جوانب رئيسية، منها التأكيد على أهمية النصوص الشرعية والسنة النبوية كمرجع أساسي لفهم القرآن، وإعمال العقل في إطار التعاليم الإسلامية دون تجاوز الحدود الشرعية. كما دعا إلى ضرورة قراءة القرآن بشكل موضوعي يبرز القيم والأخلاق المستمدة منه، مما يعكس رؤيته الخاصة في تيسير فهمه للأجيال الجديدة.

إن هذه القواعد والمنهجية التي وضعها الشيخ دراز لا تقتصر على كونها أسسًا نظرية، بل تُعبر أيضًا عن استجابة فعالة لاحتياجات العصر وتحدياته، مما يجعلها ذات قيمة عالية في سياق الدراسات القرآنية الحديثة. في هذا الفصل، سنتناول بالتفصيل تلك القواعد والمنهجيات التي اعتمدها الشيخ دراز في تعامله مع النص القرآني، ونستعرض الأبعاد المختلفة التي أضافها إلى مجال التفسير والبحث العلمي.

وفي هذا الفصل مباحث ومطالب، وهي تظهر بالشكل الآتي:

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات

المطلب الأول: مفهوم القواعد لغةً واصطلاحاً.

الفرع الأول: القواعد لغةً.

الفرع الثّاني: القواعد اصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً:

الفرع الأول: المنهج لغةً.

الفرع الثّاني: المنهج اصطلاحاً

المطلب الثالث: المقصود بالتّعامل مع النص القرآني:

الفرع الأول: التّعامل لغةً.

الفرع الثّاني: التّعامل اصطلاحاً.

المطلب الرابع: مفهوم النّص القرآني.

الفرع الأول: النّص لغةً.

الفرع الثاني: النّص اصطلاحاً.

الفرع الثالث: القرآن لغةً.

الفرع الرابع: القرآن اصطلاحاً.

المطلب الخامس: أنواع التّفسير من حيث مناهج المفسرين.

المبحث الثاني القواعد والأحكام التطبيقيّة التي تعين على فهم القرآن وتفسيره في منظور شيخ دراز:

المطلب الأول: (الأحكام الأخلاقية الأسرية التي تعين على فهم القرآن).

الفرع الأول: الحقوق والواجبات الأخلاقية بين الأصول والفروع.

الفرع الثاني: الواجبات الأخلاقية المشتركة بين الأزواج.

المطلب الثاني: (القواعد الأخلاقية الاجتماعية في القرآن).

الفرع الأول: المحظورات التي تتضمن حفظها صيانة المجتمع.

الفرع الثاني: الأوامر والآداب التي تؤصل روابط المجتمع.

المبحث الثالث: كيفية تعامل الشّيخ دراز مع النّص القرآني

المطلب الأول: التفسير الموضوعي عند الشّيخ دراز

الفرع الأول: مفهوم التّفسير الموضوعي

الفرع الثاني: نماذج التفسير الموضوعي عند الشيخ دراز

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية: (للسورة القرآنية)

الفرع الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية

الفرع الثاني: نماذج الوحدة الموضوعية عند الشيخ دراز

المطلب الثالث: الاعجاز القرآني

الفرع الأول: مفهوم الإعجاز القرآني

الفرع الثاني: نماذج من الاعجاز القرآني عند الشيخ دراز

تمهيد

يُعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول والأساس في التشريع الإسلامي والفكر الحضاري، ويحتلُّ مكانةً مركزية في توجيه السلوك الإنساني ورسم معالم الحياة الاجتماعية والفكرية. وقد أثار هذا النص العظيم اهتمام العلماء عبر العصور، فأفردوا له مناهج دقيقة وأدوات منهجية لدراسته وفهمه وفق أصول علمية رصينة. ومن بين أعلام العلماء الذين أبدعوا في وضع قواعد منهجية للتعامل مع النص القرآني، يبرز اسم الشيخ محمد عبدالله دراز (رحمه الله) كأحد الرواد الذين جمعوا بين عمق الفهم للنصوص الشرعية واستيعاب العلوم الحديثة .

اشتهر الشيخ دراز بمنهجه المتوازن الذي يمزج بين الأصالة والمعاصرة، إذ عمل على تقديم رؤية منهجية دقيقة تتسم بالشمولية والموضوعية في فهم القرآن الكريم وتحليله. وقد كان اهتمامه منصبًا على كيفية استنباط المعاني والدلالات من النص القرآني وفق قواعد تضمن تحقيق مقاصد الشريعة وإظهار إعجاز النص في جوانبه المختلفة .

يتناول هذا الفصل "القواعد المنهجية للشيخ دراز في التعامل مع النص القرآني"، حيث يُسلط الضوء على الأسس التي اعتمدها في دراسته للقرآن الكريم، والآليات التي استخدمها لفهم النصوص وتحليلها، ودوره في إرساء قواعد علمية متينة لدراسة كتاب الله. ومن خلال هذا الطرح، نسعى لاستجلاء الجوانب الإبداعية في منهجه، وتسليط الضوء على إسهاماته في تعزيز الدراسات القرآنية المعاصرة بما يتفق مع متطلبات العصر ويحافظ على ثوابت التراث الإسلامي. وفيه مباحث ومطالب تندرج تحتها بعض فروع:

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات

تمهيد

تساعد دراسة المصطلحات بشكل علمي في تحديد المفاهيم والمعاني المرتبطة بالنصوص القرآنية. فكل مصطلح يحمل دلالات معينة، وفهم هذه الدلالات يساعد المفسر على استيعاب المقصود من الآيات بشكل دقيق. على سبيل المثال، مصطلحات مثل "القواعد" و"المنهج" تحمل في طياتها معاني عميقة تتطلب استقراء دقيق لفهمها. فعندما يتم تحليل المصطلحات بشكل علمي، يتمكن المفسر من الربط بين مختلف النصوص القرآنية. هذا الربط يمكن أن يكشف عن نظام متكامل من الأفكار والمبادئ التي تشكل البنية الأساسية للفكر الإسلامي. على سبيل المثال، إذا كان المفسر ملمًا بمعاني "القواعد" و"المنهج"، فإنه يستطيع رؤية كيف تتداخل هذه المفاهيم في آيات مختلفة وتساهم في بناء صورة شاملة عن كيفية التعامل مع النصوص القرآنية.

من جهة أخرى، فإن النظر في المصطلحات يساهم في تعزيز القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص. المصطلحات المتعلقة بالقواعد والمنهج تلعب دورًا حاسمًا في فهم كيفية تفسير الآيات واستنباط الأحكام الشرعية منها. فالمفسر الذي يملك فهماً عميقًا لهذه المصطلحات، يمكنه أن يستخلص أحكامًا واضحة وموحدة من النصوص، مما يسهم في تطبيق الشريعة بشكل صحيح.

إن تعريف المصطلحات يساعد على تجنب اللبس والاختلاف، ففهم المصطلحات بشكل علمي يساعد في تجنب اللبس والاختلافات التي قد تظهر بين العلماء والمفسرين، فعندما يكون هناك تعريف واضح ودقيق لمصطلحات "القواعد" و"المنهج"، فإن ذلك يقلل من احتمالية التفسير الخاطئ أو المنحرف للنصوص، كما أن ذلك يساهم في تعزيز الحوار العلمي والنقد البناء بين المفسرين.

فالنظر العلمي في المصطلحات يفتح آفاقًا جديدة للبحث والدراسة. فالعلماء والمفسرون الذين يدرسون القواعد والمنهج ويحللونها يمكنهم تقديم رؤى جديدة وأفكار مبتكرة حول النصوص القرآنية. هذا التوجه يسهم في تجديد الفكر الإسلامي ويعزز من قدرة الدراسات القرآنية على التفاعل مع التحديات المعاصرة. كما أنه عندما يتم النظر في المصطلحات الإسلامية بشكل علمي، يصبح من الممكن مقارنة تلك المصطلحات بما يماثلها في الثقافات

والأديان الأخرى. هذا التفاعل يعزز الفهم المتبادل ويسهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في العالم الخارجي. من خلال هذا الفهم، يمكن للمفسر أن يقدم تفسيرات أكثر شمولية ودقة تعكس جوهر الرسالة الإسلامية.

أخيرًا، تساعد دراسة المصطلحات في تطوير منهجية التفسير. فالمفسر الذي يملك أدوات تحليل المصطلحات يمكنه أن يضع أسسًا علمية لتفسير النصوص، مما يسهم في بناء منهجيات واضحة تسهل دراسة القرآن وتفسيره بشكل منهجي.

المطلب الأول: مفهوم القواعد لغةً واصطلاحاً.

تمهيد

إن أهمية النظر في المصطلحات بشكل علمي لا تكمن فقط في توضيح المعاني والدلالات، بل تتجاوز ذلك لتشمل تعزيز الفهم العميق للنصوص القرآنية، وتيسير عملية استنباط الأحكام الشرعية، وتوفير إطار علمي يسهم في تطوير الفكر الإسلامي وتعزيز التواصل مع الثقافات الأخرى. إن هذه الجوانب تجعل من دراسة المصطلحات ضرورية لكل مفسر وطالب علم يسعى لفهم القرآن الكريم بشكل شامل ودقيق.

وهذا المطلب ينقسم إلى فرعين: الفرع الأول: القواعد لغةً، والفرع الثّاني: القواعد اصطلاحاً.

الفرع الأول: القواعد لغةً

هي جمع قاعدة، وتطلق بمعنى الأصل والأساس الذي يبنى عليه دائماً غيره ويعتمد؛ وكل قاعدة فهي أصل للتي فوقها ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة:١٢٧]. وقاعدة الباب هي الأصل الذي يبنى عليه مسائله. فلايختلف في علم دون علم، فالقاعدة من ناحية اللغة وُضِع لما هو الأساس لشيءٍ؛ سواء أكان حسيّاً أو معنويّاً، على نحو ينعدم الشيء ويضمحلّ بسبب انتفائه، وهكذ البيت مثلًا ينعدم بانعدام أصوله، والدين يندرس باندراس أساسه، والعلم ينتفي بانتفاء القواعد

الكليّة الموجودة فيه[1]. يقول ابن منظور[2]: «والقاعدة : أصل الاسّ، والقواعد: الإساس، وقواعد البيت إساسُه. واستدل بنفس الآية التي سبقت ذكرها، وهذه الآية أيضاً قوله تعالى: ﴿**فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ**﴾ [النحل:٢٦]، وَقَالَ ابنُ الأَثير[3] المراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل، تشبيها بقواعد البناء. ويقول: الزجاج[4]: "القواعد أساطين البناء الّتي تعمده، وقواعد الهَوْدَج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركّب عيدان الهودج فيها"[5]. والْقَاعِدَة: "من الْبناء هو أساسه"[6]. والملحوظ في هذه التّعريفات اللّغوية: أنّ هناك دلالة تدل على الرسوخ والانتصاب والثبات مع قيام غيره عليها، فقاعدة كل شيء أساسه وأصوله التي ينبني عليها.

---

[1] نظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، **معجم مقاييس اللغة**، (مادة قعد) (دمشق: دار الفكر، دط. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٥، ١٠٧. وانظر: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفَوي، تحقيق: د، عدنان درويش ومحمد المصري، **الكليّات**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٧٠٢. وانظر: خالد بن عثمان السّبْت، **قواعد التفسير جمعًا ودراسةً**، (السعودية: دار ابن عفّان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٢٢-٢٣.

[2] انظر: سبق ترجمته في الصفحات السابقة

[3] هو الملقب بعز الدين، المعروف بابن الأثير الجزري، كنيته: أبو الحسن، ابن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ولد في ٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٥٥ هـ بالجزيرة المسماة في المصادر العربية الإسلامية بجزيرة ابن عمر عُرف ذلك قديماً. وهي داخلة ضمن حدود الدولة التركية الأن في أعالي الجزيرة السورية، وقد اعتنى به أبوه بتعليمه منذ صغره فكانت نشأته في تلك الجزيرة، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه، وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه " الكامل " ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ، وله مصنفات أخرى كُثر. هذا وبعد رحلة علمية طويل المدى في النفع والانتفاع توفي رحمه الله في شعبان سنة ثلاثين وستمائة، بالموصل. انظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٣، ص٣٤٨.

[4] هو الزجاج كنيته: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب الأمالي، ولد ببغداد سنة ٢٤١هـ وبها توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر – وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة – وثلثمائة، رحمة الله تعالى عليه، وقد أناف على ثمانين سنة.. كان يعمل في صناعة الزجاج، فتركها واشتغل بالأدب. تعلم على يد المبرد وثعلب النحوي وغيرهما. انظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٩.

[5] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٣٦١. وانظر: الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٩، ص .

[6] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، منهم: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط** (دار الدعوة)، ج٢، ص٧٤٨.

الفرع الثّاني: القواعد اصطلاحاً

أمّا معناها في الاصطلاح: يختلف باختلاف ما انتسب إليه ولكن كلها متقاربة المعاني نذكر منها ما نعتقد أنّها أنسب للمقصود هنا، القاعدة: هي حكم كليّ يُتعرف به على أحكام جزئيات[٧].

أما المقصود بالقواعد تعريفاً مركباً بالقرآن أوتفسيره فيمكن تعريفها بأنّها: مجموعة من الضوابط يستفيد منها المقدم على تفسير القرآن الكريم والتّعامل معه والباحث عن معاني آياته والمستنبط لدلالات أحكامه، فهي قواعد تعين المفسر، وتيسر له سبيل الفهم والاستقراء والاستنباط، والعلم بها والانضباط لما تقتضيه هما اللذان يؤهلان المفسر لإدراك مراد الله تعالى في كتابه[٨].

يعرف الشريف الجرجاني[٩] القاعدة: "بقضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"[١٠].

خلاصة المطلب الأول

١. تناول هذا المطلب مفهوم "القواعد" من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، موضحًا أهميتها في تعزيز فهم النصوص القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية. وينقسم إلى فرعين:

أولاً: القواعد لغةً: حيث أشار مصطلح "القواعد" في اللغة إلى الأصل أو الأساس الذي يبنى عليه شيء آخر. فالقاعدة تمثل دعامة أساسية، سواء في البناء الحسي أو المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**﴾ [البقرة: ١٢٧]، حيث تدل "القواعد" على

---

[٧] انظر: **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص١٠٧. وانظر: **الكليات**، ص٧٠٢. وانظر: خالد بن عثمان السّبْت، **قواعد التفسير جمعًا ودراسةً**، ص٢٢-٢٣.

[٨] انظر: د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس، **نظرات في قواعد تفسير القرآن الكريم**، (مقالة تحت إشراف: المملكة المغربية الرّابطة المحمّدبّة للعلماء ٢٠٢١م/ ٠٦/ ١٧)، منقول يوم الإثنين الموافق: ٢٠٢٣م/ ٠٣/٤. الرابط: https://www.arrabita.ma/blog.

[٩] هو المشهور بالشريف الجُرْجَاني، يلقب بفيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد سنة ٧٤٠هـ الموافق ١٣٤٠م في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. سنة ٨١٦هـ الموافق ١٤١٣م، وله نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات – ط " و " شرح مواقف الإيجي – ط " وغيرهما من الكتب المفيدة. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٧-٨.

[١٠] انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص١٧٦.

الأساسات التي يقوم عليها البناء. وتتميز الدلالات اللغوية للقاعدة بالرسوخ والثبات مع اعتماد غيرها عليها.

ثانياً: القواعد اصطلاحاً: تختلف تعريفات القواعد باختلاف المجال الذي تُنسب إليه، لكنها تتقارب في المعنى، فالقاعدة عمومًا هي حكم كلي يُستخدم لفهم أحكام جزئياته؛ أما في سياق القرآن الكريم وتفسيره، فتعرف القواعد بأنها مجموعة ضوابط تساعد المفسر على التعامل مع النص القرآني، وفهم معانيه، واستنباط أحكامه. هذه القواعد توفر إطارًا منهجيًا يعين المفسر على إدراك مراد الله تعالى في كتابه. ومن التعريفات الاصطلاحية للقاعدة قول الشريف الجرجاني: "قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها."

المطلب الثاني: مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: تعريف المنهج لغةً

يقول ابن فارس اللّغوي[١١]: أنّ كلمة منهج على وزن مفعل من الفعل الثلاثي، نهج؛ من ثلاثةِ حروف: النّون، والهاء، والجيم. أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج. والثّاني: الانقطاع. وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً، أي منقطع النفس. وضربت فلاناً حتى أنهج، أي سقط [١٢]. أما النّهجُ: فإنه يأتي بمعنى: الطّريق الواضحُ، وكذلك المنهجُ والمنهاجُ، يقال: أنهجَ الطّريقُ، أي: استبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً، وفلانٌ يستنهجُ سبيل فلانٍ، أي يسلك مسلكه..[١٣].

---

[١١] هو المشهور بابن فارس الإمام العلاّمة اللّغوي المحدث أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، وكنيته: أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي اللّغوي، نزيل همذان وصاحب كتاب المجمل. مولده بقزوين ومرباه بهمذان، وأكثر الإقامة بالريّ مات رحمه الله بالريّ في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مائة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص١٠٣-١٠٥.

[١٢] انظر: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٥، ص٣٦١.

[١٣] انظر: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)، ج١، ص ٥١٢.

فعند الإمام الفراهيدي[١٤] يعرف المنهج بأنه نهج يُقال: طريقٌ نَهْجٌ أي يُعنى به واسِعٌ واضِحٌ، وطُرُقٌ نَهْجةٌ على الجمع. ونَهَجَ الأمرُ وأَنْهَجَ- لغتان- معناه: وضح. ومِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه. والمِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ[١٥]. كما أنه يقال أيضاً: نهج الطريق نهجاً ونهوجاً أي وضحت له معالمه وظهرت له ملامحه واستبانت له فسلكه، واستنهج الطريق أي صار نهجاً، ونهج سبيل فلان أي اتبع مسلكه الذي سار عليه. ويقال: نهج الطَّريقُ، أي استبان[١٦]. وقال زين الدين أبو عبدالله[١٧] في تعريفه للمنهج: ن هـ ج: (النَّهْجُ) يأتي بِوَزْنِ الْفَلْسِ، وَالْمَنْهَجُ بِوَزْنِ الْمَذْهَبِ[١٨].

---

[١٤] هو االشيخ لخليل بن أحمد الفراهيديّ كنيته أبو عبد الرحمن له قدم صدق في اللّغة وفيلسوف العربيّة ومنشئ علم العروض، البصريّ وأحد الأعلام. كان مولده سنة مائة وتوفي: سنة بضع وستين ومائة وقيل بقي إلى سنة سبعين ومائة رحمه الله. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧، ص٢٣٠.

[١٥] انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٣٩٢.

[١٦] انظر: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٢، ص١٩٤.

[١٧] هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين، كنيته: أبو عبدالله، لغويّ ومفسر وأديب من فقهاء المذهب الحنفي أصله من الريّ. وهو صاحب كتاب مختار الصحاح وتحفة الملوك (في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان)، وغيرهما، وهو من رجال القرن الثامن سنة الوفاة: بعد ٦٦٦ هـ/١٢٦٨م. انظر: عادل نويهض، **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، تقديم: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، (بيروت – لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، ج٢، ص٥٠١.

[١٨] انظر: أبو عبدالله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصّحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص٣٢٠.

يقول الزَّبيدي[١٩] النَّهَج، جمعه نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ. وطُرُقٌ نَهْجَةٌ: وَاضحةٌ (كالمِنْهَج) ، بِالْكَسْرِ. وفي القرآن قوله تعالى: ﴿**لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ [المائدة: ٤٨][٢٠].

يأتي المنهج في اللغة أيضاً عند ابن منظور اللّغوي[٢١]. قال: نهج: طريقٌ نَهْجٌ: والمقصود في ذلك: بَيِّنٌ واضِحٌ، وَهُوَ النَّهْجُ، وسبيل منهج: كنهج، ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج: كالمنهج واستشهد بالآية التي سبق ذكرها قبل هذه الصفحة قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨] وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً[٢٢]. ويعرف

---

[١٩] هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، كنيته أبو الفيض، علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من أهل التأليف يكثر تصنيف الكتب أصله من واسط في العراق وولد بالهند ونشأته في زبيد باليمن وسافر إلى الحجاز، وإقامته بمصر،وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدي ويصله بشئ لم يكن حجه كاملا! وتوفي بالطاعون في مصر، من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس – ط) عشرة مجلدات، و (إتحاف السادة المتقين – ط) في شرح إحياء العلوم للغزالي، عشرة مجلدات، طبعة مصر، مولده: (١١٤٥ هـ –توفي بمرض الطاعون في مصر سنة: ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م. انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٧، ص٧٠.

[٢٠] انظر: أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دمشق: دار الهداية، د.ط، د.ن)، ج٦، ص٢٥١.

[٢١] محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب لسان العرب الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر وقيل: في طرابلس الغرب سنة، (٦٣٠هـ، وتوفي سنة ٧١١هـ)، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٠٨.

[٢٢] انظر: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٢، ٣٨٣.

ابن كثير[٢٣]، وعرف المنهاج بأنّه: "الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله تعالى: ﴿**شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:٤٨]، بالسبيل والسنة"[٢٤].

هذا، ومن خلال ما تقدم من التّعريفات اللّغوية اتّضح للباحث معنى المنهج في اللغة، ونستخلص من ذلك هذه المفردات الآتية: الطّريق، الوضوح، الاستقامة، السعة، البيان، السّلوك، الوصول إلى المطلوب، السّهولة، الامهار، قطع النفس، السقوط.

الفرع الثّاني: تعريف المنهج اصطلاحاً

هناك ارتباط قويّ بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وإن اختلف بعض الجوانب، فيمكن للباحث استعراض بعض تلكم التعاريف للتوقف على المعنى المنهج اصطلاحاً عند العلماء، منها ما يلي:

---

[٢٣] يلقب بعماد الدين ويكنى بـ: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير عماد الدين أبو الفداء البصروي ثم الدمشقي الفقيه الشافعي المفسّر المحدّث المؤرخ المعروف بابن كثير ولد سنة ٧٠١هـ، وبعد ولادته بسنتين توفي أبوه ٧٠٣هـ، وفي قول توفي والده وحينذاك ابن كثير في السابعة من عمره، فتحولت أسرته إلى دمشق، ونزلت في الدار المجاورة للمدرسة النورية. وبعد ذلك حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة ٧١١هـ وقرأ القراءات والتفسير وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، حفظ، متن التنبيه في فقه مذهب الإمام الشافعي، ومختصر ابن الحاجب وغير هذه الكتب، وله مؤلفات كثيرة، منها: تفسير القرآن العظيم، وكتاب البداية والنهاية، وطبقات الشافعية، والسيرة النبوية لابن كثير. توفي الإمام بن كثير يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٧٧٤هـ في دمشق عن عمر يبلغ ٧٣ سنة. وَكَانَ قد أضرّ فِي أَوَاخِر عمره ودفع قرب قبر ابن تيمية شيخه في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م)، ج١، ص١-١٢. وانظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، (مجلس دائرة المعارف العثمانية : صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج١، ص٤٤٥-٤٤٦. وانظر: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق: بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج١، ص٦٧-٦٨.

[٢٤] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٣، ص١٢٩.

المنهج في الاصطلاح: هو: الطريق الواضح في التعبير عن شيء ما بنظام معيّن، بغية الوصول إلى غاية معيّنة[٢٥].

المنهج في الاصطلاح: وهذا المفهوم سينطبق العلوم التّطبيقيّة، مثل التّاريخ وغيره- هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" [٢٦].

كما أن مفهوم المنهج تركيباً إضافياً، يختلف باختلاف المجالات التي يضاف إليه (المنهج) ولذلك يرى الباحث إسناد كلمة المنهج- إلى جزءٍ آخر وهو المفسّر- بالمفرد أو بالجمع، فيناسب الموضوع الذي نحن بصدده. هذا، ويكون المقصود في معرفة مفهوم المناهجُ المفسرين وإن كانت مناهجهم قد تختلف بعضهم البعض نظراً لاختلاف المدارس والمصادر والأفكار ولكن الذي يهم الباحث هو القاء الضوء العام في معرفة مفهوم المنهج النظري المتفق عليه عند المفسرين بغض النظر هذه الاختلافات الموجوة، وهي سنة كونية في العباد.

وتتضمن هذه المفردات تعريفات الآتية:

الأول: المنهج: هو الطريق المستقيم الواسع الواضح معالمه المرسوم يسلكه الواضع للوصول إلى مطلوبه وبيان مبتغاه ثم ايصاله إلى غيره.

الثّاني: المنهج هو البرنامج الذي يحدد لنا السّبيل ويبيّنه للوصول إلى الحقيقة أو ذاك الطّريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، ومن الملحوظ أنّ هذه الألفاظ تعطي معاني عامة، فتندرج تحتها كل طريقة تؤدّي إلى عرض معلوم نريد الوصول إليه، وتصلح هذه التعريفات لكل مجال من المجالات الحياة[٢٧].

---

[٢٥] انظر: د. محمود النقراشي السيد علي، **مناهج المفسِّرين من العصر الأول على العصر الحديث**، (مكتبة النهضة: القصيم، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج١، ص١٣. منقول

[٢٦] انظر: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٣١٥.

[٢٧] انظر: عبدالرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، (وكالة لمطبوعات شارع فهد السالم: الكويت، ط٣، ١٩٧٧)، ص٥-٦.

تعريف مناهج المفسرين

هي الطرائق التي رسمها المفسرون، للسير على ضوئها في الكشف عن مراد الله تعالى، واستخراج حكم القرآن الكريم، واستقصاء القواعد الأخلاقية المكنونة فيه وفق وسعهم وطاقتهم البشريّة[٢٨] "فمنهج الماتريدي في التفسير مثلاً هو الطريق الذي سلكه للكشف عن معاني القرآن بواسطة مجموعة من السبل يسلكها اختطها لنفسه واختارها دون غيرها، للوصول إلى مراده من تفسيره للقرآن الكريم"[٢٩].

خلاصة المطلب السابق

١. يعتبر المنهج في المجال التربوي خريطة الطريق التي يعتمد عليها المعلمون في تنظيم وتوجيه العملية التعليمية. المنهج يحدد المعارف والمهارات التي يجب على طالب القرآن اكتسابها، بالإضافة إلى الأساليب والاستراتيجيات التي تُستخدم للوصول إلى هذه الأهداف. فالمنهج الواضح والمحدد يسهم في تسهيل التعلم للطلاب، ويعزز من قدرتهم على الاستيعاب والمشاركة الفعّالة.
٢. التطور الشخصي والنمو العقلي: المنهج يساهم في تطوير القدرات العقلية والنفسية لطلاب القرآن والمتخصصين في الدراسات القرآنية. فعند تصميم المنهج، من المهم أن يتواكب مع مراحل نمو المتعلم للقرآن العقلي والنفسي، ويعزز من قدراته على التفكير النقدي واتخاذ القرارات.
٣. يمكن أن يساعد المنهج في بناء الثقة بالنفس وتشجيع الطلاب المتخصصين في الدراسات القرآنية على التفكير المستقل واتخاذ المبادرات. كما أن اختيار أساليب تعليمية مناسبة مثل التعلم الذاتي والمشاريع الجماعية يمكن أن يعزز من قدرة الطلاب على مواجهة التحديات وتحقيق النجاح بشكل مستقل.

---

[٢٨] انظر: د. عيادة أيوب الكبيسي، **مناهج المفسرين بين الأثر والتّجديد عرض ونقد**، (مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الشارقة/ كلية الشريعة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص١٠٧.

[٢٩] **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة**، ج١، ص٣١٥.

٤. التحفيز والشعور بالإنجاز: المنهج الذي يركز على الأهداف الواضحة والمهام المحددة يعزز من الشعور بالإنجاز لدى الطلاب، مما يساهم في تحسين الدافع الداخلي لديهم ويزيد من اهتمامهم بالعملية التعليمية.
٥. تنمية القيم الاجتماعية: المنهج يجب أن يساهم في تعليم الطلاب المتخصصين في الدراسات القرآنية القيم الاجتماعية مثل الاحترام، التعاون، والمساواة. من خلال الأنشطة القرآنية التي تركز على هذه القيم، يمكن للمنهج أن يسهم في إعداد جيل واعٍ اجتماعيًا قادر على التعامل مع تحديات المجتمع بشكل إيجابي.

المطلب الثالث: المقصود بالتّعامل مع النص القرآني:

تمهيد

إن التعامل مع النص القرآني يعد من أسمى المهام التي يضطلع بها العلماء والمفسرون، إذ يتطلب هذا التعامل فهمًا عميقًا ودقيقًا لمضامين القرآن الكريم وأحكامه. فالنص القرآني ليس مجرد كلمات تُقرأ أو تُتلى، بل هو مصدر شامل للحكمة والإرشاد، يهدف إلى توجيه الإنسان نحو الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. لذلك، يتعين على المفسر أن يُبرز القيم والمعاني المتعددة التي يحملها النص، ويستخرج منها الأحكام التي تتعلق بحياة الفرد والمجتمع.

من جهة أخرى، يتطلب التعامل مع النص القرآني عدة جوانب، منها الفهم اللغوي والدلالي للألفاظ، والاستناد إلى السياق التاريخي والاجتماعي الذي نزل فيه الوحي. كما يجب أن يستند المفسر إلى أصول وقواعد علمية تيسر له استنباط المعاني، وتحفظه من الزلل في الفهم أو التطبيق. وتكتسب هذه المهمة أهمية خاصة في العصر الحالي، حيث تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات جديدة تتطلب قراءات معاصرة للقرآن، تبرز قدرته على معالجة القضايا الراهنة.

إضافة إلى ذلك، يشمل التعامل مع النص القرآني التفاعل مع التراث الفقهي والتفسيري الذي أُنتج عبر العصور، مما يسهم في تشكيل رؤية متكاملة تعزز الفهم العميق للإسلام وتيسر سبل تطبيقه في الحياة اليومية. بهذا، يصبح التعامل مع النص القرآني مسؤولية علمية وأخلاقية، تهدف إلى إحياء الفكر الإسلامي وتوجيه الأمة نحو تحقيق العدالة والرحمة التي ينادي بها القرآن.

ويتضمن هذا المطلب فرعان:

الفرع الأول: التّعامل لغةً

كلمة التّعامل: اسم تأتي فعله في اللّغة: تعامل، ويتعامل تَعامُلاً فهو مُتعامل ومفعوله مُتَعَامَل، يقال: تعامل الشّريكان أي كلّ واحد منهما عامل مع الآخر. وينطبق هنا طريقة التي يتعامل فيها الإنسان مع صديقه أو أي طرف من الأطراف أو موقف من المواقف مع مراعات استخدام الحكمة واختيار الأنسب[٣٠]. ويُراد في الموضوع الذي الباحث بصدده طريقة التي يسلكها المفسر في التعامل مع النّص القرآني أو الأساليب التي يُتبع بُغية كشف النقاب عن معاني النّص القرآني وسبيل استنباطه وِفق مراد الشرع الحنيف.

الفرع الثّاني: التّعامل اصطلاحًا

التّعامل في اصطلاح العلماء هو عبارة عن مجموعة من الطرق والأساليب والنّشاطات السّلوكية والمعرفية التي يتناولها الشّخص لقصد مواجهة الأعراض والمواقف الضاغطة لحل المشكلة ومعالجتها بما يناسب الحال والتّكيف مع الأحداث التي أدرك مخاطرها[٣١]. ومن هنا يرى الباحث ضرورة معرفة هذه الأساليب واعتمادها للتعامل مع النّص القرآني لقصد إبراز كنوزه. هذا، وخاصة في هذا العصر الحديث الذي كثرتْ فيه التغيّرات ومشاكل الأمة جَلّتْ عن وصفها؛ فعند معرفة المنهجية الصحيحة والطرق الواضحة تنقلص وتتلاشى هذه المشاكل فتحل السعادة للأمة.

---

[٣٠] ينظر: د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (عالم الكتب: رياض، ط١، ٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ)، ج٢، ص١٥٥٤.

[٣١] براخلية، عبدالغني: **أساليب التّعامل مع الضغوط النّفسيّة لدى عينة من تلاميذ السنة الثّالثة من التّعليم الثّنوي، مجلة الجامع في الدراسة النّفسية، والعلوم التّربويّة**، ع، جامعة محمد بوصياف، المسيلة، الجزائر، ٢٠١٦م، ص١١٤. وانظر: محمد فؤاد محمد عبد اللطيف، ومحمد عبد القوي شبل الغنام وكمال عجمي حامد عبد النبي، **منهج القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في التّعامل مع السّلوكيّات الخاطئة في ضوء آيات النهي (دراسة تحليلية)**، مجلة التربية كليّة التربيّة، ع، جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر، قسم التربية الإسلاميّة، العدد، ١٨٧، ج٥، ٢٠٢٠م، ص٢٠٧.

إذاً، فالتّعامل مع النّص القرآني قضية مهمة نظراً بهذا الواقع المؤسف الذي يعيش فيه المسلم اليوم فالشيخ **محمد الغزالي** رحمه الله هو ممن حاول معالجة هذا الموضوع وله كتاب قيّم مقدم بعنوان "كيف نتعامل مع القرآن"[٣٢]، هذا، ويطرح الشيخ عمر عبيد حسنة في مقدمته للكتاب سؤالاً مفيدًا: كيف يمكن التّعامل مع القرآن، وتدبر آياته، والإفادة من معطيات العلوم وآلات فهمها، ليكون القرآن مصدر المعرفة، وفلسفتها في شعاب العلوم الاجتماعية جميعًا؟ حيث لابد لنا إذا أردنا ذلك من العودة إلى القرآن كمصدر لمعارف الحياة، وفقه المعرفة والحضارة للقيام بدورنا بمسؤولية الشهادة على الناس، والقيادة لهم وإلحاق الرحمة بهم كل هذا يكون بمحاولة اظهار وتحقيق الرؤية القرآنيّة الكاملة بجوانبها المختلفة[٣٣].وعلى ذلك فيمكن القول بأنّ معظم مشكلة المسلمين اليوم هي قد يكون عدم معرفة طريق الفهم الصّحيح الموصل إلى التدبر وكسر الأقفال على العقول، وتجديد الاستجابة مع التقصير عن تجديد وسيلتها، ليكونوا في مستوى القرآن ومستوى العصر سواء. فالأزمة ليستْ غياب المنهج، بل فقدان وسائل التي تمكن فهم المنهج بما يوازن عقلية المعاصرة، وكيفيّة التّعامل مع النّص القرآني[٣٤].

خلاصة المطلب الثالث

١. يتناول هذا المطلب أهمية التعامل مع النص القرآني كأحد أبرز المهام التي يقوم بها العلماء والمفسرون، إذ يتطلب فهماً عميقاً لمضامين القرآن وأحكامه. فالنص القرآني يمثل مصدرًا شاملًا للحكمة والإرشاد، ويسعى إلى توجيه الإنسان نحو الفلاح في الدنيا والآخرة. يتعين على المفسر أن يستخرج القيم والمعاني من النصوص، ويستنبط الأحكام المتعلقة بحياة الفرد والمجتمع.

---

[٣٢] **كيف نتعامل مع القرآن**، كتاب عظيم جدا رفيع القدر يبين فضية فهم المناهج القرآنية وطرق التعامل مع القرآن حاول الشيخ محمد الغزالي من خلاله معالجة مواضيع مهمة جدا، كتاب متور وهذه الطبعة محققة منشورة: دار نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥م تحقيق: عمر عبيد حسمه.

[٣٣] انظر: محمد الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن؟**، تحقيق: عمر عبيد حسنة، (نهضة مصر: القاهرة، ط٧، ٢٠٠٥م)، ص٢١.

[٣٤] انظر: المرجع نفسه، ص١٣-١٤.

٢. ينقسم المطلب إلى فرعين: التعامل لغةً: حي يُعرَّف التعامل بأنه الأسلوب الذي يتبعه الفرد في التفاعل مع الآخرين أو المواقف، ويُشير في هذا السياق إلى الطرق التي يستخدمها المفسر لفهم النص القرآني وكشف معانيه. كما عرف التعامل في اصطلاح العلماء بأنه مجموعة من الأساليب والنشاطات المعرفية التي تهدف إلى معالجة المشكلات والتكيف مع التغيرات. يُبرز الباحث أهمية استخدام منهجيات واضحة للتعامل مع النص القرآني، خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة.

٣. ويشير المطلب إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن كمصدر رئيسي للمعرفة، مع التركيز على أهمية تجديد وسائل الفهم لتناسب عقلية العصر. كما يُعتبر فهم النص القرآني وتطبيقه مسؤولية علمية وأخلاقية، تسهم في تعزيز الفكر الإسلامي وتوجيه الأمة نحو تحقيق العدالة والرحمة.

المطلب الرابع: مفهوم النّص القرآني

تمهيد

يُعتبر النص القرآني جوهر الإيمان، ومصدر التشريع الأساسي للمسلمين، حيث يُمثل كلام الله تعالى الذي أُنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام. يتميز القرآن الكريم بجمال لغته وبلاغته، ويحتوي على معاني عميقة تعكس القيم الروحية والأخلاقية والعملية التي تشكل أسس الحياة الإنسانية. كما أنه يمثل القرآن الكريم دليلاً شاملاً يتناول جميع جوانب الحياة، بدءًا من العقيدة والعبادات، وصولًا إلى الأخلاق والسياسة والاجتماع؛ هذا بالإضافة إلى أنه يتميز النص القرآني بالتحدي البلاغي، حيث أُنزِل بلغة عربية فصيحة، وقد جاء بآيات تتحدى البشر أن يأتوا بمثله. وقد اهتم علماء المسلمين على مر العصور بتفسيره وفهم دلالاته، مما أدى إلى ظهور العديد من المدارس الفكرية والمناهج التفسيرية التي تسعى إلى فهم معانيه بطرق متنوعة.

إن التعامل مع النص القرآني ليس مجرد قراءة أو تلاوة، بل يتطلب فهماً عميقًا لمضامينه واستخراج الأحكام والقيم منه. يُعتبر السياق التاريخي والثقافي للنزول جزءًا أساسيًا من عملية

الفهم، حيث يسهم في توضيح معاني الآيات وتطبيقها على القضايا المعاصرة. وفي العصر الحديث، تتزايد التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مما يستدعي قراءات جديدة ومتجددة للقرآن، تُبرز قدرته على معالجة القضايا المستجدة وتقديم الحلول المناسبة لها. من هنا، يصبح فهم النص القرآني وتطبيقه بشكل صحيح واجبًا علميًا وأخلاقيًا، يستدعي من المفسرين والباحثين تضافر الجهود لتيسير سبل الوصول إلى معانيه وتحقيق تأثيره الإيجابي في الحياة اليومية للمسلمين.

وهذا المطلب ينقسم إلى فرعين:

الفرع الأول: النّص لغةً

يأتي بمعنى الظهور والارتفاع، تقول العرب في كلامهم، مثلاً: نصت الظبية رأسها، إذا أظهرته ورفعته، ونص فلان الحديث إلى فلان، إذا رفعه إليه، وهو بمعنى رفع الشيء إلى أقصى غاية له. ومن تفسير ذلك يقول ابن فارس: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، والنص في السَّير: أرفعه ... ونصُّ كل شيء منتهاه وغايته[٣٥]. ويُطلق النص لغة: على الإسراع في السير، ومنه جاء حديث: (إذا وجد فرجة نصَّ)[٣٦] أي: أسرع[٣٧].

---

[٣٥] انظر: لابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٥، ص٣٥٦. وانظر: القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، (د.ن، ط٢، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م)، ج٥، ص١٣٧.

[٣٦] الإمام البخاري، يروي الحديث في كتابه: **صحيح البخاري**: قال حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى، عن هشام، قال: أخبرني أبي، قال: سئل أسامة بن زيد رضي الله عنهما – كان يحيى يقول وأنا أسمع فسقط عني – عن مسير النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، قال: «فكان يسير العنق، فإذا وجد فجوة نص والنص فوق العنق» انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب: الجهاد والسير، باب: السرعة في السير، ج٤، ص٥٨، رقم الحديث: ٢٩٩٩.

[٣٧] انظر: محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الددو" الشنقيطي، **شرح الورقات في أصول الفقه**، (مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)، ج٣، ص١٥. http://www.islamweb.net.

الفرع الثاني: مفهوم النّص اصطلاحاً

يُعنى بالنصّ هنا النّص القرآني: خطابه المضمّن في ألفاظه، بعموم دلالاته وأحواله، الذي له من الصلاحية الربانية والتجرّد والإطلاق والعالمية ما يدرأ عنه التحيز ويضفي عليه كامل الموضوعية. وهي سمات لا تُرى إلا فيه وفيما صح من السُّنّة النبوية التابعة له؛ بيانًا وتفصيلًا، وهما أصلان لبقية أصول الشريعة، ومُستمَدُّ كلياتها وقواعدها المعتبرة. أشار الإمامُ الشاطبي إلى أصالة القرآن الكريم ومكانته في الشريعة الإسلامية في نصٍّ جامعٍ، يقول -رحمه الله-: «إنّ الكتاب قد تقرّر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملّة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسُّك بشيء يخالفه، وهذا كلّه لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها، أن يتخذه سَمِيرَه وأنيسَه، وأن يجعله جليسَه على مَرّ الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبُغْيَة، وأن يظفر بالطِّلْبَة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول»[٣٨].

والقرآن نصٌّ لغويٌّ يمكن وصفه بأنّه يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصّاً محورياً. وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الاسلامية بأنها حضارة «النّص»، بمعنى أنها حضارة أنبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس لا يمكن تجاهل مركز «النّص» فيه. وهذا لا يعني أنّ النّص بمفرده هو الذي أنشأ تلكم الحضارة، فالنّص أيّاً كان لا ينشيء حضارة ولا يقيم علوماً وثقافة، بل إنّ الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة هو نتيجة جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى، فتفاعل الإنسان وحركته مع الواقع وجدله معه – بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية . هو الذي ينشيء الحضارة . وللقرآن في حضارتنا دور ثقافي لا يمكن تجاهله في تشكيل ملامح هذه الحضارة وفي تحديد طبيعة علومها[٣٩] فيرى الباحث أنّ النص له دور كبير في تصحيح مسار الحضارة والثقافة

---

[٣٨] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان: بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٤، ص١٤٤. وانظر: د، الطيب شطاب، دوْر المصطلح في فهم النّص القرآني، (مقالة علمية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٢صفر ١٤٤٢هـ ٢٩ سبتمبر، ٢٠٢٠)، https://tafsir.net/author/٣٥٨٩/at-tyb.

[٣٩] انظر: نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن**، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب: بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٤م)، ص٩.

ويوجه البشر إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، أما حركة الإنسان فهي تكون نتيجة لتوليد هذه الحضارات والثّقافات ولكن النّص هو آلة التفحيص وموجه الإنسان إلى معرفة التعامل مع هذه الحركات.

الفرع الثالث: تعريف النّص اصطلاحاً عند الأصوليين

يقول الجصاص الحنفي[٤٠] في تعريفه قال: النص هو: "كلُّ ما يتناول عيناً مخصوصةً بحكمٍ، ظاهرِ المعنىَ بيّنِ المراد فهو نصٌّ، وما يتناوله العموم فهو نصٌّ أيضا وذلك لأنه لا فرق بين الشخص المعيَّنُ إذا أشير إليه بعينه وبين حكمه وبين ما يتناوله العموم"[٤١]. وهذا التعريف للأصولين عند ساداتنا الأحناف.

والأصح في تعريف النّص: فيما ذكره القاضي أبو يعلى[٤٢] في كتابه المرسوم بـ العدة في أصول الفقه: قال "والصحيح أن يقال: النص ما كان صريحًا في حكم من الأحكام، وإن كان اللفظ محتملا في غيره"[٤٣].

---

[٤٠] لُقّب بـ الجصاص نسبة إلى عمل الجص وهو أبوبكر أحمد بن علي الرازي ولد في مدينة الري وهي المدينة التي تنسب لها بالرازي سنة خمس وثلاثمائة هـ وانتهت إليه رئاسة الحنفية. وسئل العمل بالقضاء فامتنع. وتفقه على أبي الحسن الكرخي وتخرج به، وكان مسلكه طريقة الزهد والورع، وله مؤلفات كثيرة: منها أحكام القرآن، وشرح مختصر، الجامع الصغير، والجامع الكبير، وجوابات مسائل. توفي رحمه الله يوم الأحد سابع من ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمة ببعداد. انظر: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، **تاج التراج**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (دار القلم: دمشق، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، ص١٧.

[٤١] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، **الفصول في الأصول**، (وزارة الأوقاف: الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص٥٩.

[٤٢] كنيته: أبو يعلى، وهو الإمام العلاّمة، شيخ الحنابل القاضي، وهو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، المشهور بابن الفراء صاخب التصانيف المفيدة في المذهب الحنفي، مولده سنة ثمانين وثلاث مائة. ومن مشايخه في الأحاديث: علي بن عمر الحربي، وإسماعيل بن سويد، وأبا القاسم بن حبابة، وعيسى بن الوزير، وابن أخي ميمي، وأم الفتح بنت أحمد بن كامل، وأبا طاهر المخلص، وأبا الطيب بن منتاب، وابن معروف القاضي، وطائفة، وإليه انتهت الإمامة في المذهب الحنفي. وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وأربع مائة. انظر: **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، ص٨٩.

[٤٣] أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، (د.ن، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، ج١، ص١٣٨.

الفرع الرابع: مفهوم القرآن

القرآن لغة

هناك خلاف بين العلماء في لفظ القرآن هل هو اسم جامد أو مشتق[٤٤]:

القول الأول يذهب: إلى أن لفظ القرآن: منهم الإمام الشافعي رحمه الله ليس مهموزاً ولا مشتقاً ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه جُعل اسماً لكتاب الله، مثل ما أُطلق اسم التوراة والإنجيل على كتاب موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن[٤٥].

القول الثاني: ويذهب قوم منهم الأشعري أن القرآن اسم مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، والصحيح أن ترك الهمزة من باب التخفيف[٤٦]. ومنه قولهم القران أي في جمع بين الحج والعمرة، جمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد، فيقول: لبيك بحجة وعمرة[٤٧].

القول الثالث: القرآن مأخوذ من مادة قرأ، بمعنى تلا ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨]، والقرآن مصدر يأتي على وزن فُعلان بضم أوله؛ كالغفران والشكران والتّكلان فتقول: قرأته قرءًا وقراءةً وقرآنًا بمعنى واحد، أي تلوته تلاوةً، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**

---

[٤٤] فالاسماء تنقسم إلى قسمين: الجامد والمشتق. فالجامد هو ما لم يؤخذ من غيره مثل رجل وعلم. والمشتق: ما أخذ من غيره؛ مثل عالم ومعلوم فإنهما مأخذان من العلم. واسم الجامد نوعان: يكون في اسم الذات نحو: إنسان، وأسد. ويكون اسم معنىً؛ ك: فهم وشجاعة ومن اسم المعنى يكون في الاشتقاق وهو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ. والمشتقات سبعة أنواع: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم المكان، واسم الآلة. انظر: تأليف الجماعة: أستاذ حفني ناصف، مصطفى طموح، محمد دياب، محمد صالح، محمود عمر، **الدروس النحوية**، تحقيق: محمد الأنبابي شيخ الجامع الأزهر، (دار إيلاف الدولية: الكويت، ط١، ٢٠٠٦م ١٤٢٧هـ)، ج١، ص٣١١-٣١٧.

[٤٥] انظر: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١، ٣٧١.

[٤٦] انظر: **الكليات**، ص٧٢٠.

[٤٧] انظر: **لسان العرب**، ج١٣، ص٣٣٦.

وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، أي اتبع قراءته[٤٨]. فعليه يصدق على تسمية كل قطعة من الآية قرآناً فأنت إذا سمعت من يقرأ آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن، لأجل الاشتراك اللفظ وعدم التشخّص ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤][٤٩]. ثم صار لفظ القرآن منقولاً من معنى المصدري وجعله علما شخصيّاً لذلك الكتاب الكريم المنزل على رسول الله ﷺ وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩]، فإذا سمعت القائل يقول: (القرآن) فإن السامع لا يفهم من كلامه إلا معنىً معيّن؛ وهو الكتاب الكريم، المجموع بين الدفتين، المفتتح بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[٥٠]. ومن أسمائه الكتاب قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢]، وسر تسميته بالاسمين المذكور هو أنه روعي في تسميته قرآنًا لكونه متلوًّا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه[٥١]. ثم ذكر الشيخ محمد عبدالله دراز ما وراء الحكمة في تسميته بهذين الاسمين فقال نصّاً: "إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضوعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلًا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة. ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[٥٢].

---

[٤٨] انظر: **النبأ العظيم**، تحقيق: عمر الشرقاوي، ص٨٢. وانظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (الدار النموذجية:بيروت، المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ص٢٤٩. وانظر: **لسان العرب**، ج١، ص١٢٨.

[٤٩] انظر، هامش كتاب: **النبأ العظيم**، ص٨٢.

[٥٠] انظر: المرجع السابق، ص٨٢.

[٥١] انظر: المرجع السابق، ص٨٢-٨٣.

[٥٢] المرجع السابق، ص٨٣.

الفرع الخامس: تعريف القرآن اصطلاحاً

تعدد تعريف القرآن اصطلاحا عند العلماء وقد اختلفوا في تعريفه اصطلاحًا اختلافًا كثيرًا. فكأن القارئ يسأل لماذا جاء هذا الخلاف؟ يبدو أن منشأه يرجع إلى اختلاف مذاهبهم الأصولية والفقهية والعقائدية والتفسير. هذا وسيتم ذكر أقوالهم في مفهوم القرآن في الآتي:

القول الأول: نلاحظ أن الأصوليين في كتبهم يطلقون الكتاب ويريدون به القرآن حتى أنكروا من يجعل الكتاب غير القرآن ويعتبر ذلك سهو، هذا ومما يرجح ما ذهبوا إليه كثير من الآيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢][٥٣].

التعريف الأول: يذهب بعض الأصولين إلى تعريف القرآن: بأنه: "الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته"[٥٤].

شرح هذا التعريف:

قوله: (الكلام المنزل) لا يدخل الكلام النفسي[٥٥] وإنما قُصد بالمجاز الصوري منه أنه كلام الله ويخرج كلام الذي يؤثر به الملائكة فقط دون التنزل، ولفظ (المنزل) يفهم منه أنه منزل على رسول الله ﷺ، ويخرج منه المنزل على الأنبياء قبل رسول الله ﷺ، وخرج بقول (للإعجاز) الكتب السماوية غير القرآن لأنه لايوجد فيها الإعجاز كما أنه فُهم من قول (بآية) أن كل آية

---

[٥٣] انظر: علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن اللحام، **المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: د. محمد مظهربقا، (جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة، د. ط، د. ن)، ص٧٠.

[٥٤] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (دار الكتبي: الأردن، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)، ج٢، ص١٧٨.

[٥٥] إخراج كلام النفسي من التعريف وإن كان يسمى قرآناً حقيقة إلا أن الأصولي يتكلم في مجال اللساني وليس في النفسي فلذلك أخرجوه من التعريف. انظر: شيخ حلولو، أحمد بن عبدالرحمن موسى الزّليطني القروي المالكي، **الضّياء اللاّمع شرح جمع الجوامع في أصول الفقه**، تحقيق: د. عبدالكريم بن علي بن محمد النملة، (مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)، ج٢، ص٢٦.

من القرآن فيها إعجاز، وقول (المتعبد)، يخرج الأحاديث النبوية بأقسامها، لأننا لم نتعبد بقراتها في الصلاة، كما أنه يخرج ما نسخت تلاوته[٥٦].

التعريف الثاني: يقول الشيخ تاج الدّين السبكي[٥٧] في تعريفه للقرآن اصطلاحاً: بدأ في تعريفه كعادة الأصوليين يعرفون القرآن بما يرادفه وهو الكتاب فيقول الشيخ تاج الدين السبكي: "الكتاب القرآن، والمعنيّ به هنا اللفظ المنزّل على محمد ﷺ، للإعجاز بسورة منه المتعبّد بتلاوته[٥٨].

شرح التعريف:

هذا التعريف منفصل أكثر مما سبق وأزيد منه بقوله: المنزل على محمد ﷺ، فيفهم منه مباشر أن ما أنزل على غيره من الأنبياء لايدخل، وكذلك في لفظ هذا التعريق هناك قيد أشمل وهو قوله: "بسورة منه" فيه إشارة أن السورة هي أقل ما يدخل فيه التحدي. بخلاف تعريف الأول يفيد أن أقل ما وقع فيه التحدى هو آية فيكون هناك تناقض بين التعريفين؛ حيث أن الثاني ينفي وجود الإعجاز في أقل السورة والأول يثبت. فيتم الجمع بينهما بأن يقال: أنّ الذي يثبت وجود الإعجاز بآية لاينفيه في السورة بل يترتب وجوده حتم من باب الأولى. أما الذي يصرح بوجود الإعجاز بسورة فظاهر يفهم عدم دخول أقل سورة مثل آية ولكن عدم الذكر لا يفيد النفي بل جاء تعبير بغالب ما يقع في القرآن من التحدّي.

---

[٥٦] انظر: المرجع السابق، ص١٧٨.

[٥٧] عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، من مواليد القاهرة سنة: (٧٢٧ - ٧٧١ هـ = ١٣٢٧ - ١٣٧٠ م). وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون، أصيب من الشدائد ما لم يصيب غيره من القضاة. ومن مؤلفاته (طبقات الشافعية الكبرى_) تحتوي فيه ستة أجزاء، وكتاب: (معيد النعم ومبيد النقم_ ط)، و (جمع الجوامع_ط)، في أصول الفقه)، و (منع الموانع – ط) تعليق على جمع الجوامع، و (توشيح التصحيح – خ) في أصول الفقه. انظر: **الأعلام للزركلي**، ج٤، ص١٨٥.

[٥٨] تاج الدين السبكي عبد الوهّاب بن علي السّبكي، **جمع الجوامع في أصول الفقه**، تحقيق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، (بيروت- لبنان: دار كتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ)، ص٢١.

القول الثالث في تعريفه وهو رأي شيخ محمد عبدالله دراز حول تحديد مفهوم القرآن اصطلاحاً فقال معللاً: كان من المتعذر تحديده بالتعارف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص. وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه؛ لأنه يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلًا له في ذلك الوصف ذهنًا وإن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميزًا له عن جميع ما عداه، فلا يكون حدًّا صحيحًا وإنما يحدد الجزئي بالإشارة إليه حاضرًا في الحس، أو معهودًا في الذهن. فإذا أردت تعريف القرآن تعريفًا تحديديًّا فلا سبيل لذلك إلا بأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان، فنقول: هو ما بين هاتين الدفتين. أو تقول: هو "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ... إلى: من الجنة والناس". أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تعرف الحقائق الكلية فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في الاسم ولو توهمًا؛ ذلك أن سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن في كونها وحيًا إلهيًّا، فربما ظن ظانٌّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضًا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع[٥٩].

خلاصة المطلب السابق

١. يُعتبر النص القرآني هو جوهر الإيمان الإسلامي ومصدر التشريع الأساسي، حيث يُمثل كلام الله الذي أُنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
٢. يتميز القرآن الكريم بجمال لغته وبلاغته، ويحتوي على معاني عميقة تعكس القيم الروحية والأخلاقية التي تُشكل أسس الحياة الإنسانية.
٣. يمثل القرآن دليلاً شاملاً يتناول جميع جوانب الحياة، بما في ذلك العقيدة، العبادات، الأخلاق، السياسة، والاجتماع.
٤. يتميز النص القرآني بالتحدي البلاغي، حيث أُنزِل بلغة عربية فصيحة وتحدى البشر أن يأتوا بمثله.

[٥٩] النبأ العظيم، ص٨٤-٨٥.

٥. اهتم العلماء على مر العصور بتفسير النص القرآني وفهم دلالاته، مما أدى إلى ظهور مدارس فكرية ومناهج تفسيرية متنوعة.
٦. يتطلب التعامل مع النص القرآني فهماً عميقًا لمضامينه واستخراج الأحكام والقيم منه، مما يستدعي دراسة السياق التاريخي والثقافي للنزول.
٧. في العصر الحديث، تتزايد التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مما يستدعي قراءات جديدة للقرآن تُبرز قدرته على معالجة القضايا المستجدة.

٨. يُعتبر القرآن نصاً محورياً في تاريخ الثقافة العربية، حيث أن حضارة الإسلام قامت على أساس "النص" كأداة لتشكيل العلوم والثقافة.
٩. يُعرَّف النص القرآني اصطلاحاً بأنه خطاب رباني يحمل معاني دلالية واسعة وموضوعية، وهو أساس للشريعة الإسلامية.
١٠. اختلف العلماء في تعريف القرآن، فمنهم من اعتبره الكلام المنزل للإعجاز، ومنهم من عرّفه بأنه النص الذي يتعبد بتلاوته، مما يعكس تعدد الآراء والمفاهيم حوله.

المطلب الخامس: مفهوم التّفسير

يُعَدُّ التفسير القرآني من أبرز المجالات العلمية التي اعتنى بها المسلمون على مر العصور، حيث يسعى إلى فهم معاني القرآن الكريم وتفسير آياته وفقاً لأسس علمية وأخلاقية؛ كما أنه يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والتوجيه في حياتهم؛ لذلك، فإن التفسير يمثل ضرورة حيوية لفهم الرسالة الإلهية التي جاء بها.

من جهة أخرى، فإن تاريخ التفسير يمتد منذ زمن نزول القرآن، حيث كان الصحابة والتابعون يتناولون تفسير الآيات ويشرحون معانيها في ضوء السياق التاريخي والثقافي؛ ومع مرور الزمن، تطورت أساليب التفسير، وأُسست مدارس فكرية مختلفة تهدف إلى فهم النصوص القرآنية من زوايا متعددة، مثل التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير العقلي.

ومن الجدير بالذكر أن قواعد اللغة العربية، والأدب، والبلاغة، والمفاهيم الفقهية والاجتماعية، تعد من العوامل الأساسية التي تؤثر في عملية التفسير؛ وقد ساهم ذلك في إنتاج كتب تفسيرية غنية بالمعاني والدلالات، مثل تفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم.

يُعتبر التفسير أيضاً أداة للتفاعل مع النص القرآني، حيث يسعى المفسرون إلى استخلاص الأحكام والقيم التي يمكن تطبيقها في حياة الأفراد والمجتمعات. ويظل التفسير القرآني مجالاً مفتوحاً يتطلب من العلماء والباحثين تضافر الجهود لتقديم قراءات جديدة تتماشى مع المستجدات والمتغيرات التي تطرأ على العالم المعاصر.

وهذا المطلب ينقسم إلى فروع، وهذه الفروع هي:

الفرع الأول: التفسير لغة

التفسير لغةً: التفسير هو مصدرٌ مأخوذ من الفسر على وزن (تفعيل)، والفَسْرُ: البيان. يُقال فسر الشيء يفْسِرُه، بالكسر، ويفْسُرُه، بالضم، فسْراً، وفسَّرهُ: أبانَه. والتّفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل [٦٠]، و"الفسْرُ: كشفُ مَا غُطِّيَ" [٦١].

التّفسير فعله الثّلاثي يأتي بـــ فَسَر وهذا الفعل من الماضي مصدر (تفسير) قد يضعّف بالتّشديد وهو فسّر. وكلمة الفسْر تدل على بيان الشّيئ وإيضاحه، مثل قولك: فَسَرْتُ الشّيء، وفسّرْتُه[٦٢].

---

[٦٠] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبْديّ، (بيروت– لبنان: دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)، ج١٠، ص٢٦١.

[٦١] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م)، ج ١٢، ص ٢٨٢.

[٦٢] انظر: **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٥٠٤.

قال علي بن محمد الجرجاني[٦٣]: التفسير نظراً إلى أصله معناه: هو الكشف والإظهار[٦٤].

وقال أبو البقاء الكفويّ[٦٥]: التّفسير في اللّغة هو "الاستبانة والكشف والعبارة عَن الشَّيْء بِلَفْظ أسهل وأيسر من لفظ الأَصْل"[٦٦].

الفرع الثاني: التّفسير اصطلاحاً

فإضافة هذا المصدر (التّفسير) إلى (القرآن) تعطي لهذا التركيب الإضافي (تفسير القرآن) معنى خاصاً محدداً، يُلحظُ فيه تحقّقُ المعنى الأصلي لمادة فسْر إلا أنّ هذا المعنى، خاص بالقرآن[٦٧].

فبناءً على هذا التّركيب اختلف المفسّرون في تعريف التّفسير اصطلاحاً وسيذكر الباحث بعض هذه التّعريفات:

عرفه أبو البقاء الكفوي[٦٨]: بأنّه: "علم يبْحَث فِيهِ عَن كَيْفيَّة النُّطْق بِأَلْفَاظ الْقُرْآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبة ومعانيها التركيبية وَتَفْسِير الشَّيْء لَاحق بِهِ ومتمم لَهُ وجار مجْرى بعض أَجْزَائِهِ"[٦٩].

---

[٦٣] هو المشهور بالشريف الْجُرْجَاني، يلقب بفيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد سنة ٧٤٠هـ الموافق ١٣٤٠م في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. سنة ٨١٦هـ الموافق ١٤١٣م، وله نحو خمسين مصنفاً، منها " التعريفات – ط " و " شرح مواقف الإيجي – ط" وغيرهما من الكتب المفيدة. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٧-٨.

[٦٤] انظر: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م)، ص٥٠.

[٦٥] ولد سنة ١٦١٩م ويلقب بأبي البقاء واسمه أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، وهو صاحب كتاب: (الكليّات – ط) من قضاة أئمة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كَفَه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إسطانبول فتوفي بها، سنة ١٦٨٣م، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى غير هذا الذي الكتاب الذي ذكر. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٣٨.

[٦٦] أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ص٢٦١.

[٦٧] انظر: صلاح عبدالفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (عمان: دار النفائس، ط٣، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص١٤.

[٦٨] سبق ترجمته ينظر قبل هذه الصفحة.

[٦٩] الكفوي، **الكليات**، ص٢٦١.

قال: الزركشي[٧٠] أنّ التّفسير في الاصطلاح هو: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[٧١].

ويقول الإمام الزرقاني[٧٢] التفسير: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية [٧٣].

وعرفه الشيخ ابن عاشور[٧٤] بأنه "اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، ومايستفاد منها باختصار أو توسع" [٧٥].

فالخلاصة: في هذه التعريفات: أن التفسير هو علم يتوسل به إلى فهم القرآن وتوضيح معانيه مع استنباط الأحكام، والحكم بحسب وسع الإنسان وجهده. ومن هذه الخلاصة تظهر النقاط المهمة الآتية

١. أهمية التفسير: يُعتبر التفسير القرآني مجالاً علمياً أساسياً يسعى لفهم معاني القرآن الكريم، ويُعَدُّ ضروريًا لفهم الرسالة الإلهية التي يحملها، كونه المصدر الأول للتشريع والتوجيه في حياة المسلمين.

---

[٧٠] محمد بن بهادر بن عبدالله، بدر الدين، الزركشي ينتسب إلى مذهب الإمام الشافعي مصري المولد (٧٤٥هـ)، _وكان أبوه من الأتراك_، وتوفي بالقاهرة يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة (ت٧٩٤هـ). انظر: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحقيق: الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني، (الغردقة: دار الصفوة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج١، ص٧-١٩.

[٧١] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار التراث،
د.ط، د.ت)، ج ١ ، ص ١٣.

[٧٢] محمد عبدالعظيم الزرقاني، من علماء الأزهر وتوفي بالقاهرة سنة (ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م). انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٢١٠.

[٧٣] انظر: الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢، ص ٦.

[٧٤] ابن عاشور هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين في المذهب المالكية بتونس الحبيبة وشيخ جامع الزيتونة وفروعه ولد سنة ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٩م ودرس في التونس حتى وافته المنية سنة ١٣٩٣هـ، الموافق ١٩٧٣م. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات عديدة مطبوعة من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام). انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١٧٣-١٧٤.

[٧٥] الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (الدار التونسية، د.ط، ١٩٨٤م)، ج١، ص١٢.

٢. تاريخ التفسير: يمتد تاريخ التفسير منذ نزول القرآن، حيث قام الصحابة والتابعون بتفسير الآيات، ومرت الأساليب بتطورات متعددة مما أَسَّسَ مدارس فكرية متنوعة مثل التفسير بالمأثور والرأي والعقلي.
٣. عوامل التأثير: تؤثر قواعد اللغة العربية، والأدب، والبلاغة، والمفاهيم الفقهية والاجتماعية بشكل كبير على عملية التفسير، مما أدى إلى إنتاج كتب تفسيرية غنية بالمعلومات مثل تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي.
٤. التفاعل مع النص: يُعتبر التفسير أداة للتفاعل مع القرآن، حيث يسعى المفسرون إلى استخلاص الأحكام والقيم التي يمكن تطبيقها في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات.
٥. التجديد في التفسير: يبقى التفسير القرآني مجالاً مفتوحاً يتطلب تضافر جهود العلماء والباحثين لتقديم قراءات جديدة تتماشى مع المستجدات والمتغيرات في العالم المعاصر.

المطلب السادس: تنوع مناهج المفسرين لكتاب الله عز وجل

تمهيد

تتجلى حكمة تنوع مناهج المفسرين لكتاب الله عز وجل في عدة جوانب، تعكس ثراء النص القرآني وقدرته على التفاعل مع مختلف السياقات.

أولاً: الجوانب العلمية، إن تجليات هذه الجوانب تظهر في:

١. استيعاب المعاني المتعددة: فالقرآن الكريم نص معجز، يحمل معاني عميقة وكثيرة. تنوع المناهج يساعد في استيعاب هذه المعاني واستكشاف دلالاتها المتعددة؛ كما أن مناهج مثل التفسير بالمأثور، والرأي، والتفسير العلمي والاجتماعي والفقهي والإشاري تقدم طرقاً مختلفة لفهم النصوص مما يُعزز من شمولية الفهم.
٢. التفاعل مع السياقات الثقافية: يُعطي تنوع المناهج الفرصة للمفسرين لتفسير القرآن وفق السياقات الثقافية والتاريخية المختلفة فرصة لفهم النصوص في سياقها، مما يزيد من إمكانية تطبيق أحكامها في حياتنا المعاصرة.

٣. الابتكار والإبداع: إن وجود مدارس تفسيرية مختلفة يشجع على البحث والابتكار في أساليب التفسير، ويُعزز من تطوير علوم القرآن ويزيد من ثراء المكتبة الإسلامية.
٤. تعدد المداخل المعرفية: يقدم التنوع في المناهج مدخلات معرفية متعددة تشمل اللغة العربية، الأدب، البلاغة، الفقه، وعلم النفس، مما يساعد في تقديم فهم شامل للنصوص القرآنية.

ثانياً: الجوانب النفسية: إن تجليات هذه الجوانب النفسية تظهر في الآتي:

١. تلبية الاحتياجات النفسية: يعكس تنوع المناهج رغبات واحتياجات مختلفة لدى المفسرين والجمهور؛ فبعض الأشخاص قد يميلون إلى تفسير عقلي، بينما يفضل آخرون التفسير بالمأثور، مما يلبي احتياجات متنوعة من الفهم والمعرفة.
٢. تعزيز الفهم الشخصي: يتيح هذا التنوع للأفراد فرصة اختيار المناهج التي تتماشى مع تجربتهم الشخصية ومفاهيمهم، مما يُعزز من ارتباطهم الشخصي بالنصوص القرآنية ويشجعهم على البحث والتفكر.
٣. المرونة في الفكر: إن وجود مناهج متعددة يُعزز من مرونة الفكر لدى المفسرين والقراء، مما يساعدهم على التفكير النقدي والتفاعل مع الأفكار المختلفة بطرق صحية.
٤. تعزيز الشعور بالانتماء: إن تنوع المناهج يعزز من الشعور بالانتماء إلى جماعة أكبر
٥. وعليه، فإن تنوع مناهج المفسرين لكتاب الله عز وجل يُعتبر ضرورة علمية ونفسية، تسهم من المفسرين والباحثين، مما يُشجع على تبادل المعرفة والنقاشات العلمية البناءة. في تعميق الفهم وتنمية التفكير النقدي لدى المسلمين. كما أنه يعكس غنى النص القرآني وقدرته على التفاعل مع مختلف الثقافات والتجارب البشرية، مما يُعزز من مكانته في حياة الناس.

فأنواع التفسير من حيث النظر إلى مناهج المفسرين نجد أنه ينقسم إلى أربعة أقسام:

الفرع الأول: التّفسير الإجمالي

وهو التّفسير الذي يقوم بتوضيح الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً وإيجازاً واختصاراً، فالمفسر يقوم بتفسير القرآن بالمعنى الإجماليّ للآيات، بدون توسع ولا تفصيل، أو تطويل في التحليل، وبدون تعمق في المباحث التفصيليّة في الفقه أو علم الكلام أو اللّغة. هذا بالإضافة إلى بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني وما يستلزم ذلك من أسباب النزول أو ذكر قصة بتعبير سهل يعطي صورة مجملة عن اللطائفة الكبيرة في زمن يسير وتعبير وجيز[٧٦]. وفي معظم الأحايين، يتم استخدام هذا النوع بطرقٍ شفهية، وأكثر المفسرين على هذا هم المحدّثون، روّاد الإذاعة والتليفزيون، وقصدهم في تلك المنصة إلقاء فكرة عامة عما يتلوه القارئ من القرآن حتى يسهل السامع فهم معانيه مدركاً مقاصده ملمّاً بأطرافه، وهذا مفيد لعامة الناس حتى يدركوا أسرار القرآن الكريم حيث إنّ القرآن يخاطب الكل[٧٧].

ومن الكتب التي ألف في ذلك: كتاب: تفسير الجلالين للسيوطي[٧٨] والمحلى، وكتاب: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي النيسابوري[٧٩]، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وغير ذلك من الكتب المؤلفة حول هذا النوع التفسيري.

---

[٧٦] انظر: د. أحمد السّيد الكومي وهو أستاذ التفسير بكلية الدين بالقاهرة، و، د. محمد أحمد يوسف القاسم رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (د.ن، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م)، ص١٦.

[٧٧] انظر: د. أحمد جمال العمري، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، (مكتبة الخانجي: القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م)، ص٤٢.

[٧٨] اشتهر بجلال الدين السيوطي، وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين. ولد سنة ٨٤٩هـ ١٤٤٥م، هو إمام حافظ ومؤرخ أديب، فقيه وأصولي شافعي المذهب، وله نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. انتشرت كتبه في الآفاق واستفاد منه الداني والقاصي، نشأ في القاهرة يتيماً (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. من كتبه (الإتقان في علوم القرآن –ط)، و (الأحاديث المنيفة–خ)، و (الأرج في الفرج–ط) و (الأذكار في ما عقده الشعراء من الآثار –خ) ، و (إسعاف المبطأ في رجال الموطأ–ط)، و (الاشباه والنظائر–ط) في العربية، و (الأشباه والنظائر–ط) في فروع الشافعية. انظر: **معجم الشعراء العرب**، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، ج١، ص١٠٨٠.

[٧٩] هو علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الْحَسَن الواحديّ النَّيْسابوري، كان من أولاد التُّجّار، أصله من ساوة، وله أخٌ اسمه عَبْد الرحمن قد تفقه وحدث كان الأستاذ أبو الْحَسَن واحد عصره فِي التفسير، لازم أَبَا إِسْحَاق الثعلبي المفسر

الفرع الثّاني: التفسير التّحليلي

هذا النوع أصل من جميع أنواع التفسير، بحيث لا يُمكن للمفسر أن يستغني عنه حتى ولو أنّه استخدم مناهج أخرى من التفاسير. هذا ويقف المفسر أمام كل آية بتحليلها تحليلاً موسعاً، ويوضح أثناء التحليل عن مختلف الموضوعات والمسائل العلمية في اللغة والعقيدة والبلاغة والنحو وفي الروايات الحديثية والقراءات ويبين الأحكام الفقهية وفي الخلافات والمناقشات العلمية مع الأدلة والبراهين[٨٠]. ومن الكتب التفاسير المؤلفة حول هذا النوع عديدة، منها: تفسير القرآن العظيم المشهور بـــ (تفسير ابن كثير) (ط. طيبة) والمؤلف هو ابن كثير نفسه وعدد المجلدات بطبعة دار طيبة ٨، وسنة النشر ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، هذا وقد اعتنى به ابن كثير[٨١] بتوضيح الآيات القرآنية مع ذكر أسباب نزولها وتفسير القرآن بالسنة مع بيان أسانيد الآحاديث من حيث الصحة والضعف في بعض الأحيان كل ذلك مع التحليل الدقيق. وتفسير الإمام فخر الدين الرازي المشهور بتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب[٨٢] هو كتاب لتفسير القرآن الكريم من تأليف الشيخ الإمام فخر الدين الرازي انتشرت شهرة هذا التفسير في العالم اهتم الإمام الرازي فيه في تحليل المسائل الاصولية والفلسفية وعلم الكلام، وسائر المسائل الاجتهادية النظرية منها

وأخذ عَنْهُ، وأخذ العربية عن أَبِي الْحَسَن القهندزي الضرير، ودأب على العلوم. وسمع ابن مَحْمِش، وأبا بَكْر أَحْمَد بْن الْحَسَن الحِيري، وأبا إِبْرَاهِيم إِسْمَاعِيل بْن إبراهيم الواعظ، ومحمد ابن المزكي إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن يحيى، وعبد الرَّحْمَن بن حمدان النصروبي، وأحمد بْن إِبْرَاهِيم النّجّار، وجماعة صنَّف التفاسير الثلاثة: " البسيط "، و" الوسيط "، و" الوجيز "، وبهذه الأسماء سمّي الغزالي كُتُبَه الثلاثة فِي الفقه، وتصدَّر للإفادة والتدريس مدّة، وكان معظَّمًا محترمًا، لكنه كان يُزْري على العلماء فيما قيل، ويبسط لسانه فيهم بما لا يليق، وله شِعرٌ مليح. تُوُفّي بنيسابور فِي جُمَادَى الآخرة، سنة ٤٦٨هـ وعاش بعده أخوه تسع عشرة سنة. انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، ٢٠٠٣م)، ج١٠، ص٢٦٤.

[٨٠] انظر: صلاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص٣١.

[٨١] سبق ترجمته.

[٨٢] انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٤، ص٢٤٩. وانظر: ابن أبي أصيبعه، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص٤٧٠. شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي المعروف بابن العماد (١٠٨٩ هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرناؤوط، (دمشق: دار بن كثير، ١٤٠٦هـ)، ج٥، ص٢١.

والعقلية، فإنه يذكر الآية أولاً ، ويعقبها بموجز الكلام عنها بصورة إجمالية، ويذكر أن فيها مسائل، يبحث في كل مسالة عن طرف من شؤون الآية: قراءة، وأدباً، وفقهاً، وكلاماً، وما أشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الآية، ويستوفي الكلام في ذلك في نهاية المطاف. وهو من أحسن الأساليب التفسيرية ، تتجزأ المسائل وتتركز الابحاث، مفصلة كلاً في محلها، من غير أن يختل طرف البحث أو تتشابك المطالب، ومن ثم لا يترك القارئ حائراً في أمره من البحث الذي ورد فيه، ويغلب على هذا التفسير اللون الكلامي الفلسفي، لعل ذلك لاضطلاع المفسر بهذين العلمين أكثر[٨٣].

الفرع الثالث: التّفسير المقارن

يعتمد المفسر إلى نصين أو قولين ويقارن بينهما، أو بين آية وآية أو آية وحديث، أو قول وآخر ثم يرجح بينهما أو مقارنات بين عدة مفسرين، على اختلاف مناهجهم، أو يجمع النّاظر جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد ثم يخرج آراء المفسرين، متتبّعاً ما كتب في تفسير تلك الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف، أم كانوا من الخلف، وسواء أكان تفسير من التفسير النقلي، أم كان من التفسير العقلي، ثم يقارن ويوازن بين الاتجاهات المتباينة، والمشارب المتنوعة، فيما سلكه كل واحد منهم في تفسيره، فيرى وجهة كل منهم من كان منهم متأثراً بالخلاف المذهبي، ومن كان يفسر استناداً إلى فرقةٍ معيّنةٍ أو مذهب من المذاهب الإسلامية[٨٤].

---

[٨٣] انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : **تفسير اجتهادي، محمد هادي معرفة**: مقالة علمية منقولة تاريخ ١٥/٠٣/٢٠٢٣. https://almerja.com/reading.php .

[٨٤] انظر: د أحمد جمال العمري، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، ص٤٤.

والكتب التي تمثل ذلك، منها: تفسير ابن جرير الطبري قد نقارن بين الزمخشري[٨٥] والرازي[٨٦] في منهجيتهما وأيضاً بين البيضاوي[٨٧]، والنسفي[٨٨] وأبي السعود والآلوسي في تفسيرهم لآيات زيادة الإيمان، أو رؤية الله في الآخرة أو عن أحكام الصلاة[٨٩].

الثّالث: التّفسير الموضوعي، يعتمد الباحث في القرآن على دراسة جملة من الآيات التي تتصل بموضوع واحد، فيُجمع هذه الآيات ثم يدرسها بجوانبها المختلفة حتى يخرج بنتيجة واضحة شاملة، هذا ويهتم هذا النوع بمعالجة الموضوع الخاصّ في القرآن، مثل موضوع التّوحيد، والبعث، والنشور، والجنة، والنّار، وموضوع الخمر، وغير ذلك من المواضيع المتاحة المطلوبة[٩٠] غير أنّ

---

[٨٥] الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر من قرى مدينة خوارزم عام (٤٦٧هـ)، وعاش في مكة فترة من الزمن ألف فيها كتابه القيم الكشاف، ولأجل ذلك لقب بجار الله. وسافر إلى بلدان عديدة لكنه عاد جرجان في خوارزم، فتوفي فيها سنة: (٥٣٨هـ) ومن أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل والمقامات والجبال والأمكنة والمياه والمقدمة: معجم عربي فارسي. وغيرها كثير. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٧٨.

[٨٦] سبق ترجمته.

[٨٧] ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، المعروف بالقاضي البَيْضَاوي الشافعي اختلف المؤرخون في سنة وفاته بتبريز في قول أنه توفي سنة إحدى وتسعين وستمائة وقيل سنة خمس وثمانين وستمائة. وعلى كل حال هذا شأن المؤرخين، وكان رحمه الله إمامًا، محقّقًا، علاَّمة، جمع بين المنقول والمعقول، مبرزًا نظّارًا، له مصنَّفات معتبرة، منها "الطوالع" في الكلام و"المنهاج" في الأصول و"المصباح" في الكلام أيضًا و"أنوار التنزيل" في التفسير و"الغاية القصوى" وهو مختصر "الوسيط" في الفروع وشَرَحَ " المصابيح" وشَرَحَ "مختصر ابن الحاجب" و"مختصر الكافية" وشرحه. انظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة إرسيكا: إسطانبول: ٢٠١٠م)، ج٢، ص٢١٩.

[٨٨] هو أبو البركات حافظ الدين النسفي واسمه عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، فقيه وأصوليّ كانت وفاته: سنة ٧١٠، عشر وسبعمائة. انظر: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، **معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»**، (دار العقبة: قيصري: تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م)، ج٢، ص١٣٦٠.

[٨٩] انظر: صلاح عبدالفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص٣٢. وانظر: مساعد ين سليمان الطيّار، **فصول في أصول التّفسير**، تحقيق: محمد بن صالح الفوزي، (دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، ص٢٠.

[٩٠] انظر: د. أحمد جمال العمري، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**، ص٤٣-٣٤.

التّفسير الموضوعي ليس متناولاً بتفسير القرآن الكامل آية آية كما هو شأن بقية الأنواع الثلاثة السّابقة، وهذا النوع على أقسام:

الأول: أن يقوم المفسر بعرض الموضوع من خلال متابعة القرآن كاملاً، مثل موضوع صفات عباد الرحمن في القرآن فتكون دراسة بحثية ميدانية في القرآن كله. مثل: صفات عباد الرحمن.

الثّاني: أن يبحث المفسر موضوعا من خلال سورة؛ كموضوع الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات.

الثّالث: عرض المفسر لفظة قرآنيّة أو جملة قرآنية، ويبيّن مقصود الآية ومعانيها في القرآن، كالأمة في القرآن، وجملة: الذين في قلوبهم مرض في القرآن[٩١].

خلاصة للمطلب السادس

يتجلى تنوع مناهج المفسرين لكتاب الله عز وجل كأداة لفهم النص القرآني في سياقات متعددة، مما يعكس غنى القرآن وقدرته على التفاعل مع مختلف الثقافات والمجتمعات. من الجوانب العلمية المختلفة، ومن هذه الجوانب العلمية:

١. استيعاب المعاني المتعددة: فالتنوع في المناهج (مثل التفسير بالمأثور، والرأي، والتفسير العلمي) يساعد في استيعاب المعاني العميقة للقرآن، مما يعزز من شمولية الفهم.
٢. التفاعل مع السياقات الثقافية: يمكن المفسرين من تفسير القرآن وفق السياقات الثقافية والتاريخية، مما يزيد من إمكانية تطبيق أحكامه في الحياة المعاصرة.
٣. الابتكار والإبداع: إن وجود مدارس تفسيرية مختلفة يشجع على البحث والابتكار في أساليب التفسير، مما يُثري المكتبة الإسلامية.
٤. تعدد المداخل المعرفية: يقدم التنوع في المناهج مدخلات معرفية تشمل اللغة، الأدب، البلاغة، الفقه، وعلم النفس، مما يساعد في تقديم فهم شامل للنصوص.

---

[٩١] انظر: انظر: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرّومي، **بحوث في أصول التّفسير ومناهجه**، (الرياض: مكتبة التوبة، ط٤، ١٤١٩هـ)، ص٦٢.

٥. يعكس تنوع المناهج رغبات مختلفة لدى المفسرين والجمهور، مما يلبي احتياجات متنوعة من الفهم والمعرفة.
٦. تعزيز الفهم الشخصي: تيح التنوع للأفراد اختيار المناهج التي تتماشى مع تجاربهم الشخصية، مما يُعزز من ارتباطهم بالنصوص القرآنية.
٧. المرونة في الفكر: يُعزز التنوع في مناهج التفسير من مرونة الفكر لدى المفسرين والقراء، مما يساعدهم على التفكير النقدي والتفاعل مع الأفكار المختلفة.
٨. تعزيز الشعور بالانتماء: يسهم تنوع المناهج في تعزيز الشعور بالانتماء إلى جماعة من المفسرين، مما يُشجع على تبادل المعرفة والنقاشات العلمية.
٩. تسهم مناهج التفسير في تربية الأفراد على القيم الأخلاقية والإنسانية من خلال استنباط الأحكام القرآنية.
١٠. تنمية التفكير النقدي: توفر هذه المناهج فرصة لتطوير التفكير النقدي لدى الطلاب من خلال مقارنة وتقييم مختلف الآراء والمذاهب.
١١. توسيع الأفق المعرفي: تشجع تنوع المناهج على توسيع الأفق المعرفي للمتعلم من خلال التعرف على مدارس فكرية متنوعة وأفكار جديدة.
١٢. تحفيز البحث العلمي: يُعزز التنوع من رغبة الطلاب والباحثين في البحث والابتكار في مجالات علوم القرآن، مما يُسهم في تطوير المعرفة الإسلامية.

وعليه، فإن مناهج المفسرين ينم عن ضرورة علمية ونفسية وتربوية لفهم النص القرآني، مما يعزز من مكانة القرآن في حياة الناس ويُثري التجارب الإنسانية.

المطلب السابع: القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني

تمهيد

يعد الشيخ محمد عبدالله دراز من أبرز العلماء والمفكرين الذين أثروا في مجال الدراسات القرآنية، حيث جمع بين النظري والعملي في تفسيره وفهمه للقرآن الكريم. تمتاز رؤيته بأنّها تتمحور حول أهمية القرآن كمرجع شامل للحياة الإنسانية، حيث ينظر إليه كدليل لا يقتصر على الجانب الروحي فحسب، بل يمتد ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية.

من الناحية النظرية، استند دراز إلى أسس علمية دقيقة، حيث عكف على دراسة اللغة العربية، والبلاغة، والعلوم الشرعية، مما ساهم في فهم النصوص القرآنية بعمق. وقد استخدم منهجاً تحليلياً يركز على دلالات الألفاظ وترابط الآيات، مما أتاح له استنباط معانٍ جديدة تلبي احتياجات العصر.

أما من الناحية العملية، فقد عمل دراز على تطبيق المفاهيم القرآنية في الحياة اليومية، مشجعاً على التفاعل مع النصوص بطريقة تمكن الأفراد من استنباط القيم والأخلاقيات من القرآن، وبالتالي تعزيز العلاقات الاجتماعية والتربوية. كما كان له دور في تعزيز الفهم الجماعي للقرآن، مما يساهم في بناء مجتمعات قائمة على المبادئ القرآنية.

سيتناول هذا المطلب بالتفصيل خطة الشيخ محمد عبدالله دراز، مستعرضاً منهجيته في التعامل مع القرآن من جوانبها النظرية والعملية، مما يساهم في فهم كيف يمكن للقرآن أن يكون دليلاً متكاملاً للمسلمين في جميع جوانب حياتهم. ذلك أن محمد عبد الله درّاز بلا شك من المفكرين والمفسرين المعاصرين البارزين حيثُ لا يخفى للكثير من علماء المسلمين على وجه العموم وعلماء الغرب على وجه الخصوص من المفكرين والفلاسفة ما قدمه دراز للعالم من إسهامات علمية ومعرفية في حقل علوم القرآن وتفسيره؛ إذْ إنّه نَهَجَ نهجًا جديدًا وابتكر قواعد وأساليب تلائم العقلية المعاصرة في فهم النّص القرآن، وهذه المنهجيّة التي سار عليها الشّيخ محمّد عبدالله دراز بالعموم تندرج تحت فرعين اثنين كما أوضحنا في التمهيد:

المنهج النّظري: ويُقصد به: وضع القواعد الأساسيّة أو تأسيس القوانين التي يُستخلص منها مبادئ الأخلاقي في القرآن، وبيان مصدر القرآن وإعجازه مع المسائل التي تتعلق بجوهره وتندرج تحت هذه القواعد فصول وموضوعات فرعيّة وتقسيمات عديدة.

من جهة أخرى، لم يقل محمد عبدالله دراز أنه الأول الذي قام باستخراج المبادئ الأخلاقية في المجال النظري بل حصل هناك محاولات خلال القرن التاسع عشر إلا أنه كان محدوداً في المؤلفات عن علم الأخلاق العام في الكتب الأوروبية التي تعالج مسائل الإسلام الخاصة، غير أن في إطار هذه المحاولات، كان في الغالب محدودًا، كما كان مضمونها بعيدًا عن المطابقة الدقيقة للنظرية القرآنية الحقة. فمن حيث الإطار نجدهم أغفلوا الجانب النظري من المسألة: فليس هنالك عالم أوروبي واحد حاول أن يستخلص من القرآن مبادئه الأخلاقية العامة،

ويقدمها في صورة دستور كامل. وإنما انحصرت كل جهودهم في أن جمعوا عددًا، قليلًا أو كثيرًا، من الآيات القرآنية المتعلقة بالعبادة، أو بالسلوك، وترجموها ترجمة حرفية. أما لدى المسلمين في مكتبتهم الإسلامية لم تعرف ما كُتِب غير نوعين من التّعاليم الأخلاقية، فهي إما نصالح عملية، تهدف إلى تقويم أخلاق الشباب. أو إمّا وصف لطبيعة النفس وملكاتها، ثم بيان الفضيلة وتقسيم لها. هذا، ولم يظهر ما كتبوا سوى النص القرآني كلية، أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية. أما مدارسة الموضوع الرئيسي كالأخلاق القرآنية لدى المسلمين أو المستشرقين، لم تكن لا من الناحية النظرية، ولا من الناحية التطبيقيّة[٩٢].

والمنهج التّطبيقي أي العملي: ويُعنى به: استقصاء الأحكام العمليّة ومعالجتها وفق ما جاء بها القرآن في ذاتها. هذا ويستعينُ دراز للتّعامل مع هذا العنصر بأمورٍ كالتّالي: إيجاد موضوعات وتأسيس قواعد خاصة مختصرة التي تعينهُ في استقراء الآيات القرآنية العمليّة، أو الوقائع التي لها صلة بالموضوع.

وبالتالي فإن المنهج التطبيقي يُبحث من خلاله عن المبادئ الكليّة والمعاني الجامعة التي تشتق منها تلك الواجبات الفرعيّة؛ نحو: البحث عن حقيقة الخير المطلق، وفكرة الفضيلة من حيث هي، وعن مصدر الإيجاب ومنبعه، وغير ذلك من مقاصد العمل البعيدة وأهدافه العليا، وهذا، ما يسمّى بعلم الأخلاق النظري، وهو في الحقيقة داخل علم الأخلاق العملي. أمّا الأخلاق العملية فتتعلق بالعمل والبحث عما يجب وينبغي العمل به والتحلّي به، فإذا تعلّقت هذه الفلسفة بالحق الذي يعتقد، كانت نظرية في أداتها، وفي موضوعها معاً. وإن تعلقت بالخير الذي يُفعل، كانت نظرية في أداتها، تطبيقيّةً في موضوعها. فعلم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل.[٩٣]

---

[٩٢] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٩-٣١.

[٩٣] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، د. ط، ٢٠٢١هـ)، ص١٧-١٨.

الأمثلة التطبيقية حول المنهجين النّظري والتّطبيقي

وفي بيان تلكم الدراسة النظريات الدقيقة التي سار على دربها الشيخ محمد عبدالله دراز وسلك مسلكها في الأغلب هو أنّه إذا أراد أن يدرس قضية من القضايا ويعالجها يبتكر قواعد جديدة عامة ويوزعها حسب ما يتطلب الموضوع. ويتجلى من ذلك نماذج كثيرة خاصة في كتاب: (دستور الأخلاق في القرآن):

وأقسامه هي كالآتي:

القسم الأول: افتتح هذا الكتاب بعرض مقدمة اشتملت فيها، التّمهيد والوضع السابق لمشكلة البحث.

القسم الثاني: تقسيم ومنهج. يبيّن الشيخ محمد عبدالله دراز الفرق بين دراسته وغيره من العلماء فقال: أنّ دراسته تتميّز تحت لفظة "القانون الأخلاقي" –كما يميز جميع الباحثين تحت اسم الجنس– فرعين مختلفين هما: النظرية والتطبيق[٩٤]. ثم ذكر تمهيداً ويندرج تحته الجانب العملي والنظري. هذا، ويختلف منهج الشيخ محمد عبدالله دراز أيضًا المنهج العام من العلماء؛ وذلك أن ما يهم غالبية علمائنا في المقام الأول هو الجانب الاقتصادي، أو الشرعي، أما الشيخ محمد عبدالله دراز في بادئ ذي بدء، يركز اهتمامه على المجال الأخلاقي؛ واضعاً كل مسألة في المصطلحات التي تُصاغ بها لدى الأخلاقيين المحدثيين؛ متّخذاً من القرآن ذاته نقطة انطلاق دراتسته بحيث أنّ دأبه الدائب استخلاص واستخراج الإجابة عن كل مسألة من المسائل، ويتم ذلك بالرجوع المباشر إلى النص. وهنا تكمن الصعوبة؛ فإن النصوص المتعلقة بالنظرية الأخلاقية ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العملية [٩٥]. ولسوف يفترق منهجه أيضاً كثيرًا في عرض الجانب الطبيقي عن المنهج الذي اتبعه السّابقون من العلماء.

أولًا: الشيخ محمد عبدالله دراز لا يرى من اللازم استيعاب استقراء النصوص والآيات ذات الاتصال بالموضوع، فقد اكتفى بذكر البعض منها؛ ذا دلالة كافية على القواعد المختلفة للسلوك.

---

[٩٤] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨.

[٩٥] انظر: المرجع السابق: ص١٣.

ثانياً: حاول تجنب التكرار بقدر الإمكان واتبع نظامًا منطقيًّا بدلًا من التزام بنظام السور "الذي تبعه الإمام الغزالي[٩٦]"؛ أو النظام الأبجدي للمفاهيم "كما فعل جول لا بوم".

ثالثاً: فالنصوص في منهجه: مجمعة في فصول، بحسب نوع العلاقة التي سيقت القاعدة لتنظيمها، وقد ميزت في داخل كل طائفة عدة مجموعات صغيرة من النصوص، وضع لها عنوانًا فرعيًّا يوجز التعليم الخاص الذي يستقي منها، بحيث يتاح للقارئ أن يجد الحكم الذي يبحث عنه بكل سهولة. وتنظيم النصوص بمجموعها على هذا الوجه يبني منهجًا كاملًا للحياة العملية كما رسمها القرآن، مثل: كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك مع نفسه، وفي أسرته، ومع الناس أجمعين؟ وما المبادئ التي يجب أن تحكم العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، وبين الدول أو المجتمعات؟ وكيف يؤدي الإنسان العبادة لله؟ وكل ذلك قد قيل بطريقة واضحة ومحددة[٩٧].

القسم الثالث: تتجه دراسة الشيخ محمد عبدالله دراز في دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة غير أنه في انطلاقه الأول للخطة لم يكن دراسات مقارنة بل كان محدوداً بعرض القانون

---

[٩٦] هو محمد بن محمد بن أحمد كنيته أبو حامد الغزالي الطوسي ويلقب بزين الدين وبحجة الإسلام أحد أئمة الشافعية في التصنيف والترتيب والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير، ولد رحمه الله بطوس سنة خمسين وأربع مائة هـ، السنة التي توفي فيها الماوردي، وأبو الطيب الطبري، وكان والده يغزل الصوف، ويبيعه في دكانه بطوس، فلما احتضر أوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديق له صوفي صالح يعلمهما الخط وفني، ما خلف لهما أبوهما وتعذر عليهما، القوت، فقال: أرى لكما أن تلجآ إلى المدرسة كأنكما طالبا علم، قال الغزالي: فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه ليس المراد، إلا تحصيل القوت، فأبى أن يكون إلا لله، فاشتغل الغزالي ببلده طوس، وقطع قطعة كبيرة من الفقه على أحمد الراذكاني، ثم ارتحل إلى جرجان إلى، أبي نصر الإسماعيلي، فأقام عنده حتى كتب عنه التعليقة، ثم ارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور، فاشتغل عليه ولزمه وحظي عنده، فتخرج في مدة قريبة وصار انظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، وأعاد للطلبة وأفاد وأخذ في التصنيف والتعليق، ألف إحياء علوم الدين وعدة من كتبه بدمشق، ثم انتقل إلى القدس، ثم صار إلى مصر والإسكندرية، وعزم على الذهاب إلى ملك المغرب يوسف بن تاشفين بمراكش، فبلغه نعيه فترك ذلك ثم عاد إلى وطنه طوس وقد تهذبت الأخلاق، وارتاضت النفس، وسكنت، وتبحرت في علوم كثيرة من الأصول والفروع والشرعيات وغيرها من علوم الأوائل، وبعد رحلة علمية طويل المدى ونشر العلم والوعي والذبّ عن الإسلام من دسائس الملحدين انتقل حجة الإسلام أبو حامد الغزالي إلى درا الكرامة والبقاء سنة ٥٠٥ هـ. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **طبقات الشافعيين**، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، (مكتبة الثقافة الدينية: ١٤١٣هـ/١٩٩٣ م)، ج١، ص٥٣٣. وانظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج١١، ص٦٢.

[٩٧] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ٩-١٠.

الأخلاقي المستمد من القرآن وإضافة ذلك السنة النبوية الشريفة باعتباره المبيّن الأول. غير أن الأستاذ لويس ماسينيون– m. Louis massignon الأستاذ في الكوليج دي فرانس، في معهد الدراسات العليا بباريس– قد أبدى له رأيه في أن يرى هذه الدراسة تتناول في نفس الوقت بعض نظريات المدارس الإسلامية المشهورة. كما أن الأستاذ رينيه لوسن m. Rene le senne – الأستاذ بكلية الآداب، بجامعة باريس– قد اقترح أيضاً أن يقارن النظرية الأخلاقية المستمدة من القرآن ببعض النظريات الغربية وقد وافق الشيخ محمد عبدالله دراز هذه الاقتراحات[٩٨].

القسم الرابع: إلى تعريف هيكل الأساسي في البحث فالشيخ محمد عبدالله دراز قام بتقسيم الكتاب إلى قسمين تندرج تحتهما القواعد والموضوعات الأساسية والفصول وفروعها. فالقسم الأول: النظرية الأخلاقية كما يمكن استخلاصها من القرآن مع مقارنتها بالظريات الأخرى. ويدخل في هذا القسم الفصول.

الفصل: الأول الإلزام[٩٩]، بيّن فيه الشيخ محمد عبدالله مقصود الإلزام ولوازمه، ومصادر الإلزام الأخلاقي، وهي كالآتي [١٠٠]:

الأول: القرآن. عرف مكانة القرآن في نظر المسلمين وقداسته.

الثاني: السنة: [١٠١]. ثم وضح منزلة السنة بعد القرآن عند المسلمين.

الثالث: الإجماع. ثم بين ما مقصوده ومزيته مستنداً إلى الأدلة[١٠٢].

الرابع: القياس. ثم ذكر اختلاف المدراس الإسلامية في قبول القياس وأثر ذلك الاختلاف[١٠٣].

وبعد هذه المصادر، ثم الشيخ محمد عبدالله بيّن خصائص التكليف الأخلاقي: ثم تكلم عن مكونات هذه الخصائص، وأنّ "كل قانون "مادي، أو اجتماعي، أو منطقي، أو غير ذلك"، يحكم بالضرورة جميع الأفراد الخاضعين له، على نسق واحد، كما يحكم الفرد الواحد في مختلف

---

[٩٨] انظر: المرجع السابق، ص١٧.

[٩٩] انظر: المرجع السابق، ص١٩.

[١٠٠] انظر: المرجع السابق، ص٢٣.

[١٠١] انظر: المرجع السابق: ص٣٧.

[١٠٢] انظر: المرجع السابق: ص٤٢.

[١٠٣] انظر: المرجع السابق: ص٤٧-٥٢.

ظروفه. وإلا فلن يكون القانون قانونًا, أعني: قاعدة عامة وثابتة. ثم بين الأدلة وحللها وفق العقلية الوقّادة بنور المعرفة[١٠٤]. ثم يذكر بعض الجزئيات تتعلق بالموضوع:

-إمكان العمل. ثم يدرس هذا الجزء ويخرج بالنتيجة

-اليسر العملي

-تحديد الواجبات وتدرجها

-تناقضات الإلزام

-ثم ذكر الشيخ محمد عبدالله دراز أفكار كانت الفرنسي، ومنظوره في الأخلاق ثم ينقضها بالأدلة العقلية والنص[١٠٥].

القسم الخامس: الفصل الثاني: المسئولية. انطلق الشيخ دراز إلى شرح مفهوم المسئولية، وبعد ذلك تحليل الفكرة العامة للمسئولية، ثم ذكر شروط المسئولية الأخلاقية والدينية ويتفرع منها: الطابع الشخصي للمسئولية[١٠٦]، والأساس القانوني، والعنصر الجوهري في العمل، والحرية، ثم الجانب الاجتماعي للمسئولية، والخاتم في الأخير[١٠٧].

القسم السادس: الفصل الثّالث من كتاب "دستور الأخلاق في القرآن" اصطلح الشيخ محمد عبدالله دراز قاعدة في بداية هذا الفصل، وهي: (**الجزاء**) وماذا يقصد بالجزاء هنا؟ فعند معرفة العلاقة بين الإنسان والقانون يتضح مفهوم الجزاء. وهكذا، تتمثل العلاقة بين الإنسان والقانون لأعين كثير منّا في شكل حركة إقبالٍ وإدبارٍ، مكونة من ثلاثة أزمنة[١٠٨] فالقانون يبدأ بأن يوجه دعوته إلى إرادتنا الطيبة: فهو "يلزمنا" بأن نستجيب لتلكم الدعوة، وبعد ذلك بمجرد ما نجيب بكلمة "نعم" أو "لا" -نتحمل بذلك "مسئوليتنا"، وأخيرًا وعلى إثر هذه الاستجابة يُقوِّم القانون موقفنا حياله، فهو يجازيه. وعلى ذلك (**فالجزاء**): هو رد فعل القانون على موقف

---

[١٠٤] المرجع السابق: ص٥٣.

[١٠٥] انظر: المرجع السابق: ص٦٣-١٣٤.

[١٠٦] انظر: المرجع السابق: ص١٣٥-١٤٨.

[١٠٧] انظر: المرجع السابق: ص١٤٩- ٢٤٢.

[١٠٨] لعل مقصود شيخ محمد عبدالله دراز "**بثلاثة أزمنة**" هي الأزمنة في اللسان العربي المعروف: الماضي والمضارع والأمر. فكل الحراكات لاتخلوا من هذه الأزمنة الثلاثة المشهورة.

الأشخاص الخاضعين لهذا القانون. أو يمكن القول: بأنّه الأثر المترتب على الاقبال أو الإدبار لاجابة القاعدة القانونية. ويأتي الجزاء بعد فكرة الالزام والمسئولية[١٠٩].

وبعد هذا المفهوم قسم الشيخ محمد عبدالله دراز الجزاء إلى أقسام: الأول: الجزاء الأخلاقي: الثّاني: الجزاء القانوني، الثّالث: نظام التوجيه القرآني، ومكان الجزاء الإلهي، ويدخل فيه طرق التوجيه الكتابية، ونظام التوجيه القرآني، والنتائج غير الطبيعة الرابع الجزاء الإلهي. وله فروع: الجزاء الإلهي في العاجلة، و الجزاء الإلهي في الحياة الأخرى. ثم الخاتمة. وكل قسم من هذه الأقسام تنتدر تحته أنواع وموضوعات. فنكتفي بذكر بعضها بالتفصيل:

الأول: الجزاء الأخلاقي[١١٠]: هذا النّوع ابتدأ به الشيخ محمد عبدالله دراز بذكر بعض الاعتراضات الإفتراضيّة حوله "الجزاء الأخلاقي[١١١]". وأنّه يوجد كثير من النّاس يستشكل ويتساءل عما إذا كان هناك يوجد "الجزاء الأخلاقي"، أو إمكان وجوده أصلاً، أليس هذان اللفظان متنافرين تمامًا؟ أليس إنكارًا لطبيعة القانون الأخلاقي المنزهة على الإطلاق –أن نقترح للنشاط الإنساني غاية أخرى، غير أداء الواجب لذاته؟.

وهذا الاعتراض فيه نوع من الاختلاط بين علم الأخلاق والنزعة الأخلاقية، وهما شيئان مختلفتان، فلا يوجد مانع أن يكون لقانون معين جزاء صارم دون أن يدعونا لجعل هذا الجزاء حافزًا لجهدنا على العمل[١١٢]. ولكن كل ما في الأمر هو أن نعرف فيمَ يتمثل هذا الجزاء الذي وُصف بأنه أخلاقي؟

وذلك حين يشرح محمد عبدالله دراز مقصود هذا الجزاء أيضاً، وأنه يتمثّل في جهتين: قضيّة الحسنة، والسيّئة ويكون الأول بكسب القيمة والثّاني بضياع هذه القيّمة أو خسارتها. يقول الشيخ محمد عبدالله دراز: النفس بأكملها: وهكذا تتلقى كل قوة من قوانا نصيبها من

---

[١٠٩] ينظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٨٣.

[١١٠] "الخلق هو قوة راسخة في الإرادة، تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح– إن كان الخلق حميدًا– أو إلى اختيار ما هو شرٌّ وجَور– إن كان الخلق ذميماً. ينظر: محمّد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص٨.

[١١١] جزاء أخلاقي في العادة يغلب عليه الشعور النفسي وقد يساعد النفس على اعتناء بالاستزادة من الالتزامات الأخلاقية؛ فيكون هذا أيضاً نوعاً من الجزاء، فينتج الخير، والخير لا يأتي إلا بخير كما أن المعصية وفعل الشر تلد الشر. هذا بالإضافة إلى تلك السعادة الروحية التي تغمر النفس، حين تشعر بأنها أدت واجباً أخلاقياً. ينظر: د. عبدالحليم عويس، **الأخلاق الإسلامية بين المسؤولية والجزاء**، (تاريخ الإضافة: ٢٠١٧م/ ٨/ ١٣، ١٤٣٨هـ/ ١١/ ٢٠. منقول تاريخ: ١٠/٢/٢٠٢٣. https://www.alukah.net/sharia/٠/١١٩١٥٧/.

الجزاء الأخلاقي، فنفسنا بأكملها إذن هي التي نعمل على أن ننقذها، ونكملها، أو نضللها ونجردها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠] ولكي نقول ذلك كله في كلمة واحدة: إن الجزاء الأخلاقي الثوابي يتمثل في الحسنة والسيئة، أي: في كسب القيمة أو خسارتها: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين١٨][١١٣].

القسم السابع: الفصل الرابع النّية والدّوافع. في هذا الفصل يبيّن الشيخ محمد عبدالله دراز مقصود بالنية وما دوافعها؛ ثم يذكر فروع تحت النية: النية كشرط للتصديق على الفعل، النية وطبيعة العمل الأخلاقي[١١٤]. وفضل النية على العمل[١١٥]، وهل تكتفي النية، وتحته جزئيات[١١٦]. وبعد ذلك تكلم حول دوافع العمل[١١٧]. ومن خلاله تحدث: عن دور النية غير المباشرة، وطبيعتها[١١٨]، ثم النية الحسنة[١١٩]، وبراءة النية[١٢٠]، والنيات السيئة[١٢١]، ومن ضمنه فروع: نية الاضرار، ونية التهرب من الواجب، ونية الحصول على كسب غير مشروع، ونية إرضاء الناس[١٢٢]. ثم إخلاص النية واختلاط البواعث: إذن، من هنا سؤال متى نصف النية بحركة معينة؟ فالنية توصف بأنها حسنة، أو عادية، أو سيئة، تبعًا لما إذا كانت طاعة الإنسان من أجل ذاته، أو كانت ذات هدف نفعي، مشروع، أو غير مشروع[١٢٣]، ثم الأخير بخاتمة الفصل.

---

[١١٣] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٩٢.

[١١٤] انظر: المرجع السابق، ص٤٢١-٤٣٦.

[١١٥] انظر: المرجع السابق، ص٤٥٠.

[١١٦] انظر: المرجع السابق، ص٤٦٢-٤٧٠.

[١١٧] انظر: المرجع السابق: ص٤٧١.

[١١٨] انظر: المرجع السابق، ص٤٧٣.

[١١٩] انظر: المرجع السابق، ص٤٨٣.

[١٢٠] انظر: المرجع السابق، ص٥١٨.

[١٢١] انظر: المرجع السابق، ص

[١٢٢] انظر: المرجع السابق: ص٥٤٦-٥٦١.

[١٢٣] انظر: المرجع السابق: ص٥٦٤.

القسم الثامن: الفصل الخامس الجهد، وسيتناول هذا الفصل النقاط الآتية: الأول: جهد، وانبعاث تلقائي. ويدخل تحته: تمهيد، وجهد المدافعة، والجهد المبدع[١٢٤]. الثاني: الجهد البدني. ويشمل تحت هذا الموضوع فروع، منها: التمهيد، النجدة، الصلاة، الصوم، الصبر والعطاء والعزلة والاختلاط، جهد وترفق، ثم خاتمة خاصة[١٢٥].

القسم التاسع: خاتمة الفصل الخامس: سيتناول هذا الفصل في دراسة الأخلاق العملية، وسيتجسد خمس فصول تحت هذا الفصل: الفصل الأول: الأخلاق الفردية. ويدخل فيه: الأوامر. والنّواهي، والمباحات، والمخالفات بالاضطرار[١٢٦]. ثم الفصل الثاني: الأخلاق الأسربة، يتناول هذا الفصل في الكلام عن الواجبات بين الأزواج ووجبات نحو الأصول والفروع وكذلك الأقار الأقارب[١٢٧]. والفصل الثالث: عن الأخلاق الاجتماعية، يُدرس في هذا الفصل عن الآداب وقواعدها[١٢٨]. والفصل الرابع: أخلاق الدولة. يندرج تحت هذا الفصل: العلاقة بين الرئيس والشعب. والعلاقات الخارجية[١٢٩]. والفصل الأخير الخامس: الأخلاق الدينيّة، ويتكلم نحو الوجبات والطاعة وغير ذلك. ثم يختم الأخلاق العملية نحو اجمال أمهات الفضائل الإسلامية[١٣٠].

خلاصة المطلب السابع

١. يُعد الشيخ محمد عبدالله دراز من أبرز العلماء في مجال الدراسات القرآنية، حيث جمع بين الجوانب النظرية والعملية في تفسير وفهم القرآن.
٢. تمتاز رؤيته بالتركيز على أهمية القرآن كمرجع شامل للحياة الإنسانية، حيث يعتبره دليلاً للجوانب الروحية، والاجتماعية والثقافية والنفسية.

---

[١٢٤] انظر: المرجع السابق: ص٥٨٤-٦١٣.

[١٢٥] انظر: المرجع السابق، ص٦٣٠-٦٦٩.

[١٢٦] المرجع السابق: ٦٨٩- ٧٠٧.

[١٢٧] انظر: المرجع السابق، ص٧١١-٧٢٢.

[١٢٨] انظر: المرجع السابق، ص، ٧٢٥-٧٤٥.

[١٢٩] انظر: المرجع السابق، ص٧٤٩-٧٥٩

[١٣٠] انظر: المرجع السابق، ص٧٧٥.

٣. من الناحية النظرية، اعتمد دراز على أسس علمية دقيقة من خلال دراسة اللغة العربية والبلاغة والعلوم الشرعية لفهم النصوص القرآنية بعمق.
٤. استخدم منهجًا تحليليًا يركز على دلالات الألفاظ وترابط الآيات، مما أتاح له استنباط معانٍ جديدة تلبي احتياجات العصر.
٥. من الناحية العملية، عمل دراز على تطبيق المفاهيم القرآنية في الحياة اليومية، مشجعاً الأفراد على استنباط القيم والأخلاقيات من القرآن.
٦. كان له دور في تعزيز الفهم الجماعي للقرآن، مما يساهم في بناء مجتمعات قائمة على المبادئ القرآنية.
٧. في المنهج النظري، وضع دراز قواعد أساسية لاستخلاص المبادئ الأخلاقية من القرآن، مع التركيز على جوانب جوهرية تتعلق بالإعجاز ومصدر القرآن.
٨. في المنهج التطبيقي، استقصى الأحكام العملية وفق ما جاء بها القرآن، مستخدمًا قواعد خاصة تسهل استقراء الآيات العملية.
٩. تميزت دراسة دراز بالابتكار في قواعده العامة وتصنيف المواضيع وفقًا لما يتطلبه البحث، كما يظهر في كتابه "دستور الأخلاق في القرآن."
١٠. اعتمد دراز على تنظيم نصوص القرآن في فصول بحسب العلاقات السلوكية، مما يسهل فهم كيفية سلوك الإنسان في مختلف مجالات الحياة.

المبحث الثاني: القواعد والأحكام التطبيقيّة التي تعين على فهم القرآن وتفسيره في منظور شيخ دراز

المطلب الأول: الأحكام الأخلاقية الأسرية التي تعين على فهم مقاصد القرآن

تمهيد

تُعَد الأحكام الأخلاقية الأسرية أحد الركائز الأساسية التي يحرص القرآن الكريم على تعزيزها والمحافظة عليها. فمن خلال هذه الأحكام، يُسهم القرآن في بناء مجتمع متماسك وقوي يقوم

على أسس من القيم والأخلاق النبيلة. تتجلى أهمية الأحكام الأخلاقية الأسرية في توجيه سلوك الأفراد داخل الأسرة، وتعزيز الروابط بين أفرادها، بما يضمن تحقيق السعادة والاستقرار للجميع.

إن فهماً دقيقاً للأحكام الأخلاقية الأسرية يساعد في استيعاب مقاصد القرآن الكريم، التي تهدف إلى بناء مجتمع يسوده العدل والرحمة، ويعيش فيه الأفراد حياةً كريمة يسودها الاحترام المتبادل والتعاون. وبتطبيق هذه الأحكام في الحياة اليومية، يُسهم المسلمون في إنشاء بيئة أسرية صالحة تحميهم من الانحرافات وتدفعهم نحو الخير والفضيلة.

هذا المطلب سيستعرض الأحكام الأخلاقية الأسرية التي تعين على فهم مقاصد القرآن، مسلطاً الضوء على دورها الحيوي في تحقيق التماسك الأسري وتعزيز القيم الأخلاقية. سنكتشف معاً كيف يمكن لهذه الأحكام أن تُرسي أسسًا قوية لبناء أسرة صالحة تؤدي إلى صلاح المجتمع بأسره.

هذا الإنسان الذي خلقه الله من طبيعته إداريٌّ وإراديٌّ ويُقصد بالأول أنه؛ حركيٌّ، وبالثاني أنه؛ له إرادة وبالتّالي اجتمعت عليه أربعة أنواع من الصفات:

الصفة السبعيّة: التي تتجلى في الغضب، مما يجعله عرضة لممارسات العداوة والاعتداء. فهو من حيث سلّط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من التهجم على الناس بالضرب والشتم

الصفة البهيمية: التي ترتبط بالشهوة، فتدفعه إلى الطمع والجشع؛ فهو من حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشر والحرص.

الصفة الشّيطانية: التي تتجلى في حب الاستعلاء والاستبداد والتفرد بالسلطة.

الصفة الربانية: التي تتمثل في الجانب الروحي السامي، كما قال تعالى :﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء: ٨٥]. ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني، فإنه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والأفضلية والأنانية والإحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن

إذا نسب إلى الجهل والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الإنسان حرص على ذلك. هذا والإنسان مسؤول في أقواله وأفعاله خيرها وشرها؛ وينتج من ذلك كله الثواب والعقاب عليه إن كان شخصاً بالغاً عاقلاً الذي وصلته قواعد الدين بشأن التكليف وكان واعياً أثناء سلوكه[١٣١].

وكل هذه الصفات مأخوذة من قوله تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾، [الشمس: ٨-١٠].

بما أن الإنسان مسؤول عن أقواله وأفعاله، فإن الإسلام وضع منظومة من الأحكام الأخلاقية التي تحفظ حقوقه وتحدد واجباته تجاه الآخرين، لضمان عدم وقوع الظلم بين الناس. ومن بين هذه الأحكام، قسّم الشيخ محمد عبد الله دراز الواجبات الأسرية إلى حقوق وواجبات بين الأصول والفروع، وفق ما يلي:

ومن هذه الأحكام قعد الشيخ محمد عبدالله دراز قواعد تتعلق لتقسيم هذه الواجبات، منها:

الفرع الأول: الحقوق والواجبات الأخلاقية بين الأصول والفروع

يتناول هذا الفرع العلاقة بين الآباء والأبناء من حيث الحقوق والواجبات المتبادلة، والتي تكررت الإشارة إليها في القرآن الكريم:

الأول: فقد أشار الشيخ محمد عبد الله دراز إلى أن بر الوالدين والإحسان إليهما من الواجبات المطلقة التي لا تتأثر باختلاف الدين، ما لم يكن ذلك في معصية الله. ويعد البر بهما من أعظم الفروض بعد توحيد الله تعالى، كما ورد في العديد من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى**﴾ [النساء: ٣٦]، وفي موضع آخر، يبين الله تعالى مكانة الوالدين ووجوب الإحسان إليهما، خاصة عند تقدمهما في السن، حيث يأمر الأبناء بحسن معاملتهما بالكلمة الطيبة والتواضع لهما، كما في

---

[١٣١] انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د. ن)، ج٣، ص١٠.

قوله سبحانه: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤][١٣٢]. فهذه النصوص تؤكد أن الإحسان إلى الوالدين من المبادئ الأساسية في الأخلاق الأسرية، إذ تقتضي رعايتهما، وتوقيرهما، والتعامل معهما برفق واحترام، مما يرسّخ معاني البر والوفاء في المجتمع الإسلامي.

الثاني: **وجوب شكر الله تعالى وشكر الوالدين**

يعدّ شكر الله تعالى على نعمة الوالدين من الواجبات الأساسية، إذ أن وجودهما في حياة الإنسان من أعظم النعم التي تستوجب الامتنان والتقدير. ويأتي شكر الوالدين امتدادًا لهذا الشكر، تقديرًا لما بذلاه من جهود في رعاية الأبناء وتربيتهم، وما تحمّلاه من مشقة وعناء في سبيل تنشئتهم تنشئةً سليمة.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: ١٤-١٥]، ويُستدل من هذه الآية على ضرورة الإحسان إلى الوالدين، وخفض الجناح لهما تواضعًا واحترامًا، باعتباره أمرًا شرعيًا واجبًا. كما أن طاعتهما واجبة في كل ما لا يخالف شرع الله، حيث يجب على الأبناء الامتثال لأوامرهما في المعروف. ومن صور الإحسان العظيمة أيضًا، الصبر على قسوة الوالدين إن وجدت، مع الاستمرار في برّهما والإحسان إليهما، تحقيقًا لرضا الله وتعزيزًا لقيم الرحمة والتسامح في الأسرة والمجتمع[١٣٣].

الثالث: واجبات الآباء تجاه الأبناء: يُلقى على عاتق الآباء مسؤولية عظيمة تجاه أبنائهم، تتمثل في رعايتهم والمحافظة على حياتهم وضمان نشأتهم في بيئة آمنة ومستقرة. وقد شدد القرآن

---

[١٣٢] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧١١.

[١٣٣] انظر: المرجع السابق: ص٧١١.

الكريم على ضرورة حماية الأبناء من أي تهديد، سواء كان ذلك ماديًا أو معنويًا، وحذّر من الاعتداء عليهم أو التفريط في حقوقهم.

يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ **[الأنعام: ١٥١]**[١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٣١]، وقد أدان القرآن الكريم بشدة قتل الأبناء أو الإساءة إليهم، واعتبر ذلك من الجرائم الكبرى التي يحاسب عليها الإنسان، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ [التكوير: ٨-١٤][١٣٥]. ويشير ذلك إلى مدى العناية التي أولاها الإسلام لحماية الأطفال وضمان حقوقهم، مما يعكس أهمية الدور الذي يؤديه الآباء في تأمين حياة أبنائهم وتربيتهم على القيم السليمة.

الرابع: **الاهتمام بالتربية الأخلاقية للأبناء**

تُعدّ التربية الأخلاقية للأبناء من أهم المسؤوليات التي تقع على عاتق الوالدين، حيث يُلزَم كل فرد في الأسرة بالعمل على غرس القيم الفاضلة والمبادئ السامية في نفوس الأبناء. وقد أشار القرآن الكريم إلى دور الأسرة في تربية الأبناء وتأديبهم وفق تعاليم الإسلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: ٥٩][١٣٦]. ومن أبرز حقوق الأبناء على والديهم توفير بيئة آمنة تحفظ لهم حياتهم وكرامتهم، مع مراعاة جميع العوامل التي تضمن استمرارهم في الحياة الكريمة. وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن أي شكل من أشكال التعدي على حياة الأبناء، سواء كان ذلك بسبب الفقر أو غيره، [١٣٧] قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾

---

[١٣٤] ملاحظة هناك خطأ مطبعي في بعض النسخ منها: طبعة مؤسسة الرسالة في كتاب دستور الأخلاق وكذلك مختصر دستور الأخلاق طبعة دار الدعوة حصل خطأ مطبعي في كتابة الآية فكلهم ذكروا وقالوا أنها في سورة النساء الآية ١٥١ وهو خطأ الآية في سورة الأنعام الآية ١٥١. انظر: في دستور الأخلاق ص٧١١. وكذلك مختصر دستور الأخلاق، ص٢٤٢.

[١٣٥] انظر المرجع السابق، ص٧١١.

[١٣٦] انظر: المرجع السابق، ص٧١١- ٧١٢.

[١٣٧] انظر: المرجع السابق، ص٧١١.

[الأنعام: ١٥١]، وهذا يدل على وجوب تحمل الوالدين مسؤولية حماية الأبناء، ليس فقط من الناحية الجسدية، بل أيضًا من الناحية الأخلاقية والتربوية، لضمان نشأتهم على القيم الإسلامية السليمة.

مناقشة الفرع الأول من النواحي النفسية والاجتماعية والتربوية:

١. البعد النفسي

أثر برّ الوالدين على الصحة النفسية: عندما يلتزم الأبناء ببرّ الوالدين، فإنهم يشعرون بالرضا والراحة النفسية، مما يقلل من التوتر والقلق، ويعزز الاستقرار العاطفي.

التنشئة العاطفية للأبناء: الأبناء الذين يحظون برعاية أبوية جيدة، واهتمام عاطفي من والديهم، يكونون أكثر ثقة بأنفسهم وأقل عرضة للاضطرابات النفسية مثل القلق والاكتئاب.

أثر العقوق على الآباء: العقوق يؤثر سلبًا على الوالدين، مما قد يؤدي إلى الشعور بالحزن والعزلة، بل وقد يتسبب في أمراض نفسية مثل الاكتئاب أو القلق.

الإهمال العاطفي للأطفال: عندما يهمل الآباء الجانب العاطفي في التربية، فإن ذلك يؤثر على تطور شخصية الطفل، مما يجعله أقل قدرة على بناء علاقات صحية في المستقبل.

٢ .البعد الاجتماعي

تماسك الأسرة والمجتمع: عندما يلتزم الأفراد بحقوق وواجبات الأسرة، فإن ذلك يخلق بيئة أسرية مستقرة، مما ينعكس على المجتمع ككل في صورة علاقات متينة ومترابطة.

ظاهرة التفكك الأسري: الإهمال في الواجبات الأخلاقية داخل الأسرة، مثل العقوق أو عدم توفير بيئة صحية للأبناء، يؤدي إلى مشكلات اجتماعية مثل الطلاق، وتزايد العنف الأسري، وانحراف الأبناء.

الاحترام المتبادل بين الأجيال: عندما يتمسك المجتمع بقيم الاحترام المتبادل بين الآباء والأبناء، فإنه يعزز ثقافة التقدير، مما يقلل من الصراعات العائلية ويعزز روح التعاون.

دور التربية الأسرية في الحد من الجريمة: التربية الأخلاقية للأبناء تلعب دورًا أساسيًا في تقليل معدلات الجريمة، حيث إن الأبناء الذين ينشؤون في بيئة مستقرة يتجهون إلى سلوكيات إيجابية، بعكس من يعانون من الإهمال أو العنف الأسري.

٣ .البعد التربوي

التنشئة الأخلاقية للأبناء: تعليم الأبناء القيم الإسلامية مثل البرّ والإحسان يعزز فيهم الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، ويجعلهم أفرادًا صالحين في المستقبل.

أهمية القدوة الحسنة: عندما يكون الآباء قدوة حسنة لأبنائهم في المعاملة والاحترام، فإن الأبناء يكتسبون هذه القيم بشكل عملي، مما يجعلهم يطبقونها في حياتهم.

أثر التعليم الديني في بناء الشخصية: تعليم الأبناء مبادئ الدين وأهمية العلاقات الأسرية يساهم في تشكيل وعيهم الأخلاقي، ويجعلهم أكثر التزامًا بالقيم الإنسانية.

تنمية مهارات التربية الإيجابية: استخدام أساليب تربوية مثل الحوار، والتشجيع، والتوجيه بدلاً من العقاب القاسي يعزز العلاقة بين الآباء والأبناء، ويساعد على بناء شخصيات متزنة نفسيًا واجتماعيًا.

الفرع الثاني: الواجبات المشتركة بين الأزواج

تناول الشيخ محمد عبد الله دراز القضايا المتعلقة بالأخلاق العائلية من خلال استعراض الآيات القرآنية ذات الصلة، حيث جمعها تحت موضوعات محددة دون الخوض في تحليل تفصيلي لبعضها، مكتفيًا بذكرها وسرد الأدلة القرآنية المرتبطة بها. ومن هنا، يمكن الرجوع إلى مصادر أخرى لإجراء تحليل أعمق عند الحاجة.

ومن تلكم الأمثلة ما ورد في قضية الواجبات بين الأزواج:[١٣٨] فتُرجع هذه الأحكام التي بين الطرفين إلى نقاط أساسية:

[١٣٨] انظر: محمد عبدالعظيم علي، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٤٣-٢٤٧.

الأول: دستور الزوجيّة، ويشمل ذلك عدة مسائل، هي كالآتي:

المسألة الأولى: العلاقات المحرمة بين الزوجين وتحتها أحكام:

يشمل هذا القسم المسائل المتعلقة بالعلاقات المحرمة بين الأزواج، والتي تم تصنيفها وفقًا لموانع النكاح المختلفة، مثل:

١. **المحرمات بالنسب والمصاهرة** :مثل تحريم الزواج بزوجة الأب، زوجة الابن، الأم، البنات، الأخوات، العمات، والخالات، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [النساء: ٢٢].

مناقشة: يوضح النص القرآني أن مجرد عقد الزواج يكفي لتحريم المرأة على أبناء الزوج، سواء حصل الدخول أم لم يحصل، مما يعكس حرص الشريعة على حماية العلاقات الأسرية ومنع أي اختلاط غير مشروع قد يؤدي إلى تفكك القيم الاجتماعية. فإذا تبيّن حمل لفظ النكاح بهذا المعنى فبمجرد العقد دون الدخول يحرم من باب الأولى الدخول؛ والخلاف يرجع في مقصود لفظ (النكاح). هذا ولفظة: (آباؤكم) في الآية تعم كل من له أبوة، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، فيحرم أصوله وفصوله، وزوجتهما، يعني :أنه يحرم على الشخص أن يتزوج امرأة تزوجها أحد من آبائه وإن علوا، أو بنيه وإن سفلوا. وإن لم يدخل بها الأب، فالتحريم بمجرد كتابة العقد كما سبق وسواء كانت من جهة الأب أو من جهة الأم[١٣٩].

٢. **المحرمات بالرضاعة:** حيث يحرم الزواج بمن أرضعته الأم أو الأخوات من الرضاعة، لقول النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[١٤٠].

---

[١٣٩] انظر المرجع نفسه، وانظر: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)، ج٤، ص٢١٧.

[١٤٠] أخرجه البخاري، **الصحيح**، كتاب الشهادات، باب الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ، وَالرَّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ، وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ، رقم الحديث: ٢٥٠٢.

وسبب التحريم: أنّ في الجاهلية كان الأب إذا مات وترك زوجات وأولاد يحق لابنه من زوجة أخرى أن يتزوج واحدة من زوجات أبيه المخلفة فجاء تحريم ذلك بنص القرآن[١٤١]؛ والدليل على هذه المحرمات بالنسب والمصاهرة[١٤٢] قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء: ٢٣-٢٤][١٤٣].

ومن المحرمات للمسلم والمسلمة نكاح المشركة فيحرم للمسلم نكاح المشركة كما أنه لا يحل للمشرك نكاح المسلمة، وقد ذكر الشيخ دراز دليل ذلك في سورة البقرة الآية: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾ [البقرة: ٢٢١][١٤٤]. وكذلك تجد الشيخ دراز يعد نكاح الزاني من المحرمات، لم يصرح ذلك ولكن ذكر ذلك تحت علاقات محرمة فظاهر من مذهبه أنه لايصح ذلك قوله تعالى: ﴿**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ٣][١٤٥]. وقد يُردّ ذلك بأن الحرام لايحرم حلالاً لأن الأصل في النكاح حلال، فإذا اطلع وصف محرم فيتعامل فيه معاملة خاصة، ويجري الحكم على أصله.

المسألة الثانية: علاقات محللة

بعد تناول العلاقات المحرمة في الزواج، انتقل الشيخ محمد عبد الله دراز إلى عرض صور النكاح المرغّب فيه، حيث جمع الآيات التي تتعلق بهذا الموضوع دون تحليلها. ومن أولى الآيات التي

---

[١٤١] انظر: المرجع السابق، ص٢٤٣.

[١٤٢] انظر: مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ج٤، ص٢١٢.

[١٤٣] انظر: المرجع السابق، ص٢٤٣-٢٤٤.

[١٤٤] انظر: **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧١٣.

[١٤٥] انظر: المرجع السابق، ص٧١٣.

استشهد بها قوله تعالى: ﴿**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النساء: ٢٤-٢٥][١٤٦]. يحث الإسلام على الزواج من المرأة الحرة المؤمنة العفيفة، وخاصة لمن كان قادراً على ذلك، لما في ذلك من تحصين للزوجين وحفظ للعِرض، فالحرة تُحسن حفظ نفسها وتصون كرامة زوجها. أما الزواج من الإماء، فقد رُخِّص فيه عند العجز عن نكاح الحرائر، مع التأكيد على أن الأصل في الشرع هو تفضيل الزواج من المؤمنات الحرائر،[١٤٧] كما قال تعالى:

﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ [المائدة: ٥][١٤٨].

ضوابط أخلاقية في الزواج

من الأمور الأخلاقية التي ينبغي مراعاتها في الزواج حسن الاختيار، والمعيار الأساسي في ذلك هو الدين. وقد استشهد الشيخ دراز بآيات تشير إلى الصفات المأمور بها والمستحبة في الزوجة، ومنها قوله تعالى:

---

[١٤٦] انظر: المرجع السابق، ص٧١٣.

[١٤٧] انظر: موسوعة التفسير الموضوعية، باب: النكاح، https://modoee.com/show-book-scroll/٤٧١. شوهد في ٢٠٢٤/١٠/٢٠م.

[١٤٨] انظر: المرجع السابق، ص٧١٣.

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

و (الرضا المطلق والمتبادل): كما أن الرضا المطلق والمتبادل بين الطرفين شرط أساسي في الزواج، فلا يجوز إكراه المرأة على الزواج كما كان يحدث في الجاهلية، حيث كان أحد أقارب الزوج المتوفى يرث زوجته ويجبرها على الزواج بمن شاء، فجاء الإسلام بمنع ذلك، كما قال تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، وكذلك منع الإسلام أولياء المرأة من إجبارها على الزواج أو منعها من الزواج بمن ترغب، إذا كان الأمر بالمعروف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

ومن الواجبات التي لابد منها: (الصداق – المهر): ومن الواجبات الأساسية في الزواج تقديم الصداق، وهو حق المرأة الذي أوجبه الشرع، حيث قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٢٢][١٤٩]. فالصداق يُعطى للمرأة كهدية وتكريم، وهو ملك لها، فإن وهبت منه شيئًا عن طيب نفس، جاز للزوج أن يأخذه دون حرج.

بهذا يتضح أن الشريعة الإسلامية قد وضعت ضوابط دقيقة للعلاقات الزوجية، فحرّمت ما يؤدي إلى الفساد والانحراف، وأمرت بما يحقق السكينة والمودة بين الزوجين، ضمن إطار من الأخلاق والعدل.

---

[١٤٩] انظر: المرجع السابق، ص٧١٤.

الثاني: الحياة الزوجية

صيانة الحياة الزوجية تُعتبر ركنًا مهمًا جدًا في بناء هذا الكون وتحقيق الخلافة على هذه الأرض. فالأسرة القوية تُبنى على أساس تحسين الحياة الزوجية وفهم ما يصلحها وما يفسدها، خصوصًا في ظل الصراعات الكونية وجهود بعض البشر التي تهدف لتدمير الحياة الزوجية في العديد من المجتمعات. لذا، تقدم هذه الدراسة معالجة شاملة لهذا الموضوع يمكن الاعتماد عليها في إصلاح الحياة الزوجية، ومنها ما يلي:

-روابط مقدسة ومحترمة: لابد من التقدير المتبادل من الطرفين، وأن يكون التعايش بين الزوجين في ظل تقوى عز وجل ومراقبة أوامره، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١].[١٥٠] ولتحقيق زواج ناجح ومستقر، لا بد من فهم الغايات والأهداف الأساسية التي شُرّع الزواج من أجلها. فعندما تغيب هذه الأهداف، تطرأ على الحياة الزوجية مشكلات متعددة ومختلفة، مما يستدعي من الزوجين إدراك الغاية الحقيقية من الزواج والسعي الدائم لتحقيقها في حياتهما المشتركة.

وقد رسم الشيخ دراز معالم هذه الغايات، ومن أبرزها:

١. **السلام الداخلي، والمودة، والرحمة:** يُعد تحقيق السكينة والاستقرار العاطفي أحد أهم أهداف الزواج، وهو ما أشار إليه الله تعالى في قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١].

٢. **استمرار النوع البشري:** يُمثل الإنجاب والتكاثر هدفًا أساسيًا من الزواج، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾ [النحل: ٧٢].

١. هذه الأهداف تشكل ركائز أساسية ينبغي فهمها وتطبيقها لضمان حياة زوجية قائمة على التفاهم والاستقرار.

---

[١٥٠] انظر: المرجع السابق، ص٧١٦.

٢. **المساواة في الحقوق والواجبات:** تعدّ هذه القضية مبدأً راسخًا في التشريع الإلهي، حيث يتساوى الرجل والمرأة في الحقوق والالتزامات، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٣. **التشاور والتراضي:** من الضروري أن يسود التفاهم والتشاور بين الزوجين، لا سيما في تربية الأبناء ورعايتهم، مع الحرص على الوضوح في الأمور، امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾، **[البقرة: ٢٣٣]**.

كذلك إنسانية مطلوبة في التعايش حياة زوجية، يأتي في ذلك:

التعامل الإنساني الراقي: وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ**﴾ [الطلاق: ٧][١٥١].

المعاشرة بالمعروف حتى في حال الكراهية: وذلك مصداقاً لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» أو قال: «غيره»[١٥٢]. وقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩][١٥٣]، وغيرها من التي تدعو إلى حسن المعاشرة بين زوجين.

---

[١٥١] انظر: المرجع السابق، ص٧١٧.

[١٥٢] صحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: الوصية، ج٢، ص١٠٩١، رقم الحديث:١٤٦٩.

[١٥٣] انظر: دستور الأخلاق، ص٧١٧.

معاودة الإصلاح في حال النزاع: وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾[١٥٤].

مناقشة أفكار الفرع الثاني من النواحي النفسية والاجتماعية والتربوية:

أولًا: البعد النفسي

- **الأمان والاستقرار العاطفي**: إن الزواج، كما ورد في النصوص الشرعية، يقوم على المودة والرحمة، وهو ما ينعكس نفسيًا في تحقيق الأمن العاطفي والاستقرار النفسي بين الزوجين. فالتحريمات والضوابط الواردة تهدف إلى منع العلاقات غير المشروعة التي قد تؤدي إلى صراعات نفسية واضطرابات وجدانية داخل الأسرة.
- **تأثير العلاقات المحرمة على الصحة النفسية**: من منظور علم النفس، فإن العلاقات المحرمة تسبب اضطرابات عاطفية وتؤثر على تقدير الذات، وقد تؤدي إلى مشاعر الذنب والقلق، مما يبرر الحكمة من تحريمها في الإسلام لضمان الصحة النفسية للأفراد.
- **الرضا في الزواج**: إن التأكيد على الرضا المتبادل في الزواج ينعكس إيجابيًا على الصحة النفسية لكلا الزوجين، حيث يقلل من التوتر والضغوط النفسية المرتبطة بالزواج القسري أو غير المتكافئ.
- **الصراع والتكيف في الحياة الزوجية**: إن الزواج، كأي علاقة إنسانية، يتطلب مهارات نفسية مثل التفاهم، ضبط النفس، والتسامح؛ فغياب هذه العوامل يؤدي إلى اضطرابات نفسية مثل الاكتئاب أو القلق نتيجة عدم التكيف مع الشريك.

[١٥٤] انظر: المرجع السابق، ص٧١٨.

ثانيًا: البعد الاجتماعي

- **حماية النسيج الاجتماعي:** القوانين الشرعية المتعلقة بالزواج، مثل تحريم نكاح المحارم، تهدف إلى الحفاظ على العلاقات الأسرية وتجنب التفكك الأسري.
- **التوازن الاجتماعي والمساواة بين الزوجين:** الإسلام رسّخ مبدأ المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات، مما يعزز العدالة الاجتماعية والاستقرار الأسري، حيث لا يشعر أي طرف بالظلم أو التمييز.
- **الحد من المشكلات المجتمعية:** الزواج الشرعي يقلل من المشاكل الاجتماعية مثل تفشي العلاقات غير المشروعة، وتزايد معدلات الطلاق، وارتفاع نسبة الأطفال مجهولي النسب، وهو ما يحافظ على استقرار المجتمع.
- **الاستقرار الأسري وتأثيره على الأجيال القادمة:** عندما تقوم العلاقة الزوجية على أسس صحيحة، فإنها تساهم في تربية أبناء أسوياء نفسيًا واجتماعيًا، مما يضمن استقرار الأجيال القادمة ويقلل من التفكك الأسري الذي قد يؤدي إلى الانحرافات السلوكية.

ثالثًا: البعد التربوي

- **التربية على القيم الأخلاقية:** الزواج في الإسلام يتطلب التزامًا أخلاقيًا، مما يعلّم الأفراد قيم المسؤولية، الأمانة، والاحترام المتبادل.
- **دور الأسرة في التربية:** الأسرة المستقرة توفر بيئة تربوية سليمة للأطفال، وتساهم في تشكيل سلوكهم بطريقة إيجابية من خلال القدوة الحسنة والتنشئة السليمة.
- **أهمية التشاور والتراضي في تربية الأبناء:** عندما يكون هناك توافق بين الزوجين في القرارات التربوية، فإن ذلك ينعكس إيجابًا على الأطفال، ويجنبهم الاضطرابات النفسية الناتجة عن النزاعات الأسرية.

- **تعزيز مفهوم المسؤولية:** الزواج القائم على الالتزام والاحترام المتبادل يغرس في الأفراد الإحساس بالمسؤولية، سواء تجاه الشريك أو الأبناء، مما ينعكس على السلوك المجتمعي العام.

المطلب الثاني: (القواعد الأخلاقية الاجتماعية في القرآن):

الفرع الأول: التحذير من المحظورات ودورها في صيانة المجتمع

الفرع الثاني: الحث على الالتزام بالأوامر والآداب التي تعزز روابط المجتمع

يهدف هذا المطلب إلى تناول النواهي التي يسهم تجنبها في إصلاح المجتمع ودفعه نحو التقدم والازدهار، بالإضافة إلى تسليط الضوء على القيم الأخلاقية التي تؤسس علاقات متينة بين أفراده. ويتضمن هذا المطلب فرعين رئيسيين:

الفرع الأول: المحظورات التي تساهم في حماية المجتمع عند تجنبها

أورد الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه: *دستور الأخلاق في القرآن* جملة من المحظورات التي تؤثر سلبًا على المجتمع، ومنها: قتل النفس، السرقة، الغش، القرض الربوي، الاختلاس، التملك غير المشروع، تبديد أموال اليتامى، خيانة الأمانة، الإيذاء دون مبرر، الظلم، التواطؤ على الشر، الدفاع عن الخونة، عدم الوفاء بالعهود، الغدر والخداع، إفساد القضاة، شهادة الزور، الكتمان، قول السوء، سوء معاملة اليتيم والمحتاج، السخرية، احتقار الآخرين، التجسس، الافتراء والغيبة، إقامة علاقات مؤذية، القذف، التدخل الضار، واللامبالاة تجاه الفساد العام.[١٥٥]

وقد تناول الشيخ دراز هذه المحظورات بالتفصيل، مستعرضًا الآيات القرآنية التي تتعلق بكل منها. وفي هذا السياق، سيتم دراسة هذه القضايا بإيجاز مع التحليل المناسب، والاستشهاد بوقائع من الواقع المعاصر، مع مراعاة الظروف التي يمر بها المسلم اليوم.

وفيما يلي متابعة لتفاصيل هذا الموضوع:

---

[١٥٥] انظر: محمد عبدالعظيم علي، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٨٧.

الأول: قتل الإنسان: هو جريمة كبرى أفظع وذنب عظيم وقد حذرنا الله من ذلك من عدة آيات وبيّن آثار ذلك في الوجود فقال الله محذراً: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾ [المائدة:٣٢]، قال الإمام مالك: فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْفَسَادَ مِثْلَ الْقَتْلِ[١٥٦]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا**﴾ [النساء: ٩٢] وقال أيضاً: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣]. [١٥٧] قال الطبري: قال أبو جعفر: يقصد الله سبحانه وتعالى بقوله هذا أن من يقتل مؤمنًا عمدًا، متعمدًا إزهاق روحه، فإن جزاءه هو جهنم، أي أن عقوبته على هذا الفعل هي العذاب في نار جهنم. وسيكون **خالدًا فيها**، أي مقيمًا فيها بلا خروج. أما الضمير في كلمة "**فيها** "فيعود إلى **جهنم**.

ثم يوضح أن الله **غضب عليه** بسبب قتله للمؤمن عمدًا، ولعنه، أي طرده من رحمته وأبعده عنها، وأعدّ له **عذابًا عظيمًا**، وهو عذاب شديد لا يعلم مدى شدته إلا الله سبحانه وتعالى[١٥٨].

الثاني: السرقة: جاء ترهيب شديد من كتاب الله سبحانه، في شأن السرقة، وخصوصاً عندما بين حكم من قام بهذا الفعل الشنيع، وأكل حقوق الناس من غير علمهم ورضاهم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ**

---

[١٥٦] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، **المدونة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م) ج٤، ص٥٥٢.

[١٥٧] انظر: **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧٢٥.

[١٥٨] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٩، ص٥٧.

اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨][١٥٩]. قال الإمام الشافعي: اسم السرقة يلزم من سرق قليلاً وكثيراً، ومن حرز ومن غير حرز[١٦٠].

الفرع الثاني: ترغيب الأوامر التي تؤصل روابط المجتمع

هناك أوامر ذكرها الشيخ دراز بالتفصيل تحت قواعد فرعية وفي كل منها استقرئ الآيات التي التتعلق بها من القرآن دون دعوى الحصر، وبهذا الجهود المذكورة قام الدكتور محمد عبدالعظيم علي بتلخيص ما قدمه الشيخ دراز وترجمته ومن ذلك ما يأتي ذكره: أداء الامانة- توثيق المعاملات المالية لتجنب الشك- الوفاء بالعهود والوعود- أداء الشهادة الصادقة- إصلاح ذات البين- التشفع أو التوسط في الخلافات- لا .. للأشرار -التواضع والتراحم المتبادل- الإحسان ولا سيما إلى الضعفاء- استثمار أموال اليتامى- تحرير العبيد -أو تيسير تحريرهم - العفو- عدم تجاوز الإساءة في جميع الأحوال- درء السيئة بالحسنة -الدعوة الى الخير والنهي عن الشر- نشر العلم- الصداقة والكرم-الحب الشامل- العدل والإحسان معاً - ثلاثة مواقف مشروعة بدرجات متفاوتة -١- تمسك الإنسان بحقوقه ٢- الكرم في الرخاء- الإيثار البطولي- الواجب الدقيق هو الوسط- العطاء واجب شامل- شروط مطلوبة في ممارسة الإحسان: ١- جهة الصرف ٢- النية ٣ - صفة العطاء ٤-طريقة الإعطاء: ١- الأفضل أن يكون سراً، ب- عدم إهانة الأخذ- الدعوة إلى السخاء- ذم الاكتناز[١٦١].

خلاصة المطلب السابق

تناول هذا المطلب الأسس الأخلاقية التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية لضمان استقرار المجتمع وتعزيز روابطه، وتضمن ذلك المطلب فرعين رئيسيين:

---

[١٥٩] انظر: **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧٢٦.

[١٦٠] الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، (المملكة العربية السعودية، الدار التدمرية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ج٣، ص١٤٢٢.

[١٦١] انظر: محمد عبدالعظيم علي، **مختصر دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٨٧.

الفرع الأول: التحذير من المحظورات ودورها في صيانة المجتمع

سلّط المطلب الضوء على الأفعال المحرّمة التي تؤدي إلى تفكك المجتمع وفساده، والتي يجب تجنبها لصيانة بنيانه. ومن هذه المحظورات: القتل، السرقة، الغش، الربا، الاختلاس، خيانة الأمانة، الإيذاء دون مبرر، الظلم، شهادة الزور، التجسس، الغيبة، القذف، والسخرية. وقد فصّل الشيخ محمد عبد الله دراز هذه القضايا في كتابه *دستور الأخلاق في القرآن*، مستعرضًا الأدلة القرآنية التي تحذر منها، مع بيان خطورتها على استقرار المجتمع وأثرها السلبي على العلاقات بين الأفراد.

الفرع الثاني: الحث على الالتزام بالأوامر والآداب التي تعزز روابط المجتمع

ركّز هذا القسم على القيم الأخلاقية التي تعزز التماسك الاجتماعي، مثل أداء الأمانة، توثيق المعاملات المالية، الوفاء بالعهود، إصلاح ذات البين، التوسط في الخلافات، التواضع، الإحسان إلى الضعفاء، العفو، نشر العلم، الصداقة، الكرم، العدل، والإحسان. كما يشمل المبادئ المتعلقة بالإنفاق، مثل تقديم العطاء بسرية وعدم إهانة المحتاجي، حيث اعتمد المطلب على دراسة موجزة لهذه المفاهيم، مع ربطها بالواقع المعاصر، بهدف تقديم رؤية متكاملة للأخلاق الإسلامية في بناء مجتمع متماسك وعادل.

المبحث الثالث: كيفية تعامل الشيخ دراز مع النص القرآني

المطلب الأول: التفسير الموضوعي عند الشيخ دراز

الفرع الأول: مفهوم التفسير الموضوعي

الفرع الثاني نماذج التفسير الموضوعي عند الشيخ دراز

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية (للسور القرآنية) عند الشيخ دراز

الفرع الأول: مفهوم الوحدة الموضوعية عند الشيخ دراز

الفرع الثاني: نماذج الوحدة الموضوعية عند الشيخ دراز

المطلب الثالث: الاعجاز القرآني

الفرع الأول: مفهوم الإعجاز القرآني

المبحث الثالث: كيفية تعامل الشّيخ محمد عبدالله دراز مع النّص القرآني

مما تميّز به الشيخ محمد عبدالله دراز أن له منهجاً خاصاً في التعامل مع النص القرآني، وهذا التعامل ساهم في توضيح النصوص القرآنية بشكلٍ واضحٍ، ويمكن بيان ذلك في المطالب الآتية، وهي:

المطلب الأول: التفسير الموضوعي عند الشّيخ دراز

الفرع الأول: مفهوم التّفسير الموضوعي

المقصود بالتفسير الموضوعي: ما ذكره الدكتور الخطيب فقال بأنه: التفسير الذي يقوم على أساس محاولة استكشاف النظرية القرآنية في جميع المجالات، ويدخل من ضمنها العقيدة، والفكر، والثقافة، والتشريع، والسلوك، وغير ذلك[١٦٢].

ويتم ذلك من خلال جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، إما في سورةٍ واحدةٍ، أو في جزءٍ واحدٍ مثلاً، أو في القرآن كاملاً، ومن ثم دراستها مقابل بعضها البعض مع الاستعانة بما جاء مجملاً مقابل ما جاء مفصلاً في موضعٍ آخر، ثم حمل المطلق في الآية على المقيّد في آيةٍ أخرى، وكذلك حمل العام في هذه الآية على الخاص في آيةٍ أخرى ونحو ذلك، وقد يكون أقرب مثالٍ لهذا هو القصص القرآنية التي تضمنها القرآن الكريم، فلا يمكن التعرف على جوانبها بشكلٍ كاملٍ وواضحٍ إلا من خلال التفسير الموضوعي، وبطبيعة الحال يدخل ضمن هذا الأمر تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، فيتكون لدى الباحث تصورٌ عامٌ حول الموضوع الذي يتم دراسته[١٦٣].

ومع أن الشيخ محمد عبدالله دراز لم يقدّم لنا تعريفاً واضحاً حول مفهوم التفسير الموضوعي لديه، إلا أنه يمكننا معرفة ذلك من خلال تتّبع ما كتبه حول بعض قضايا القرآن

---

[١٦٢] انظر: أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، (الرياض: دار التدمرية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج١، ص٣٦٣. وانظر: مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (دمشق: دار القلم، ط٦، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٦.

[١٦٣] انظر: المرجع نفسه.

الكريم، وخصوصاً ما أورده في كتابه النبأ العظيم[١٦٤]، حيث قام بالتركيز على دراسة بعض الآيات القرآنية وفق موضوعاتٍ معينةٍ؛ تتعلق بقضايا الحياة والمجتمع، مع إشارته إليها أحيانا بمقاصد القرآن، فيقول: "فإن مقاصد القرآن وأهدافه في السور المكية والمدنية واحدة: وهي إصلاح العقائد وتنظيم مناهج السلوك للأفراد والجماعات"[١٦٥].

أي بدلاً من أن يكون التفسير قائماً على الشكل التقليدي القديم وهو مجرد سرد الروايات، وبيان المعنى اللغوي لها، إلا أن الشيخ دراز سعى إلى استخدام منهجٍ يجمع بين الآيات ذات الصلة –بعضها ببعض– لتوضيحٍ موضوعٍ معينٍ، أو القضية التي يريد بيانها. ولهذا ذكر الشيخ الغزالي من أن الشيخ دراز يعدّ من أهم من طبّق التفسير الموضوعي في كتابه النبأ العظيم حتى قال: "فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه النبأ العظيم وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة فيما أعتقد"[١٦٦]. وهذا يشير إلى أنه لا يتبع تقسيمًا تقليديًا لعناوين يضعها تحت مسمى التفسير الموضوعي هكذا بشكلٍ صريحٍ، بل يقوم بمناقشة الموضوعات بطريقةٍ موضوعيةٍ، ثم يعتمد على الأسلوب التحليلي الذي يقارب به النص القرآني، فيحلل الموضوعات ضمن هذا السياق، ولهذا يمكن القول بأن التفسير الموضوعي لدى الشيخ دراز ينساب في كل فصول الكتاب –النبأ العظيم– ويشكل جزءًا لا يتجزأ من طريقته في التفسير.

ومع أهمية التفسير الموضوعي واشتهار الشيخ دراز به في كتبه، إلا أنه يحذّر أيضاً من المبالغة فيه، فيقول: "وهي أن يعلم أن الصلة بين الجزء والجزء لا تعني اتحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما أو ما إلى ذلك من الصلات الجسيمة فحسب، كما ظنه بعض الباحثين في

---

[١٦٤] قد يكون من الجيد ملاحظة أن اختيار هذا الكتاب جاء بناءً على أن الشيخ دراز لم يقم بتأليف كتابٍ خاصٍ في التفسير، بل بثّ أقواله وآراءه حول القرآن في غالب مؤلفاته وكتبه، ويمكن ملاحظة مدى اهتمامه بالقرآن من خلال العناوين التي عنون بها تلك الكتب، مثل: النبأ العظيم، ودستور الأخلاق في القرآن، ومدخل إلى القرآن الكريم وغيرها، والتي تدل دلالةً واضحةً على شدة اهتمامه بالقرآن، حتى وإن لم يقم بتأليف كتابٍ خاصٍ بالتفسير كما هي عادة بعض العلماء في هذا الباب.

[١٦٥] محمد عبدالله دراز، **حصاد قلم**، جمع: أحمد مصطفى فضلية، مراجعة: عبدالستار فتح الله سعيد، (القاهرة: دار القلم، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، ص٤٩.

[١٦٦] محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الشروق، ط٤، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٥.

المناسبات، فجعل فريق منهم يذهب في محاولة هذا النوع من الاتصال مذاهب من التكلف والتعسف"[١٦٧].

ويقصد من الكلام السابق، ضرورة ابتعاد المفسر عن اعتساف النصوص، ثم التلاعب بها طلباً لمناسبتها مع آيةٍ أخرى، وبهذا أدرك الشيخ دراز أن التفسير الموضوعي وإن تضمن على تفسير القرآن بالقرآن، إلا أنه أيضاً فيه جانبٌ من الاجتهاد والرأي، والذي يدخل فيه عمل المفسر الذي يقوم بربط الآية في موضعٍ ما، بما يناسبها في سورةٍ أخرى، وهذا الذي قد يخطئ فيه بعض الباحثين اليوم فينظرون إلى تفسير القرآن بالقرآن على أنه من أعلى درجات التفسير، وهذا صحيحٌ لكن من جهة إذا قام به رسول الله ﷺ لأنه مبلّغٌ عن ربّه، أما إذا قام به الصحابة أو التابعون أو غيرهم من المفسرين، فإن المسألة تختلف وتتباين من جهة الصحة والثبوت وغير ذلك، لأنها من عمل المفسر واجتهاده، فهي بحاجةٍ إلى نظرٍ وتأملٍ.

ويبدو أن الشيخ دراز كان يسعى من وراء تقرير هذا المنهج تيسير تفهيم القرآن على الناس، وذلك من خلال ممارسة التفسير الموضوعي، فيقوم بجمع الآيات المتعلقة بموضوعٍ واحدٍ، حتى يكون التعامل مع النص القرآني مبنياً على فهمٍ شاملٍ، واستيعابٍ لتلك النصوص المتعلقة بالموضوع الواحد، فيصبح من السهل على القارئ إدراك المعاني التي لا يمكن لها أن تتضح إلا من خلال هذه الطريقة[١٦٨]، لأن هذا النوع من التفسير يسمح بفهم المعاني القرآنية بشكلٍ أعمق، نظراً لما يقوم عليه من تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير الآيات بالأحاديث النبوية.

وأيضاً –كما يبدو– يظهر بأنه عندما مارس التفسير الموضوعي، كان يريد من وراء ذلك التفاعل مع الحياة المعاصرة فيساهم في تقديم بعض الحلول للمشكلات من خلال النصوص القرآنية، ولهذا نرى في بعض كلامه جانباً واضحاً يتعلّق بتعزيز القيم، وأيضاً العمل على تعزيز القيم الأخلاقية والدينية من خلال دراسة الآيات التي تأصّل للأخلاق في سياق موضوعاتها[١٦٩].

---

[١٦٧] أحمد مصطفى فضلية، **من روائع التفسير للإمام محمد عبدالله دراز**، مراجعة: حمدي الأدهم، تقديم: عبدالستار فتح الله سعيد، (القاهرة: مفكرون، د.ط، د.ت)، ص٨٩.

[١٦٨] انظر: محمد عبدالله دراز، **النبأ العظيم**، عناية: عمرو الشرقاوي، (القاهرة: عالم الأدب للترجمة والنشر، ط٦، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ص٣٠٠.

[١٦٩] انظر: محيي الدين بن عمار، **جهود محمد عبدالله دراز في التفسير الموضوعي**، ص١٢٧-١٧٩.

ومن الملاحظ أن الشيخ دراز يركز كثيراً على الوحدة الموضوعية في السورة الواحدة باعتبارها ثمرة التفسير الموضوعي، فيقول: "السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه –وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها– إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة"[١٧٠].

ثم يؤكد على الكلام السابق في موضعٍ آخر فيقول: "هو زينة تلك الثروة وجمالها، ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"[١٧١].

وبهذا ظهر لنا شمولية نظرة الشيخ دراز للنص القرآني، وأنه عندما تعامل مع هذا النص فإن له أسلوباً خاصاً تميّز به عن غيره كثيراً، من ذلك أن التفسير الموضوعي في غالب مؤلفاته وكتبه يعدّ أداةً فعالةً لتفهيم القرآن، واستجلاء ما فيه من قيمٍ ومفاهيم، بل ولتجديد الفهم الديني عموماً، ثم تطبيق تعاليم القرآن في الحياة اليومية.

الفرع الثاني: نموذج من التفسير الموضوعي عند الشيخ دراز

من أوضح النماذج والأمثلة التي أوردها الشيخ دراز على فكرة التفسير الموضوعي في مؤلفاته، تقريره لمسألة الدعوة والهداية كما يعرضها القرآن الكريم، فحاول بيان كيفية تعامل القرآن مع هذه المواضيع بطريقةٍ شاملةٍ، مشيراً إلى مدى الترابط بين الآيات والسور عند معالجة هذه القضية[١٧٢].

---

[١٧٠] أحمد مصطفى فضلية، **من روائع التفسير للإمام محمد عبدالله دراز**، مراجعة: حمدي الأدهم، تقديم: عبدالستار فتح الله سعيد، (القاهرة: مفكرون، د.ط، د.ت)، ص٨٨.

[١٧١] دراز، **النبأ العظيم**، ص٢٤٤. وانظر: دعاء محمد رياض أبو زيد، **الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز**، ص١٢٥. هي مجلة كلية التربيّة– جامعة عين الشمس، العدد الرابع والعشرون (الجزء الثاني) ٢٠١٨.
.https://jfehls.journals.ekb.eg/article_٩٢٥٨٨_٦cce٨٥ac٤١f٠fee٨١٤٣٧٩٧٤cfc٣١٩٨٧٨.pdf

[١٧٢] انظر: دراز، المرجع نفسه، ص٢٥٨.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ دراز عن سورة البقرة حيث قال: "وأما إن أحببت أن نريك نموذجا من السور المنجمعة كيف التأمت منها سلسلة واحدة من الفكر تتلاحق فيها الفصول والحلقات، ونسق واحد من البيان تتعانق فيه الجمل والكلمات، فأي شيء أكبر شهادة وأصدق مثالا من سورة نعرضها عليك هي أطول سور القرآن كافة، وهي أكثرها جمعا للمعاني المختلفة، وهي أكثرها في التنزيل نجوما، وهي أبعدها في هذا التنجيم تراخيا تلك هي سورة البقرة"[١٧٣].

ثم للتأكيد على فكرة التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، قام بتقسيم سورة البقرة إلى عدة مقاصد، وهي على النحو الآتي:[١٧٤]

المقدمة: وهي من الآية ١-٢٠ فذكر فيها تعريفاً بالقرآن، وأنه بلغ حداً من الوضوح بحيث لا يرتاب فيه أي إنسانٍ من جهة طلب الاستهداء به، ثم تلك الطوائف التي تكلمت عنها السورة، وهم المتقين، والكافرين، والمخادعين.

ثم المقصد الأول من السورة وهو: دعوة الناس كافةً إلى اعتناق الإسلام، وذلك من الآية ٢١-٢٥ وقد وجه القرآن نداءه بعدم عبادة غير الله، ثم الإيمان بالقرآن الكريم، وأخيراً طلب ثواب الله، والحذر من عقابه.

أما المقصد الثاني فهو: دعوة أهل الكتاب خاصةً إلى باطلهم، والدخول في الإسلام، وذلك من الآية ٤٠-١٦٢ وبهذا انتقل الإسلام من الدعوة العامة للناس إلى تخصيص أهل الكتاب بذلك نظراً لمخالطته المباشرة اليهود في المدينة، حيث خاطب الله بني إسرائيل بأحب الأسماء إليهم، وذكّرهم بنعمه عليهم، مع استعراضه لأحوال المعاصرين منهم للنبيﷺ.

والمقصد الثالث: بدأ فيه بمدخلٍ إلى هذا المقصد، ويتمثل في عرض شرائع الدين الإسلامي بشكلٍ تفصيليٍ، وهذا يعتبر أمراً طبيعي بعد النداء الذي قدّمه الله في المقاطع السابقة، ودعوته لأهل الكتاب وغيرهم للإيمان به، فكان من اللائق أن يقوم ببيان تفاصيل الشريعة

---

[١٧٣] دراز، **النبأ العظيم**، ص٢٥٨.

[١٧٤] انظر: المرجع نفسه، ص٢٦٥. وانظر: جعوان مبروكة، **منهج الشيخ محمد عبدالله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم**، ص٤٧.. وهي رسالة لاستكمال درجة الماجستير، تخصص: تفسير وعلوم القرآن، السنة الجامعيّة: ٢٠١٥-٢٠١٦-١٤٣٦هـ١٤٣٧.

الإسلامية بشكلٍ يقيم الحجة على هؤلاء، وقد أشار إلى أن هذا الأمر يبدأ من الآية ١٦٣-١٧٧ ويظهر في تقرير وحدة المعبود، ثم تقرير وحدة المطاع، وحسن التخلص الذي يظهر في إجماله للشرائع الدينية، وهذا المقصد الحقيقي الذي يبدأ من الآية ١٧٨-٢٨٣ وقد فصّل فيه من ناحية بيان الشؤون الأسرية، وكذا أعمال الصوم والحج والصلاة وباقي العبادات.

بينما المقصد الرابع فهو: الوازع الديني الذي يدفع لملازمة تلك الشرائع، وينهى عن مخالفتها، وهذا يتمثل في آيةٍ واحدةٍ وهي الآية ٢٨٤ فبعد أن قرر مسائل التوحيد، ثم بيان شرائع الإسلام، أكّد على أهمية هذا الوازع في نفس الإنسان الذي يقوده للاستجابة والامتثال لأوامر الله، والابتعاد عن نواهيه، فيستشعر مراقبة الله له في كل وقتٍ، وفي كل حين.

أما الخاتمة: وفي في الآيتين ٢٨٥-٢٨٦ ففيها استعراضٌ للذين استجابوا للقرآن، ومن ثم تحققت لهم الهداية، وبيان ما يُرجى لهم في الدنيا والآخرة، وهذا يعتبره الشيخ دراز أمراً طبيعياً، لأن الله عندما أشار إلى ربوبيته والإيمان به، ثم استعرض تفاصيل الشريعة، فكان من المناسب أن يبيّن من هم الذين استجابوا له ممن لم يستجيبوا، وهذا طيّ صفحته، وإعلان ختام الدعوة.

ثم يختم الشيخ دراز هذا الاستعراض بقوله: "تلك هي سورة البقرة.. أرأيت وحدتها في كثرتها؟ أعرفت اتجاه خطوطها في لوحتها؟ أرأيت كيف التحمت لبناتها من غير ملاط يمسكها، وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها؟ أرأيت كيف انتظم من رأسها وصدرها وأحشائها وأطرافها"[١٧٥].

وبهذا، يظهر لنا أن الشيخ دراز ناقش كيف أن القرآن يمثل نسيجًا متكاملاً يتسم بوحدةٍ موضوعيةٍ عميقةٍ، تتجلى هذه الوحدة في وحدة الغاية والهدف، فيوضح أن القرآن جاء لغايةٍ واحدةٍ وهي هداية البشرية، وإرشادهم إلى طريق الحق والصراط المستقيم، وأيضاً وحدة التشريع، حيث يتم تقديم التشريع الإسلامي في القرآن بصورةٍ متكاملةٍ تتناول جوانب الحياة المختلفة والمتعددةٍ؛ بطريقةٍ متسقةٍ ومتناسبةٍ ومترابطة، إضافةً إلى وحدة الموضوع، فعلى الرغم من تنوع الموضوعات التي تناولتها سورة البقرة إلا أن هناك ترابطٌ وتكاملٌ بين هذه الموضوعات وهذا يشير إلى أن هناك وحدةٍ أساسيةٍ تحتويها.

---

[١٧٥] دراز، **النبأ العظيم**، ص٣١١.

وبعد الاستعراض السابق الذي قام به الشيخ دراز في كتابه النبأ العظيم يظهر لنا من توظيفه للتفسير الموضوعي متمثلاً بالوحدة الموضوعية عدة أمور، وهي:

١- شمولية منهج القرآن في الدعوة والتبليغ، وعلاقته بالربوبية والألوهية، وكذلك ارتباطه بالتوجيهات القرآنية للحياة الاجتماعية والأخلاقية والقيمية، ولهذا فإن الشيخ دراز كما يظهر سعى إلى بيان الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، وكيفية تعامل القرآن مع هذه الموضوعات بطريقةٍ شاملةٍ، مشيرًا إلى الإعجاز والترابط بين الآيات والسور في معالجة الأفكار والمفاهيم[١٧٦].

٢- ربط القرآن بواقع الحياة المعاصرة: حيث ظهر أن الشيخ دراز يسعى إلى ربط أحكام القرآن وتعاليمه بواقع الحياة المعاصرة، مما يجعل تفسيره مفيداً للمسلمين في جميع جوانب حياتهم، لأنهم يرون ما يقوله متمثلاً أمامهم، وفي واقعهم، ومثال ذلك ما جاء في تفسيره لبعض الآيات، حيث قال: "ألا تراهم منذ صدرت عليهم هذه الأحكام أشتاتا في كل واد، أذلاء في كل ناد، لم تقم لهم في عصر من العصور دولة، ولم تجمعهم قط بلدة، وهم اليوم على الرغم من تضخم ثروتهم المالية إلى ما يقرب من نصف الثروة العالمية لا يزالون مشردين ممزقين عاجزين عن أن يقيموا لأنفسهم دويلة كأصغر الدويلات"[١٧٧].

٣- التجديد والرؤية الإصلاحية: حيث يهتم الشيخ دراز بدراسة الآيات القرآنية دراسةً تجديديةً، فلا يكتفي دراز بالمعنى الظاهر من الآية، بل إنه يتعمق في تحليل المعاني والدلالات الكامنة فيها، ثم يربطها بالسياق الاجتماعي بهدف مواجهة تحديات العصر، كما يقدم رؤيةً إسلاميةً واضحةً لها، مما يجعله تفسيرًا حيًا يتجدد مع تغير الزمان والمكان، ومثال ذلك قوله: "أما هؤلاء الملحدون فإنهم ما قعد بهم عن متابعة البحث -زعموا- إلا رعايتهم لحرمة السنن الكونية، ومحافظتهم على الأسباب العادية التي يصدر عنها كلام الناس في معقولهم ومنقولهم؛ فقد أبى عليهم وفاؤهم

---

[١٧٦] انظر: فضلية، **من روائع التفسير للإمام محمد عبدالله دراز**، ص٥٦.

[١٧٧] دراز، **النبأ العظيم**، ص١٥٢.

لهذه العلوم الطبيعية أن يقتحموا حدودها ويخرجوا إلى التماس شيء لا تناله أعينهم"[١٧٨].

مدرسته العلمية والفكرية

مع أن الشيخ محمد عبدالله دراز جاء في فترةٍ قريبةٍ من فترة المدرسة الإصلاحية في التفسير التي كان يتزعّمها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا وغيرهم، التي اشتهر عنها المبالغة في توظيف العقل، وتأويل بعض النصوص القرآنية لتتناسب مع الواقع[١٧٩]، إلا أنه كما يبدو لم يستفد منهم استفادةً تامةً مباشرةً، أي أنه لم يتأثر بجميع مبادئ هذه المدرسة، بل كانت استفادته الكبيرة منها في جانبٍ آخر حاول إبرازه أثناء تعامله مع النص القرآني، وهذا الجانب يتمثّل في توظيف التفسير الموضوعي، وكذلك الوحدة الموضوعية عند تفسير القرآن الكريم. مع أن الشيخ أحمد فضلية يرى بأن الشيخ دراز متأثرٌ بالشيخ محمد عبده تبعاً لما ذكره بعض الباحثين من أمثال الدكتور محمد أبو شهبة وغيره[١٨٠]، إذن قد يكون سبب عدم تأثره بشكلٍ مباشرٍ بتلك المدرسة الإصلاحية؛ هو تفرده بمدرسةٍ فكريةٍ خاصةٍ به، فلم تظهر آثار تلك المدرسة عليه عند تعامله مع النص القرآني، اللهم إلا من جهة التحليل وإعمال العقل، وهذا في الحقيقة لا يمكن الجزم فيه بشيء، ثم نسبته إلى تأثره بتلك المدرسة. لأن التحليل وإعمال العقل؛ هما وظيفة كل مفسرٍ منذ بدايات مراحل التفسير الأولى في زمن رسول الله r والصحابة والتابعين، وهو ما يُعرف بالتفسير بالعقل أو الاجتهاد[١٨١].

---

[١٧٨] دراز، **النبأ العظيم**، ص١٦٨.

[١٧٩] انظر: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٢، ص٧٠٣.

[١٨٠] انظر: فضلية، **من روائع التفسير للإمام محمد عبدالله دراز**، ص٥١.

[١٨١] انظر: محمد عبدالعظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، د.ت)، ج٢، ص١١.

القواعد المنهجية للشّيخ دراز في التّعامل مع النّص القرآني

يمثل التعامل مع النص القرآني أحد الجوانب الأكثر أهمية في الفكر الإسلامي، حيث يشكل الأساس الذي يقوم عليه الفهم الصحيح للدين، وتطبيقاته في الحياة اليومية. وفي هذا السياق، برز الشيخ محمد عبد الله دراز كأحد أبرز العلماء الذين وضعوا قواعد منهجية راسخة في دراسة وتفسير النص القرآني؛ فقد قام بتطوير إطار شامل يمزج بين الفهم العميق للنصوص القرآنية والوعي بالتحديات المعاصرة، مما مكنه من إنتاج رؤية متكاملة تعكس تفاعله العميق مع معاني القرآن. من جهة أخرى، تتضمن منهجية الشيخ دراز عدة جوانب رئيسية، منها التأكيد على أهمية النصوص الشرعية والسنة النبوية كمرجع أساسي لفهم القرآن، وإعمال العقل في إطار التعاليم الإسلامية دون تجاوز الحدود الشرعية. كما دعا إلى ضرورة قراءة القرآن بشكل موضوعي يبرز القيم والأخلاق المستمدة منه، مما يعكس رؤيته الخاصة في تيسير فهمه للأجيال الجديدة. وتوصل البحث إلى نتائج مفيدة، منها: أن هذه القواعد العشر، والمنهجية التي وضعها الشيخ دراز لا تقتصر على كونها أسسًا نظرية، بل تُعبر أيضًا عن استجابة فعالة لاحتياجات العصر وتحدياته، مما يجعلها ذات قيمة عالية في سياق الدراسات القرآنية الحديثة.

اشتهر الشيخ دراز بمنهجه المتوازن الذي يمزج بين الأصالة والمعاصرة، إذ عمل على تقديم رؤية منهجية دقيقة تتسم بالشمولية والموضوعية في فهم القرآن الكريم وتحليله. وقد كان اهتمامه منصبًا على كيفية استنباط المعاني والدلالات من النص القرآني وفق قواعد تضمن تحقيق مقاصد الشريعة وإظهار إعجاز النص في جوانبه المختلفة.

ومهما يكن من أمر، فإن الأستاذ محمد عبد الله دراز يرى أن النبي الكريم ﷺ كان يتوقف أحياناً في فهم مغزى النص القرآني، حتى يأتيه البيان، وفي موقفه في قضية المحاسبة على النيات، حين نزل قوله: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٤]؛ أزعجت الآية الصحابة إزعاجاً شديداً، وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر؛ لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء، حتى حركات القلوب وخطراتها. أخرج الإمام مسلم في صحيحه الحديث الآتي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿**لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ

اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[البقرة: ٢٨٥]. فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿**رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**﴾ قَالَ: نَعَمْ، ﴿**رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ قَالَ: نَعَمْ»[١٨٢]. يقول الأستاذ دراز، فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات، حتى أنزل الله بيانها، بقوله: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إلى آخر السورة المذكورة، وهناك علموا أنهم إنما يحاسبون على ما يطيقون من شأن القلوب، وهو ما كان من النيات المكسوبة والعزائم المستقرة، لا من الخواطر والأماني الجارية على النفس بغير اختيار[١٨٣]. وموضع الشاهد منه أن النبي ﷺ لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ولأزال اشتباههم من فوره؛ لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم في أشد الحاجة إليه، ولم يكن ليتركهم في هذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رءوف رحيم، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها.

يقول الأستاذ دروزة رحمه الله: نحن نميز تحت لفظة "القانون الأخلاقي" -كما يميز جميع الباحثين تحت اسم الجنس- فرعين مختلفين هما: النظرية والتطبيق. والواقع أن دراستنا للنص

---

[١٨٢] أخرجه الإمام مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ، رقم الحديث: ١٩٩ - (١٢٥).

[١٨٣] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٥م) ص٥٧.

القرآني قد أوحت إلينا، لا بوجود هذين الفرعين لعلم الأخلاق في القرآن –فحسب، بل لقد كشفت لنا عن أن الصورة التي جاءت بها بلغت درجة من الكمال لا يُبتغى وراءها شيء[١٨٤]. ومن أهم القواعد التي اعتمد عليها الأستاذ العبقري محمد عبد الله دراز في التعامل مع النص القرآني، ما يلي:

القاعدة الأولى: الجمع بين النظرية والتطبيق: اعتمد الشيخ دراز منهجًا متكاملًا يجمع بين التنظير والتطبيق، حيث أسس قواعد علمية لدراسة القرآن مع التركيز على تطبيقها في الواقع المعاصر:

فمن الناحية النظرية، استند محمد عبدالله دراز إلى أسس علمية دقيقة، حيث عكف على دراسة اللغة العربية، والبلاغة، والعلوم الشرعية، مما ساهم في فهم النصوص القرآنية بعمق. وقد استخدم منهجاً نظرياً تحليلياً يركز على دلالات الألفاظ، وترابط الآيات، مما أتاح له استنباط معانٍ جديدة تلبي احتياجات العصر.

والقصد من هذا المنهج النظري، أنه اهتم بوضع القواعد الأساسية لاستخلاص المبادئ الأخلاقية وتحديد مصدر القرآن وإعجازه. فهو رحمه وضع قواعد أساسيّة وكأنه أسس من خلالها قوانين استخلص منها مبادئ الأخلاق في القرآن، وبين كذلك من خلالها مصدرية القرآن ووجوه إعجازه، مع المسائل التي تتعلق بجوهره، وتندرج تحت هذه القواعد فصول، وموضوعات فرعيّة، وتقسيمات عديدة. وفي الحديث عن مصدرية القرآن، أشار الأستاذ دراز إلى أن النبي محمد ﷺ، قد أقر بأن القرآن ليس من عنده، وإنما هو وحي من ربه إليه، وحجية هذا الإقرار: أن القرآن حج العرب، وعجزوا أمامه، فالمصلحة تقتضي أن ينسب محمد ﷺ القرآن له، لتروج زعامته، ويرتفع قدره عند هؤلاء القوم، ولم يفعل، وحاشاه أن يفعل! وإنما لم يفعل؛ لأنه صادق أمين، ولم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[١٨٥]. ذلك أن صفاته وشمائله قبل النبوة وبعدها، تأبى أن يكون كاذبا، فقد كان أعداؤه قبل أصحابه يشهدون له بالصدق، والأمانة، ولم يقل أحد منهم قط: إنه كاذب. ثم إن في تأخر نزول الوحي عليه في الحوادث المهمة، والتي تتعلق بشأنه الخاص، كحادثة الإفك، والآيات التي تشتمل على عتابه

---

[١٨٤] محمد بن عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م) ص٨.

[١٨٥] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص٣٢.

ﷺ، وتوقفه في تأويل بعض الآيات حتى ينزل الوحي، وسائر أموره العامة = كل ذلك دليل على بطلان أن تكون هذه الشخصية من الشخصيات التي تتوصل إلى مرادها بالكذب والتمويه[١٨٦].

من جهة أخرى، لم يقل محمد عبدالله دراز أنه الأول الذي قام باستخراج المبادئ الأخلاقية في المجال النظري، بل حصل هناك محاولات خلال القرن التاسع عشر، إلا أنه كان محدوداً في المؤلفات، وكان مهتماً في الحديث عن علم الأخلاق العام، ويستقي ويدرس ويقرأ ويقارن وينتقد الكتب الأوروبية التي تعالج مسائل الإسلام الخاصة، ذات النظرة المحدودة. غير أن في إطار هذه المحاولات، كان في الغالب محدداً لنظريته الأخلاقية ذات المضمون السامي، والتي استنبطت بشكل دقيق من المعجزة القرآنية الحقة. يقول محمد عبدالله دراز: لقد يكون في وسع الإنسان أن يستغني طول حياته عن بعض مسائل العلم والمعرفة، فلا تخطر له ببال، بل قد يستطيع أن يستغني عنها جميعها، فترة طويلة أو قصيرة من عمره، ولكن أحداً لن يستطيع أن يخلي همَّه من المسألة الأخلاقية طرفة عين[١٨٧].

فمن حيث الإطار المقارن نجد أن محمد عبدالله دراز ينتقد محاولات الغرب، ذلك لأنهم أغفلوا حتى في الجانب النظري من المسألة، لاقتصار تلك الجهود على دراسة آيات قليلة، فليس هنالك عالم أوروبي واحد حاول أن يستخلص من القرآن مبادئه الأخلاقية العامة، ويقدمها في صورة دستور كامل؛ وإنما انحصرت كل جهودهم في أنهم جمعوا عددًا، قليلًا أو كثيرًا، من الآيات القرآنية المتعلقة بالعبادة، أو بالسلوك، وترجموها ترجمة حرفية.

أما لدى المسلمين في مكتبتهم الإسلامية، فانحصرت الجهود ذات الطابع الأخلاقي المستنبط من القرآن على أمرين: فهي إما نصالح عملية، تهدف إلى تقويم أخلاق الشباب؛ أو هي وصف لطبيعة النفس وملكاتها، ثم بيان فضيلة الأخلاق وتقسيمها إلى أقسام. هذا، ولم يظهر النص القرآني كلية فيما كتبوا بشكل عام، وإن ظهر فهو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية.

---

[١٨٦] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص٣٣.

[١٨٧] محمد عبد الله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، (المملكة المتحدة: يورك هاوس، شييت ستريت، وندرسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١م) ص١٧.

أما مدارسة الموضوع الرئيسي كالأخلاق القرآنية لدى المسلمين أو المستشرقين، لم تكن على مستوى سامق لا من الناحية النظرية، ولا من الناحية التطبيقيّة[١٨٨].

أما من الناحية العملية، فقد عمل دراز على تطبيق المفاهيم القرآنية في الحياة اليومية، مشجعاً على التفاعل مع النصوص القرآنية، بطريقة تمكن الأفراد من استنباط القيم، والأخلاق السامية من القرآن، فإن هذه الطريقة المنهجية تساهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية والتربوية؛ كما كان له دور في تعزيز الفهم الجماعي للقرآن، مما يساهم في بناء مجتمعات قائمة على المبادئ القرآنية. فالأخلاق ضرورة الحياة العملية،

ويقصد بهذا المنهج العملي: استقصاء الأحكام العمليّة ومعالجتها وفق ما جاء بها القرآن في ذاتها. هذا ويستعينُ دراز للتّعامل مع هذا العنصر بأمورٍ كالتّالي: إيجاد موضوعات وتأسيس قواعد خاصة مختصرة التي تعينهُ في استقراء الآيات القرآنية العمليّة، أو الوقائع التي لها صلة بالموضوع.

وبالتالي فإن المنهج التطبيقي يُبحث من خلاله عن المبادئ الكليّة، والمعاني الجامعة التي تشتق منها تلك الواجبات الفرعيّة؛ نحو: البحث عن حقيقة الخير المطلق، وفكرة الفضيلة من حيث هي، وعن مصدر الإيجاب ومنبعه، وغير ذلك من مقاصد العمل البعيدة وأهدافه العليا، وهذا، ما يسمّى بعلم الأخلاق النظري، وهو في الحقيقة داخل علم الأخلاق العملي. أمّا الأخلاق العملية فتتعلق بالعمل والبحث عما يجب وينبغي العمل به والتحلّي به، فإذا تعلّقت هذه الفلسفة بالحق الذي يعتقد، كانت نظرية في أداتها، وفي موضوعها معاً، وهو يصفها بأنها: تركيب لتراكيب فهي لا تلبي فقط كل المطالب الشرعية، والأخلاقية، والاجتماعية، والدينية، ولكن نجدها، في كل خطوة، وقد تغلغل فيها بعمق روح التوفيق بين شتى النزعات، فهي متحررة ونظامية، عقلية وصوفية، لينة وصلبة، واقعية ومثالية، محافظة وتقدمية –كل ذلك في آن[١٨٩].

---

[١٨٨] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٩-٣١.

[١٨٩] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٦٨٦.

وإن تعلقت بالخير الذي يُفعل، كانت نظرية في أداتها، تطبيقيّةً في موضوعها. فعلم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل.[١٩٠]

أمثلة تطبيقية حول المنهجين النّظري والتّطبيقي

في بيان تلكم الدراسة النظريات الدقيقة التي سار على دربها محمد عبدالله دراز وسلك مسلكها في الأغلب هو أنّه إذا أراد أن يدرس قضية من القضايا ويعالجها يبتكر قواعد جديدة عامة ويوزعها حسب ما يتطلب الموضوع. ويتجلى من ذلك نماذج كثيرة خاصة في كتاب: (دستور الأخلاق في القرآن):

يبيّن محمد عبدالله دراز الفرق بين دراسته وغيره من العلماء، من غيره، فقال: أنّ دراسته تتميّز تحت لفظة "القانون الأخلاقي" -كما يميز جميع الباحثين تحت اسم الجنس- فرعين مختلفين هما: النظرية والتطبيق[١٩١]. ثم ذكر تمهيداً ويندرج تحته الجانب العملي والنظري.

ويختلف منهج محمد عبدالله دراز أيضًا عن المنهج العام لكثير من العلماء؛ وذلك أن ما يهم غالبية علمائنا في المقام الأول، هو الجانب الاقتصادي، أو الشرعي؛ أما الشيخ محمد عبدالله دراز، فإنه يركز اهتمامه على المجال الأخلاقي؛ واضعاً كل مسألة مستنبطة من المصطلحات تُصاغ بصورة أخلاقية، ومتّخذاً من القرآن ذاته، نقطة انطلاق في دراسته، بحيث إنّ دأبه الدائب استخلاص واستخراج الإجابة عن كل مسألة من المسائل الأخلاقية، ويتم ذلك بالرجوع المباشر إلى النص؛ وهنا تكمن الصعوبة؛ إذ أن النصوص المتعلقة بالنظرية الأخلاقية، ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العملية الأخرى[١٩٢].

---

[١٩٠] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، د. ط، ٢٠٢١هـ)، ص١٧-١٨.

[١٩١] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٨.

[١٩٢] انظر: المرجع السابق: ص١٣.

القاعدة الثانية: عدم اشتراط استيعاب استقراء النصوص كافة

لم يكن محمد عبدالله دراز يرى ضرورة استقصاء جميع النصوص القرآنية ذات الصلة بكل موضوع، بل اكتفى بذكر بعضها، شريطة أن تكون ذات دلالة كافية على القواعد المختلفة للسلوك، فقد كان منهجه قائمًا على الانتقاء المدروس، بحيث تُستخلص القواعد العامة من آيات محددة دون الحاجة إلى ذكر كل ما ورد حول الموضوع. لكنه قال: إن الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية، يقتضينا حين نطلب تفسير حقيقة معينة، أن نبدأ بمعرفة عناصرها العامة، ومقوماتها الكلية، قبل أن نأخذ في البحث عن مميزاتها ومشخصاتها[١٩٣]. ثم قال رحمه الله: نستطيع دراسة القرآن الكريم من زوايا جد مختلفة، ولكنها جميعاً، يمكن أن تنتهي إلى قطبين أساسيين: الأول: اللغة، والثاني: الفكر، ثم قال: فالقرآن كتاب أدبي وعقيدي في نفس الوقت، وبنفس الدرجة. فباعتباره كتاب لغوي وبلاغي تتطلب دراسته دراية واسعة وعميقة باللغة العربية التي أنزل بها نصه الأصلي، وغالبية المجتمع الأوروبي لم يألف هذه اللغة. أما جانبه الثاني، فلا يتطلب من الدارس أن يكون عربياً أو متحدثاً بالعربية، ليضطلع بدراسة جدية ومثمرة للقرآن. وكنز الأفكار في القرآن يتكشف من ثنايا أسلوبه الأدبي الرفيع، وله في ذلك ثلاثة مجموعات:

المجموعة الأولى: طبيعة دعوته، وهي مجموعة في تلك الحلول للمشكلتين الخالدتين: المعرفة، والسلوك. المجموعة الثانية: أساليب الإقناع التي يستخدمها لإثبات صدق هذه الدعوة.

والمجموعة الثالثة: البراهين التي يدلل بها على الطابع الرباني المقدس الذي ينعت به رسالته[١٩٤]. ثم قال: نستطيع إذن دراسة القرآن من هذه النواحي، بعيداً عن نصه العربي، إذا توفرت لنا ترجمة سليمة[١٩٥].

---

[١٩٣] انظر: محمد عبد الله دراز، الدين: **بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، (الكويت: دار القلم، ١٩٥٢م) ص٢٨.

[١٩٤] انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٤م)، ص١٦.

[١٩٥] انظر: محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص١٥-١٦.

القاعدة الثالثة: تجنب التكرار والالتزام بنظام منطقي في عرض المفاهيم

حرص الشيخ دراز على تجنب التكرار بقدر الإمكان، واتبع نظامًا منطقيًا في ترتيب القضايا القرآنية، بدلًا من السير وفق نظام ترتيب السور، كما فعل الإمام الغزالي، أو ترتيب المفاهيم وفق النظام الأبجدي. وقد مكّنه هذا الأسلوب من تقديم رؤية واضحة ومترابطة، تُيسر للقارئ متابعة الموضوعات القرآنية بوضوح ودقة. فحينما عرف الدين مثلاً، قال رحمه الله: أما الإسلاميون، فقد اشتهر عندهم تعريف الدين، بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة، باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. ثم أتبعه بقول الغربيين، وذكر أقوال أربعة عشر عالماً من علماء الغرب، واستحضر تعريفاتهم عن الدين، وأنا أختار ثلاثة منها: الأول: يقول سيسرون في كتابه عن القوانين: الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله، ويقول كانت في كتابه: الدين في حدود العقل: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية، ويقول الأب شاتل، في كتاب: قانون الإنسانية: الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه[١٩٦]. ثم استخلص من هذه التعاريف: أن كل ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل، أو عبادة الحيوان، أو النبات، أو الكواكب، أو الجن، أو الملائكة...إلخ، تخرج بمقتضى هذه التعاريف عن أن تكون ديناً، مع أن القرآن قد سماها كذلك، حيث يقول: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا**﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول سبحانه: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ٦]. فالمتدين يهدف بتقديسه إلى حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان، وإن كانت تعبر عنها الأذهان، فإنها تشير إلى ذات مستقلة، قائمة بنفسها. ثم إن هذا التقديس الديني ليس تقديساً لذات أيّاً كانت، وإنما هو تقديس لذات لها صفات خاصة، هذه الصفات ليس مما يدخل في دائرة مشاهدات المتدين، وإنما هو شيء غيبي لا يدركه إلا بعقله ووجدانه[١٩٧]. وبالتالي فهو عندم يخضع لمعبوده يخشع ويسجد لعظمته طواعية لا عن كراهية، لأنه يقوم في ذلك بحركة نفسية من التمجيد، والتقديس تأتي طبيعتها أن تؤخذ قهراً، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي**

---

[١٩٦] انظر: محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص٣٣-٣٤.

[١٩٧] انظر: محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص٤١.

السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [آل عمران: ٨٣] وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾** [الرعد: ١٥]. فالخضوع الكلي للمعبود ليس هو الخضوع الذي يخلق اليأس، ويكبت النفس، ويغل من الجهد، ويحد مجال العمل، ويسد باب الأمل، بل هو شعور يرفه عن القلب، بما يفتحه أمامه من آفاقه الإمكان، وهو شعور يضع عن النفس الأثقال، ويحطم ما حولها من الأغلال[١٩٨].

القاعدة الرابعة: تنظيم النصوص وفق فصول مترابطة تسهل على القارئ الوصول إلى الأحكام

اعتمد محمد عبدالله دراز في منهجه على تصنيف النصوص القرآنية في فصول، بحيث تُجمَّع النصوص ذات العلاقة الوثيقة بموضوع معين تحت عنوان رئيسي، ثم يتم تقسيم كل فصل إلى مجموعات صغيرة تحمل عناوين فرعية، تعكس جوهر الأحكام المستنبطة منها. وقد أسهم هذا المنهج في بناء تصور متكامل للحياة العملية، وفق التصور القرآني، بحيث يُتاح للقارئ أن يجد الحكم الشرعي المتعلق بأي جانب من جوانب حياته بسهولة ويسر. فعلى سبيل المثال، من الأسئلة التي حاول منهجه الإجابة عنها:

- كيف ينبغي للإنسان أن يتعامل مع نفسه؟
- ما هي المبادئ التي تحكم العلاقات داخل الأسرة؟
- كيف يكون التفاعل مع المجتمع الأوسع؟
- ما الأسس التي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟
- كيف تُنظم العلاقات بين الدول والمجتمعات؟
- ما هو المنهج الذي ينبغي للإنسان اتباعه في عبادته لله؟

وبفضل هذا النهج، جاء عرضه للنصوص واضحًا، محددًا، بعيدًا عن الغموض أو التعقيد[١٩٩]. من جهة أخرى، فقد جمع محمد عبد الله دراز كل الآيات المتفرقة حول الأخلاق وقام بتفسيرها في كتاب واحد، كما فعل في كتابه: الأخلاق في القرآن الكريم.

---

[١٩٨] انظر: محمد عبد الله دراز، الدين: **بحوث مُمَهَّدة لدراسة تاريخ الأديان**، ص٤٩.

[١٩٩] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ٩-١٠.

القاعدة الخامسة: إدراك حدود العقل في فهم القرآن: أكد الشيخ دراز أن القرآن الكريم يحتوي على جوانب لا تُدرك بالعقل المجرد أو التفكير الفلسفي وحده، كما أنه يضم حقائق لا يمكن الوصول إليها بالوجدان أو الشعور الداخلي فحسب. وقد أشار إلى أن العقل البشري، مهما بلغ من الذكاء، لا يستطيع الإحاطة بجميع معاني القرآن، لأن فيه قسمًا من المعارف النقلية المحضة التي لا يمكن للعقل أن يستنتجها أو يخترعها، ومن ذلك:

١. الوقائع التاريخية التي لا مدخل للعقل فيها

يضم القرآن الكريم أخبارًا دقيقة عن الأمم السابقة، وأحداثًا تاريخية مفصلة، وأرقامًا محددة تتعلق بتلك الوقائع، وهي أمور لا يمكن للعقل الوصول إليها بمجرد الذكاء أو الاستنباط. ومثل هذه الأخبار لم يكن للنبي ﷺ طريق إلى معرفتها، لكونه أميًّا لم يدرس كتب التاريخ، وإنما تلقاها وحيًا من الله تعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى إنكار المشركين لهذه الأخبار، إذ قالوا :﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفرقان: ٥]. فرد عليهم القرآن ردًّا قويًّا، مفندًا مزاعمهم بقوله: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: ١٦][٢٠٠].

٢. الحقائق الدينية الغيبية التي لا يمكن للعقل إدراكها

يشمل القرآن تفاصيل دقيقة عن عالم الغيب، مثل وصف الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والملائكة والجن، كما يذكر بعض الأعداد المرتبطة بهذه العوالم، كعدد الملائكة الموكلين بجهنم[٢٠١]. وهذه الأمور خارجة عن نطاق الإدراك العقلي، مما يؤكد أن مصدر القرآن ليس العقل البشري، بل هو وحي من الله تعالى، كما قال :﴿**إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

القاعدة السادسة: الاعتماد على أنباء المستقبل الجازمة في دلالتها على مصدرية القرآن

---

[٢٠٠] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص٣٤.

[٢٠١] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص٣٤.

جاء القرآن بإخبار غيبية يقينية عن بقاء الدين الإسلامي، وخلود القرآن، وتحديه للعالم أجمع، وثبوت عجزهم عن الإتيان بمثله، وهذه قضايا مستقبلية لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي. ومن الغيوب التي أخبر بها القرآن، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد جاء هذا الوعد الإلهي بعصمة النبي ﷺ من الأذى في وقتٍ كان فيه مستهدفًا من أعدائه، وبعد نزول هذه الآية، ترك النبي ﷺ اتخاذ الحراس، وتحققت العصمة الإلهية له في مواقف عديدة، مما يؤكد أن هذا الإخبار لم يكن من عنده، بل هو وحي صادق من الله.

القاعدة السابعة: التركيز على مقام العنصر العملي في الخطاب القرآني: وبلغت أهمية الجانب العملي في القرآن، أنه يتكرر ذكره كثيراً بصراحة، وكشرط لا غنى عنه للفلاح والسعادة الخالدة في الآخرة. وعندما لا ينص القرآن على ذلك في عبارته في موضع ما، فإن كلمه «مؤمن» تتضمنه وتلمح إليه بما يتفق مع مفهوم الإيمان[٢٠٢].

القاعدة الثامنة: قاعدة عقد المقارنات لإحقاق الحق: تتجه دراسة محمد عبدالله دراز في دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة غير أنه في انطلاقه الأول للخطة لم يكن دراسات مقارنة بل كان محدوداً بعرض القانون الأخلاقي المستمد من القرآن وإضافة ذلك السنة النبوية الشريفة باعتباره المبيّن الأول. غير أن الأستاذ لويس ماسينيون- m. Louis massignon الأستاذ في الكوليج دي فرانس، في معهد الدراسات العليا بباريس- قد أبدى له رأيه في أن يرى هذه الدراسة تتناول في نفس الوقت بعض نظريات المدارس الإسلامية المشهورة. كما أن الأستاذ رينيه لوسن m. Rene le senne -الأستاذ بكلية الآداب، بجامعة باريس- قد اقترح أيضاً أن يقارن النظرية الأخلاقية المستمدة من القرآن ببعض النظريات الغربية وقد وافق محمد عبدالله دراز هذه الاقتراحات[٢٠٣]. ومن المقارنات التي قام بها رحمه الله، مقارنة بين المبادئ الأخلاقية في التوراة والقرآن، فقد أورد ما جاء في التوراة، في سفر الخروج، الفصل العشرين، عشرة وصايا، هي: لا

---

[٢٠٢] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ترجمة: محمد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، (الكويت: دار القلم، ط٥، ٢٠٠٣م) ص٩٤.

[٢٠٣] انظر: المرجع السابق، ص١٧.

يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة الزور، لا تشته بيت قريبك، ولا شيئاً مما لقريبك. ثم أورد ما جاء في النصوص القرآنية، ما يماثلها، قال تعالى: ﴿**وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ**﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ﴿**لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ**﴾ [المائدة: ٨٩]، وقال تعالى:﴿**وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى:﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [النساء: ٢٩]، وقال تعالى:﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ ... ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]. وقال تعالى: ﴿**وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما**﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿**وَلا يَسْرِقْنَ ..** ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى:﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾ [النساء ٣٢] [٢٠٤]. ثم قال: هذه هي أسس القانون الأخلاقي في القرآن، ذلك أن القرآن يضطلع بواجبه الأول كاملا، ألا وهو حفظ وتبليغ مضمون الكتب السماوية السابقة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٤٨]، إلا أنه وفاءا لطريقته الفريدة في العرض بدلا من أن يجمع نصائحه ومواعظه دفعة واحدة، يفضل أن يقدم كل درس في مناسبته[٢٠٥]. ذلك أن هدف القرآن الأول: هو أن يحافظ على التراث الأخلاقي الذي نزلت به الكتب المقدسة السابقة، ويؤيده. كما أن له فإن له رسالة أخرى لا تقل عنه أهمية وقدسية، ألا وهي إتمام وإنهاء الصرح الإلهي الذي بناه الرسل والأنبياء عليهم السلام على مر العصور. يقول الرسول الكريم ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٢٠٦] ويقول: «مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى بيتاً»[٢٠٧] أو كما يقول القرآن ذاته إن

---

[٢٠٤] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص٩٩.

[٢٠٥] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص١٠٢.

[٢٠٦] محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٢، ١٣٧٩هـ)، ص١٠٤، الرقم: ٢٧٣. قال الشيخ الألباني: صحيح.

[٢٠٧] صحيح البخاري عن أبي هريرة كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج٧، ص٣٧٠.

هدفه أن يوضح للناس أقوم الطرق في السلوك والاعتقاد. كما يجب أن يستند المفسر إلى أصول وقواعد علمية تيسر له استنباط المعاني، وتحفظه من الزلل في الفهم أو التطبيق. وتكتسب هذه المهمة أهمية خاصة في العصر الحالي، حيث تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات جديدة تتطلب قراءات معاصرة للقرآن، تبرز قدرته على معالجة القضايا الراهنة.

إضافة إلى ذلك، يشمل التعامل مع النص القرآني التفاعل مع التراث الفقهي والتفسيري الذي أُنتج عبر العصور، مما يسهم في تشكيل رؤية متكاملة تعزز الفهم العميق للإسلام وتيسر سبل تطبيقه في الحياة اليومية. بهذا، يصبح التعامل مع النص القرآني مسؤولية علمية وأخلاقية، تهدف إلى إحياء الفكر الإسلامي وتوجيه الأمة نحو تحقيق العدالة والرحمة التي ينادي بها القرآن.

فالتّعامل مع النّص القرآني قضية مهمة نظراً لهذا الواقع المؤسف الذي يعيش فيه المسلم اليوم فالشيخ **محمد الغزالي** رحمه الله هو ممن حاول معالجة هذا الموضوع وله كتاب قيّم مقدم بعنوان "كيف نتعامل مع القرآن"[٢٠٨]، هذا، ويطرح الشيخ عمر عبيد حسنة في مقدمته للكتاب سؤالاً مفيدًا: كيف يمكن التّعامل مع القرآن، وتدبر آياته، والإفادة من معطيات العلوم وآلات فهمها، ليكون القرآن مصدر المعرفة، وفلسفتها في شعاب العلوم الاجتماعية جميعًا؟ حيث لابد لنا إذا أردنا ذلك من العودة إلى القرآن كمصدر لمعارف الحياة، وفقه المعرفة والحضارة للقيام بدورنا بمسؤولية الشهادة على الناس، والقيادة لهم وإلحاق الرحمة بهم كل هذا يكون بمحاولة اظهار وتحقيق الرؤية القرآنيّة الكاملة بجوانبها المختلفة[٢٠٩].وعلى ذلك فيمكن القول بأنّ معظم مشكلة المسلمين اليوم هي قد يكون عدم معرفة طريق الفهم الصّحيح الموصل إلى التدبر وكسر الأقفال على العقول، وتجديد الاستجابة مع التقصير عن تجديد وسيلتها، ليكونوا في مستوى القرآن ومستوى العصر سواء. فالأزمة ليستْ غياب المنهج، بل فقدان وسائل التي تمكن فهم المنهج بما يوازن عقلية المعاصرة، وكيفيّة التّعامل مع النّص القرآني[٢١٠].

---

[٢٠٨] **كيف نتعامل مع القرآن**، كتاب عظيم جدا رفيع القدر يبين فضية فهم المناهج القرآنية وطرق التعامل مع القرآن حاول الشيخ محمد الغزالي من خلاله معالجة مواضيع مهمة جدا، كتاب متور وهذه الطبعة محققة منشورة: دار نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥م تحقيق: عمر عبيد حسمه.

[٢٠٩] انظر: محمد الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن؟**، تحقيق: عمر عبيد حسنة، (نهضة مصر: القاهرة، ط٧، ٢٠٠٥م)، ص٢١.

[٢١٠] انظر: المرجع نفسه، ص١٣-١٤.

من جهة أخرى، يُعتبر النص القرآني جوهر الإيمان، ومصدر التشريع الأساسي للمسلمين، حيث يُمثل كلام الله تعالى الذي أُنزل على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، حيث يتميز القرآن الكريم بجمال لغته وبلاغته، ويحتوي على معاني عميقة تعكس القيم الروحية والأخلاقية والعملية التي تشكل أسس الحياة الإنسانية. كما أن القرآن الكريم يمثل دليلاً شاملاً يتناول جميع جوانب الحياة، بدءًا من العقيدة والعبادات، وصولًا إلى الأخلاق والسياسة والاجتماع؛ هذا بالإضافة إلى أنه يتميز النص القرآني بالتحدي البلاغي، حيث أُنزِل بلغة عربية فصيحة، وقد جاء بآيات تتحدى البشر أن يأتوا بمثله. وقد اهتم علماء المسلمين على مر العصور بتفسيره وفهم دلالاته، مما أدى إلى ظهور العديد من المدارس الفكرية والمناهج التفسيرية التي تسعى إلى فهم معانيه بطرق متنوعة.

القاعدة التاسعة: البحث عن المراد الأخلاقي في النصوص القرآنية: المدقق في فكر محمد عبد الله دراز، يجد أن التعامل مع النص القرآني عنده، ليس مجرد قراءة أو تلاوة، بل يتطلب فهماً عميقًا لمضامينه واستخراج الأحكام والقيم منه، وأهم ما فيه، البحث عن مراده الأخلاقي. وخير مثال على ذلك، أنه حين تحدث عن الصيام نظر إليه نظرة مختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، قال: إن المتأمل في مراد النص القرآني يجد أنه طريقة للتكفير عن الذنب[٢١١].

وفي مثال آخر، قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**﴾ [المائدة: ٩٥]، قال رحمه الله: إن قراءة النص ذاتها، تكفي لبيان أن المراد الأخلاقي اللازم للتوبة: ﴿**لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**﴾. فالمطلوب هو أن يشعر المخطئ بفداحة عمله الماضي، لا أن يشعر بالحرمان المادي الذي يتحمله الآن. ومع ذلك فكيف نطبق مقصد هذا الألم البدني على طريقة الجزاء الأخرى "القربان والصدقة"، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة في نفس الوقت؟[٢١٢].

---

[٢١١] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٦٣٨.

[٢١٢] دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٦٣٨.

ثم تحدث عن علاقة الأخلاق بالتربية من خلال القرآن، حيث تتكامل لتشكيل الإنسان الكامل، وهي:

التربية البدنية: تهدف إلى تنمية صحة الجسم وحمايته.

التربية الأدبية: تتعلق بتحسين البيان وإصلاح اللسان.

التربية العقلية: تهتم بتثقيف العقل وتصحيح التفكير.

التربية العلمية: تُعنى بتزويد الفرد بالمعرفة الصحيحة والنافعة.

التربية المهنية: تركز على تدريب الإنسان على كسب العيش بوسائل مشروعة.

التربية الفنية: تساعد على تنمية الذوق والشعور بالجمال والتعبير عنه.

التربية الاجتماعية والوطنية: تهدف إلى تعريف الفرد بحقوقه وواجباته داخل المجتمع.

التربية الخلقية: تسعى إلى تعزيز القيم الأخلاقية وتهذيب السلوك.

التربية الدينية: ترشد الإنسان إلى الإيمان والتقوى والسلوك المستقيم.

التربية النفسية: تعمل على تطوير التوازن العاطفي والاستقرار النفسي[٢١٣].

ثم قال رحمه الله: ولقد يذهب الظن بالناظر في هذا البسط والتقسيم إلى أن علم الأخلاق إنما يعني به هذه الشعبة الواحدة من بين هذه الشعب، وهي التربية الخلقية، ولكن الحقيقة أن الأخلاق تشمل جميع هذه الأنواع من التربية، إذ إن كل واحدة منها تتصل بغيرها، وتسهم في تكوين الإنسان الكامل من جميع الجوانب[٢١٤].. بهذا يوضح محمد عبدالله دراز أن علم الأخلاق ليس مقتصرًا على التربية الخلقية فقط، بل يتداخل مع جميع جوانب التربية الأخرى، مثل التربية العقلية والعلمية والاجتماعية، مما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من بناء شخصية الإنسان.

ليس الأمر كما قد يتبادر إلى الذهن من أن علم الأخلاق محصور في جانب معين من حياة الإنسان، بل إن سلطانه يشمل جميع أوجه النشاط الإنساني، سواء كان تربويًّا أو غير تربويٍّ، فلا يخرج عن دائرة تأثيره أي نشاط، سواء كان بدنيًّا، أو عقليًّا، أو فنيًّا، أو أدبيًّا، أو روحيًّا.

---

[٢١٣] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص٣٩.

[٢١٤] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص٣٩.

فالفنان الذي يقدم أعمالًا فنية تخالف مبادئ الحشمة واللياقة، وتهتك ستار الحياء والعفاف، يكون قد تجاوز حدود الأخلاق، حتى وإن لم يكن ذلك مخالفًا لقواعد الفن. وكذلك المعلم الذي يستخدم في تدريسه مواد تحتوي على ألفاظ بذيئة أو تشجع على السلوك المنحرف، فإنه يسيء إلى تلاميذه ويضللهم، وإن كان يظن أنه يؤدي عمله على الوجه الصحيح. أما المرشد الديني أو المبشِّر الذي يلجأ إلى وسائل غير مشروعة، مثل الكذب والخداع، أو الإغراء بالمال والجاه لاستمالة الناس إلى دينه، فإنه يرتكب جريمة أخلاقية من أقبح الجرائم.

وهكذا، فإن كل مجالات التربية، على اختلاف أنواعها، لا بد أن تلتزم بالضوابط الأخلاقية في وسائلها وأساليبها ودوافعها، ويجب أن يتم قياسها جميعًا بمقاييس الفضيلة. ومع ذلك، فإن التربية الأخلاقية تمتاز عن غيرها من فروع التربية بكونها تهدف بشكل مباشر إلى تدريب الإنسان على السلوك القويم، وغرس الفضائل في شخصيته، مما يجعل علاقتها بعلم الأخلاق أوثق وأشد ارتباطًا من غيرها من المجالات.[٢١٥]

يشير محمد عبد الله دراز في هذا النص إلى شمولية الأخلاق وامتداد سلطانها على جميع مجالات الحياة. فهو يؤكد أن الأخلاق ليست مقتصرة على السلوك الفردي المباشر، وإنما تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان، سواء كان ذلك في المجال الفني أو العلمي أو التربوي أو الديني.

- **الأخلاق في الفن** :يرى أن الفن لا يمكن أن يكون معزولًا عن القيم الأخلاقية، فالأعمال الفنية التي تخدش الحياء أو تتجاوز حدود اللياقة، وإن كانت مقبولة وفقًا لمعايير الفن، تبقى محط استهجان من الناحية الأخلاقية، لأن تأثيرها يتجاوز الشكل الجمالي إلى التأثير في وجدان المجتمع.
- **الأخلاق في التعليم** :المعلم ليس مجرد ناقل للمعرفة، بل هو موجِّه أخلاقي أيضًا، لذا فإن اختيار المحتوى التعليمي يجب أن يكون مسؤولًا، بحيث يعزز القيم الفاضلة بدلاً من أن يكون وسيلة غير مباشرة لنشر الفساد والانحراف الأخلاقي.
- **الأخلاق في الدعوة الدينية** :لا يمكن للدعوة إلى الدين أن تقوم على وسائل غير أخلاقية، مثل الكذب أو الخداع أو الإغراء بالمكاسب المادية، لأن ذلك يتناقض مع جوهر الرسالة الدينية التي تقوم على الصدق والإخلاص.

---

[٢١٥] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص٤٠.

كما يؤكد محمد عبدالله دراز أن الفضيلة لا ينبغي أن تكون مجرد أمر نظري أو فكرة مجردة، بل يجب أن تصبح سلوكًا متكررًا، حتى تتحول إلى عادة ثابتة. وهذا لا يتحقق إلا من خلال **الممارسة المستمرة والتربية العملية**. ويشير إلى أن الإنسان قد يجد في البداية صعوبة في التمسك بالسلوك الفاضل، لكنه مع التكرار يصبح ذلك جزءًا من طبيعته[٢١٦].

كما يناقش محمد عبدالله دراز الفكرة التي طرحها بعض الفلاسفة، مثل سقراط، الذي اعتقد أن الفضيلة تأتي من المعرفة وحدها، وأفلاطون، الذي رأى أن الفضيلة تحتاج إلى تدريب مستمر. ويؤكد محمد عبدالله دراز أن الفضيلة تحتاج إلى **إرادة قوية، وعزيمة نافذة، وتربية عملية مستمرة** حتى تتحول إلى جزء من شخصية الإنسان.

القاعدة العاشرة: اعتبار السياق التاريخي والثقافي للنزول جزءًا أساسيًا من عملية الفهم: حيث يسهم في توضيح معاني الآيات وتطبيقها على القضايا المعاصرة. وفي العصر الحديث، تتزايد التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مما يستدعي قراءات جديدة ومتجددة للقرآن، تُبرز قدرته على معالجة القضايا المستجدة وتقديم الحلول المناسبة لها. من هنا، يصبح فهم النص القرآني وتطبيقه بشكل صحيح واجبًا علميًا وأخلاقيًا، يستدعي من المفسرين والباحثين تضافر الجهود لتيسير سبل الوصول إلى معانيه وتحقيق تأثيره الإيجابي في الحياة اليومية للمسلمين. يقول محمد عبدالله دراز: وأيّاً كان الاعتقاد في منشأ القرآن — قدسياً كان أم بشرياً– فمن الثابت تاريخياً، أنه يرجع إلى محمد بن عبد الله، ﷺ. فإما أنه استقاه من أعماق نفسه، ومن معارف بيئته، كما يقول الكافرون، أو أنه تلقاه حرفياً بإملاء رسول سماوي وسيط بينه وبين الله، عز وجل، كما يؤكد ذلك القرآن أكثر من مرة: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]. والسياق التاريخي يتطلب منا أن نعرف أسرار هذا النص المقدس المعجز، كما قال محمد عبدالله دراز رحمه الله: غير أن النص المنزل لم يقتصر على كونه قرآنًا أو مجموعة من الآيات التي تُتلى أو تُقرأ، وتحفظ في الصدور، وإنما كان أيضًا كتابًا مدونًا بالمداد، فهتان السورتان تتظافران وتصحح كل منهما الأخرى. ولهذا كان الرسول ﷺ كلما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين، أملاه من فوره على كتبة الوحي

[٢١٦] ينظر: محمد عبدالله دراز، **كلمات في مبادئ علم الأخلاق**، ص٣٩.

ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيديهم، مثل الورق أو الخشب أو قطع الجلد أو صحائف الحجارة وكسر الأكتاف[٢١٧].

ملخص القواعد التي تم التعامل معها من خلال القرآن:

إدراك حدود العقل في فهم القرآن :يؤكد محمد عبدالله دراز أن القرآن يحتوي على جوانب لا يمكن إدراكها بالعقل المجرد أو التفكير الفلسفي وحده.

المعارف النقلية المحضة: هناك قسم من المعارف في القرآن لا يمكن للعقل أن يستنتجها أو يخترعها، مثل الوقائع التاريخية والحقائق الدينية الغيبية.

الوقائع التاريخية: يضم القرآن أخبارًا دقيقة عن الأمم السابقة وأحداثًا تاريخية مفصلة لا يمكن للعقل الوصول إليها بمجرد الذكاء أو الاستنباط. هذه الأخبار تلقاها النبي ﷺ وحيًا من الله تعالى.

الحقائق الدينية الغيبية: يشمل القرآن تفاصيل دقيقة عن عالم الغيب مثل وصف الجنة والنار والملائكة والجن، مما يؤكد أن مصدر القرآن هو وحي من الله.

إنكار المشركين: أشار القرآن الكريم إلى إنكار المشركين للأخبار الغيبية، ورد عليهم بقوله: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: ١٦].

الاعتماد على أنباء المستقبل: أكد محمد عبدالله دراز على أن القرآن جاء بإخبار غيبية يقينية عن بقاء الدين الإسلامي وخلود القرآن، وهذه الأمور لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي.

العصمة الإلهية: جاء وعد الله بحفظ النبي ﷺ من الأذى في وقت كان فيه مستهدفًا من أعدائه، وتحققت العصمة الإلهية له في مواقف عديدة، مما يؤكد أن هذا الإخبار وحي صادق من الله.

مقام العنصر العملي في الخطاب القرآني: يركز القرآن على الجانب العملي بشكل كبير، ويكرره كشرط لا غنى عنه للفلاح والسعادة الخالدة في الآخرة.

---

[٢١٧] محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص٣٤.

مفهوم الإيمان: عندما لا ينص القرآن على الجانب العملي صراحةً، فإن كلمة "مؤمن" تتضمنه بما يتفق مع مفهوم الإيمان.

أهمية العمل: الجانب العملي في القرآن يتكرر ذكره كثيرًا ويعتبر شرطًا أساسيًا للفلاح والسعادة في الآخرة.

دراسة مقارنة: الشيخ محمد عبد الله دراز أجرى دراسة مقارنة في دستور الأخلاق في القرآن، حيث كان في البداية يعرض القانون الأخلاقي المستمد من القرآن والسنة النبوية.

اقتراحات الأساتذة: لويس ماسينيون اقترح على دراز أن تتناول دراسته نظريات المدارس الإسلامية، بينما اقترح رينيه لوسن مقارنة النظريات الأخلاقية القرآنية بالنظريات الغربية.

المقارنة بين التوراة والقرآن: دراز أجرى مقارنة بين المبادئ الأخلاقية في التوراة والقرآن، مبرزاً التشابهات بينهما.

أسس القانون الأخلاقي في القرآن: القرآن يحفظ مضمون الكتب السماوية السابقة ويضيف إليها أسلوبه الفريد في العرض والتقديم.

التراث الأخلاقي: هدف القرآن هو الحفاظ على التراث الأخلاقي الذي نزلت به الكتب المقدسة السابقة وتأكيده.

إتمام الصرح الإلهي: القرآن يهدف إلى إتمام الصرح الإلهي الذي بناه الرسل والأنبياء على مر العصور.

مواجهة التحديات الحديثة: يجب على المفسرين استخدام أصول وقواعد علمية لاستخلاص المعاني وحماية النصوص من الزلل في الفهم أو التطبيق، لمواجهة التحديات الجديدة.

التفاعل مع التراث الفقهي والتفسيري: التعامل مع النص القرآني يشمل التفاعل مع التراث الفقهي والتفسيري لتعزيز الفهم العميق للإسلام وتسهيل تطبيقه في الحياة اليومية.

قضية التعامل مع النص القرآني: يتناول موضوع كيفية التعامل مع القرآن، تدبره، والإفادة من معطيات العلوم، ليكون مصدر المعرفة وفلسفتها في العلوم الاجتماعية.

أهمية القرآن: القرآن هو جوهر الإيمان ومصدر التشريع الأساسي للمسلمين، يتميز بجمال لغته وبلاغته ويحتوي على معاني عميقة تعكس القيم الروحية والأخلاقية والعملية، ويعالج جميع جوانب الحياة.

ملخص القاعدة التاسعة: البحث عن المراد الأخلاقي في النصوص القرآنية

١. **الفهم العميق:** التعامل مع النص القرآني يتطلب فهماً عميقًا لمضامينه واستخراج الأحكام والقيم منه.
٢. **مراد النص:** الشيخ دراز يبحث في النص القرآني عن مراده الأخلاقي، وليس فقط عن تلاوته أو قراءته.
٣. **أمثلة:** مثال على ذلك تفسيره للصيام بأنه طريقة للتكفير عن الذنب وتفسيره لآية الصيد بأن المراد الأخلاقي هو التوبة والشعور بفداحة الذنب.
٤. **تكامل الأخلاق والتربية:** الأخلاق تتكامل مع التربية في القرآن لتشكيل الإنسان الكامل بمختلف جوانب التربية البدنية، الأدبية، العقلية، العلمية، المهنية، الفنية، الاجتماعية، الخلقية، الدينية، والنفسية.
٥. **شمولية الأخلاق:** الأخلاق تشمل جميع جوانب التربية، ولا تقتصر على جانب معين من حياة الإنسان.
٦. **النشاط الإنساني:** تشمل الأخلاق جميع أوجه النشاط الإنساني سواء كان تربويًا أو غير تربوي.

ملخص القاعدة العاشرة: اعتبار السياق التاريخي والثقافي للنزول جزءًا أساسيًا من عملية الفهم

١. **فهم معاني الآيات:** السياق التاريخي والثقافي للنزول يسهم في توضيح معاني الآيات وتطبيقها على القضايا المعاصرة.
٢. **التحديات الحديثة:** المجتمعات الإسلامية تواجه تحديات جديدة تتطلب قراءات متجددة للقرآن لتبرز قدرته على معالجة القضايا المستجدة.

٣. **واجب علمي وأخلاقي:** فهم النص القرآني وتطبيقه بشكل صحيح واجب علمي وأخلاقي يتطلب تضافر جهود المفسرين والباحثين.

٤. **أسرار النص المقدس:** السياق التاريخي يساعد في كشف أسرار النص القرآني المعجز.

٥. **تدوين القرآن:** القرآن لم يكن مجرد نص يُتلى أو يُحفظ، بل كان كتابًا مدونًا بالمداد، وكانت آياته تُدون فور نزولها.

الفصل الرّابع

دور السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشّيخ محمد عبد الله دراز

تمهيد

يتناول هذا الفصل دور السياق التاريخي في فهم واستخراج المبادئ الأخلاقية القرآنية وفقًا لرؤية الشيخ محمد عبد الله دراز، حيث يعد من أبرز المفكرين الذين اهتموا بربط النصوص القرآنية بالسياقات التاريخية والاجتماعية التي نزلت فيها، مشيرًا إلى أهمية هذه السياقات في تفسير المعاني، وتوضيح المبادئ الأخلاقية التي يحملها القرآن الكريم، وفي هذا الإطار، يقدم تحليلاً معمّقًا للكيفية التي يمكن من خلالها فهم تعاليم القرآن الكريم في ضوء الظروف والأحداث التاريخية التي مرّ بها المجتمع الإسلامي في عهد النزول.

وبناءً على ذلك، يسلط هذا الفصل الضوء على كيفية تأثير السياق التاريخي على تفسير المبادئ الأخلاقية القرآنية عند الشيخ محمد عبدالله دراز، ويستعرض كيف أن فهم البيئة الاجتماعية والسياسية في وقت نزول الآيات يمكن أن يساهم في تقديم تفسير دقيق وواقعي للنصوص القرآنية، كما يناقش الفصل أهمية أن يتزامن فهم المبادئ الأخلاقية مع مقتضيات العصر الحالي، بما يضمن من استمرارية وملاءمة تعاليم القرآن مع تحديات الزمن والمجتمع.

وبالتالي يعكس هذا الفصل إيمان الشيخ محمد عبدالله دراز بأهمية استخدام السياق التاريخي ليس فقط لفهم النصوص، بل من أجل إعادة اكتشاف القيم الأخلاقية التي يمكنها أن تساهم في بناء مجتمع عادل ومتوازن، ومن خلال هذا النهج يسعى إلى تقديم تفسيرٍ مرن وقائم على الفهم العميق للقرآن، مما يتيح استنباط حلول مستنيرة لمشكلات العصر الحالي.

المبحث الأول: المقصود بالسياق التاريخي

يعد فهم السياق التاريخي أحد المفاتيح الأساسية للتفسير الصحيح والدقيق للنصوص الدينية والفكرية، وفي هذا المبحث سنتناول المقصود بالسياق التاريخي، وكيفية تأثيره في تفسير النصوص

وفهم مضامينها، حيث يشير السياق التاريخي إلى الظروف الاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي كانت سائدة في الفترة الزمنية التي نزل فيها النص أو حدثت فيه الظاهرة، لذا فإن دراسة السياق التاريخي توفر لنا إطارًا متكاملاً يساعد في فهم المعاني الحقيقية للنصوص، بعيدًا عن أي تشويه قد ينجم عن تفسير منفصل لها عن تلك الظروف.

وفي السياق القرآني على سبيل المثال يتطلب فهم الآيات الكريمة استحضار الظروف التي نزلت فيها، ما يساعد في استخراج المبادئ والقيم التي تتماشى مع تطورات المجتمع المسلم، وتتجلّى أهمية السياق التاريخي في كون النصوص قد تتأثر بمواقف أو تحديات معينة يمر بها المجتمع أو الأفراد في وقتٍ معين، ولذلك فإن تفسيرات تلك النصوص قد تختلف بناءً على إدراك السياق الذي جاءت فيه.

ومن خلال هذا المبحث، سنستعرض المفهوم الشامل للسياق التاريخي، ونوضح كيف يسهم في الوصول إلى تفسيرات أكثر عمقًا ودقة للنصوص، وأيضاً كيف يمكن أن يساهم في توجيه الفهم والتطبيقات العملية لهذه النصوص في الحياة اليومية.

ونظراً لأهمية السياق التاريخي، فإننا سنحاول في هذا الفصل الحديث عنه من خلال المبحث الآتي:

مفهوم السياق التاريخي وأهميته

السياق في اللغة: مصدر كلمة سوق، قال ابن فارس: السين والواو والقاف أصل واحد، فيقال: ساق الإبل يسوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائق وسواق، ويعني مجيء الشي على التتابع، والمساوقة، أي المتابعة[٢١٨].

أما السياق في الاصطلاح، فإن غالب كلام العلماء في هذا الجانب جاء للحديث عن سياق النص، أو سياق الكلام، ومن ذلك قول الزركشي: "ما الحكمة في تخصيص آية النحل

[٢١٨] انظر: أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١١٧. وانظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١٠، ص١٦٧.

بوصف المنعم وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه؟ والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه"[٢١٩].

وأيضاً ما جاء في الرسالة للشافعي قوله: باب الصنف الذي يبين سياقه معناه، ثم أشار إلى قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف:١٦٣] فذكر بأن الله ابتدأ ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما ذكر: ﴿**إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ دلّ على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية، ولا فاسقة بالعدوان في السبت، ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون[٢٢٠].

والمعنى هنا، أن مفردة السياق عند العلماء في الغالب جاءت مقترنةً بمفردة أخرى ما أدى إلى تشكيل مصطلحٍ تركيبي آخر يحمل معاني تختلف عن غيرها، ولهذا اختلفت أقوال أهل الاختصاص في تعريف السياق نظراً لاختلاف العلوم التي تمت إضافة مفردة السياق إليها، فهناك مثلاً:

السياق الأدبي، والذي يراد منه: "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة"[٢٢١].

وهناك أيضاً **السياق القرآني**، والذي يراد منه: "تتابع الكلام وانسجام التعبير في الدلالة على المعنى من خلال سابق يمهد ولاحق يتمم أو يؤكد"[٢٢٢].

والذي يُفهم من الكلام السابق أمران:

الأول: أن السياق في الغالب يضاف إلى النص، أو الكلام.

---

[٢١٩] محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج١، ص٨٦.

[٢٢٠] انظر: محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ص٦٢.

[٢٢١] إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، (تونس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٨٦)، ص٢٠١

[٢٢٢] أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، (الرياض: دار التدمرية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج٢، ص٤٧٢.

الثاني: أن السياق من الجهة الاصطلاحية وإن اختلفت تعريفاته التركيبية إلا إنه لا يخرج عن معنى التتابع، حتى يكون مؤدى الفكرة أو الكلام أو النص سليماً واضحاً، فيكون السياق هنا أداةً من أدوات فهم الخطاب أو النص، من خلال التعرف على أول الكلام، ووسطه، وآخره.

أما التاريخ، فالمقصود به: "ذكر ابتداء مدة الشيء ليعرف به مقدار ما بين ذلك الابتداء وبين أي وقت أريد منه"[٢٢٣].

ومع الغياب شبه التام لمفهوم السياق التاريخي، إلا أنه يمكننا الاستفادة من الدلالة اللغوية لمعنى السياق، وكذلك التعريفات السابقة في صياغة تعريف خاص بالسياق التاريخي، فنقول بأن المقصود به هو: فهم الكلام ضمن المجال التاريخي الخاص به، بهدف ضبطه، فيتم تمييزه عن غيره من السياقات العلمية الأخرى من جهة، وكذلك التزامه بحركة التاريخ السابقة واللاحقة، والتي تؤثر على فهم مقاصد الخطاب، أو مجريات الأحداث.

أي أن السياق التاريخي يعد أداةً من أدوات فهم النص أو الخطاب ضمن تتابع الأحداث، بحيث لا يكون مجتزأ وبعيداً عن هذا السياق، فلا يتم فهمه على مراده الصحيح، لكن من الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى أن هذا المفهوم لا يلتقي أبداً مع ما يشير إليه بعض المعاصرين عن تاريخية النص القرآني، وهي حصر النص ضمن نطاق زمنيٍ، أو تاريخيٍ معين[٢٢٤]. فثمة فرقٌ بين الأمرين، لأن السياق التاريخي يساعد في فهم النص، بينما تاريخية النص فإنها تعني تقصيره على فترةٍ زمنيةٍ معينةٍ.

في هذا المبحث، تناولنا مفهوم السياق التاريخي وأهميته في فهم النصوص الدينية والفكرية، وقد تم تعريف السياق التاريخي على أنه الظروف الاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي سادت في فترة معينة والتي تؤثر بشكل كبير في تفسير النصوص، ويعتبر أداة حيوية لفهم النصوص بشكل صحيح بعيدًا عن التفسير المجتزأ أو المشوه، إذ يساعد في تبيان المعاني الحقيقية للنصوص.

---

[٢٢٣] عبدالرؤوف بن المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٨٩.

[٢٢٤]

وتم استعراض المصطلحات المتعلقة بالسياق مثل السياق اللغوي والسياق القرآني، حيث يتم ربط النصوص بتتابع الأحداث والسياق المحيط بها لضمان تفسير صحيح، كما أشار المبحث إلى أن فهم السياق التاريخي في النصوص القرآنية يتطلب استحضار الظروف التي نزلت فيها الآيات، مما يعين على استخراج المبادئ الأخلاقية والقيم التي تتماشى مع تلك الظروف.

وأخيرًا، تم التأكيد على أن السياق التاريخي لا يعني "تاريخية النص" بل هو وسيلة لفهم النص ضمن الظروف التي نزل فيها، وتوضيح كيفية تأثير هذه الظروف على معاني النصوص.

خلاصة المبحث الأول: تظهر خلاصة هذا المبحث في النقاط الآتية:

١. **أهمية السياق التاريخي:** حيث يعد أحد المفاتيح الأساسية للتفسير الصحيح والدقيق للنصوص الدينية والفكرية.
٢. **تعريف السياق التاريخي:** والذي يشير إلى الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت سائدة في الفترة الزمنية التي نزل فيها النص أو حدثت فيه الظاهرة.
٣. **استخدام السياق في التفسير:** دراسة السياق التاريخي توفر إطارًا متكاملاً لفهم المعاني الحقيقية للنصوص بعيدًا عن أي تشويه أو تفسير منفصل عن تلك الظروف.
٤. **السياق القرآني:** يتطلب فهم الآيات الكريمة استحضار الظروف التي نزلت فيها، مما يساعد في استخراج المبادئ والقيم التي تتماشى مع تطورات المجتمع المسلم.
٥. **تأثير السياق على النصوص:** النصوص قد تتأثر بمواقف أو تحديات معينة يمر بها المجتمع أو الأفراد في وقت معين، مما يؤثر على تفسيرها.
٦. **المصطلحات المتعلقة بالسياق:** تشمل السياق اللغوي والسياق القرآني، حيث يتم ربط النصوص بتتابع الأحداث والسياق المحيط بها لضمان تفسير صحيح.
٧. **السياق الأدبي:** يراد به بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة.
٨. **السياق الاصطلاحي:** يشمل السياق النصي أو الكلامي الذي يساعد في فهم الخطاب أو النص من خلال التعرف على أول الكلام ووسطه وآخره.
٩. **التعريف الخاص بالسياق التاريخي:** فهم الكلام ضمن المجال التاريخي الخاص به؛ بهدف ضبطه وتحديده، وهو أداة لفهم النص أو الخطاب ضمن تتابع الأحداث.

١٠. **الفرق بين السياق التاريخي وتاريخية النص:** السياق التاريخي يساعد في فهم النص ضمن الظروف التي نزل فيها، بينما تاريخية النص تعني قصره على فترة زمنية معينة.

المبحث الثّاني: الاستفادة من السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية.

يتحدث هذا المبحث عن كيفية الوصول إلى معرفة المبادئ الأخلاقية القرآنية من خلال الاستفادة من السياق التاريخي؛ الذي له أثر كبير في كشف المبادئ الأخلاقية، وتأسيس الأحكام وتحليلها باعتبار أن معظمها شرعت تدريجيّا مع مراعاة الحقبة الزمانية والمكانية، وذلك لا يتم إلا عن طريق التتابع التاريخي؛ فيتم تحديد الحدث، وأسبابه، وآثاره مع تصوير الموضوع؛ وترجع أهمية ذلك إلى معرفة ما هو الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، وكل هذه لها تعلق بالتاريخ ومعرفة سياقه.

ومن خلال التحقيق العلمي نجد أن هذا المبحث يرجع إلى هذا الأصل؛ تحقيق الخير والسعي إليه، ويعتبر مبدأ أساسياً من المبادئ الأخلاقية التي قام بها القرآن على أكمل وجه، وهو الهدف الرئيسي لتعليمه، هذا ويُقدم محمد عبدالله دراز قواعد تُكوّنُ رؤية صحيحة عن المبادئ الأخلاقية القرآنية من خلال السياق التاريخي، ويظهر ذلك في رسالة الإسلام، وكيف نجحت؟[٢٢٥]، حيث يقول: فلقد نظرنا في تاريخ الحركات الدينية، وتاريخ الرسالات الإصلاحية، ونظرنا في تاريخ الدول الناشئة، وتاريخ الدعوات الجديدة، فما رأينا كرسالة الإسلام، في سرعة انتشارها، وفي تمكنها واستقرارها، وفي عمق نفوذها وبُعد آثارها.[٢٢٦] وكما يبدو فإن محمد عبدالله دراز يريد أن يثبت عالمية رسالة الإسلام من خلال سياق التاريخ، ومقارنته بالأديان والأنظمة السابقة، حيث أن جميعها اندرست وسرعان ما اختفت أنوارها، ومن ناحية أخرى البلاد التي تم فتوحاتها قبل الميلاد والإسلام لم تتأثر بعقائد الفاتحين ولا عوائدهم وآدابهم، وهكذا الاستعمار الأوروبي الحديث حاولوا وحاربوا بكل الأساليب، وبكل ما أوتوا من قوة كي يؤثروا في عقول أهل البلاد وعقائدهم التي استعمروها، فهل نجحوا في ذلك إلا الشيء اليسير؟ أما

---

[٢٢٥] انظر: محمد عبدالله دراز، **نخبة الأزهار وروضة الأفكار**، ص٢٨.

[٢٢٦] المرجع السابق، ص٢٨.

رسالة الإسلام فسرعان ما غيّر المجتمع ونصف العالم بأقل من قرن، وجمع الأوطان بعد أن تفرقت، والقوانين بعد تشتتها، ومن آلهته المتعددة إلى إله واحد.[٢٢٧]

إن اللحظة التاريخية التي انبثقت عنها تلك المبادئ الأخلاقية القرآنية الملتبسة بصيغة فلسفية، كانت في تصوّر محمد عبد الله دراز حين كتب رسالة الدكتوراه، والتي كان عنوانها: دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، وهي أطروحة كتبت بالفرنسية، ثم نوقشت في تاريخ ١٩٤٧/١٢/١٥م بجامعة السوربون، وكان المشرف عليها المستشرق المعروف: لويس ماسينون (M. Louis Massignon).

أما السياق التاريخي (Historical Context) بشكل عام، فهو الذي يستند إلى الظروف والأحداث التي سادت في فترة نزول النص أو حدوث الحدث، فتجريد النص القرآني من سياقه التاريخي والبيئي يعني تجريده من معانيه الحقيقية، وبهذا المعنى فإن السياق التاريخي يعني تلك البيئة الزمنية والمكانية التي تشكل الأحداث والأفكار والشخصيات التاريخية، والذي يساعد على فهم الأحداث والتغيرات من خلال دراسة الظروف الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية التي كانت سائدةً في ذلك الوقت، وبمعنى آخر يُعرف السياق التاريخي بأنه الخلفية التي تساعد على فهم الأحداث والتحولات التاريخية بشكلٍ أفضل.

وإذا طبقنا هذا على رسالته، فإننا سوف نجد أن دافع محمد عبد الله دراز لدراسته ما لاحظه من وجود فراغٍ هائل وعميق في مؤلفات علم الأخلاق العام، إذ وجد فيها قفزاً من الوثنية الإغريقية إلى أديان اليهودية والمسيحية إلى العصور الأوروبية الحديثة، مع إغفال ما يمس علم الأخلاق القرآني، أما الدراسات العامة حول الإسلام في القرن التاسع عشر، فقد وجدت فيها محاولات استشراقية لاستخراج المبادئ الأخلاقية من القرآن، إلا أن إطارها كان محدوداً إذ انحصرت جهودهم في أن جمعوا عدداً من الآيات القرآنية وترجموها ترجمة حرفية، ومن نماذج هذه المحاولات "القرآن: مبادئه وواجباته" (باريس١٨٤٠م) للمستشرق جارسان دي تاسيGarcin de Tassy، الذي يعتبر أول من استهل هذه المجموعة من النصوص المختارة، وتبعه آخرون[٢٢٨].

---

[٢٢٧] انظر: المرجع السابق، ص٢٨-٢٩.

[٢٢٨] https://almultaka.org/site.php?id=٥٩٦. شوهد بتاريخ: ٠٥ فبراير، ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٠٤ بعد منتصف الليل.

أما المكتبة الإسلامية، فيلاحظ أنها لم تعرف سوى نوعين من التعاليم الأخلاقية: إما نصائح عمليه هدفها تقويم الأخلاق، مثل رسالة ابن حزم "مداراة النفوس"، وإما وصف لطبيعة النفس وملكاتها، وتعريف للفضيلة وتقسيم لها، وإما توصيف لطبيعة النفس وملكاتها، ثم تعريف للفضيلة وتقسيم لها، ترتب غالباً على النموذج الأفلاطوني أو الأرسطي، وربما تعاقب المنهجان معاً كما في كتاب الذريعة للأصفهاني، وفي كتب الغزالي لاسيما كتابه "إحياء علوم الدين"[٢٢٩]. يقول محمد عبد الله دراز: وما وجد من مقاربات لقضايا أخلاقية في العلوم الإسلامية كالحسن والقبح والمسؤولية والأخلاق الصوفية، فإنها كانت أفكاراً متناثرة في مختلف المذاهب، وكانت تصدر عن روح المذهب الذي ينتمي إليه مؤلفوها، والقرآن لا يرد ذكره فيها إلا بصفة مكملة؛ شاهداً أو برهاناً على فكرة أو أخرى سبق الأخذ بها[٢٣٠].

ثم يواصل محمد عبد الله دراز حديثه حول السياق التاريخي لكشف المبادئ الأخلاقية مشيرًا إلى محاولة الإمام الغزالي في كتابه جواهر القرآن تحليل جوهر القرآن الكريم، ومن ثم تقسيمه إلى عنصرين أساسيين، فقال أن:

أحدهما يتعلق بالمعرفة، حيث أورد بخصوصها ٧٦٣ آية، أما الآخر فهو السلوك، حيث أدرج فيها ٧٤١ آية، غير أن هذا التصنيف لم يُستتبع بمنهجية تُبنى عليه، كما أنه جاء وفق ترتيب السور، مما جعله مجرد تجميعٍ لمتفرقات لا تربطها صلة وثيقة، ولم يُظهر تسلسلًا واضحًا للأفكار، ونتيجة لذلك افتقدت كل سورة وحدتها الكلّية، ولم تتشكل وحدة منطقية تربط بين الأجزاء المختارة، كما غاب التصنيف المنهجي الذي تتطلبه أسس التعليم[٢٣١].

ومن جهة أخرى، فقد تمحور السؤال الجوهري الذي طرحه محمد عبد الله دراز في أطروحته حول كيفية تصوير القرآن لعناصر الحياة الأخلاقية، وكان هدفه الرئيس تسليط الضوء على الطابع العام للأخلاق المستمدة من القرآن من الناحيتين النظرية والعملية ساعيًا إلى سد ثغرة واضحة في مؤلفات علم الأخلاق العام، وقد عبّر عن هذا الهدف بوضوح موضحًا أنه

---

[٢٢٩] https://almultaka.org/site.php?id=٥٩٦. شوهد بتاريخ: ٠٥ فبراير، ٢٠٢٥، الساعة: ١٢:٠٤ بعد منتصف الليل.

[٢٣٠] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٥.

[٢٣١] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٧.

يسعى إلى ملء هذه الفجوة في المكتبات الأوروبية، وإظهار الوجه الحقيقي للأخلاق القرآنية لعلماء الغرب، إذ إن هذا في الواقع هو الغاية الأساسية من هذا العمل[٢٣٢].

وبناءً على ذلك، يمكننا بيان كيفية الاستفادة من السياق التاريخي في كشف المبادئ الأخلاقية القرآنية عند محمد عبدالله دراز على النواحي الآتية:

السياق التاريخي

إذا ما أردنا تفسير آية قرآنية أو حديث نبوي دون أخذ السياق التاريخي في الاعتبار، فقد تُفهم بشكل غير دقيق، فعلى سبيل المثال: في فترة نزول بعض الآيات كانت هناك ظروف اجتماعية وسياسية خاصة بها مثل الحروب، أو التعامل مع مشركي قريش، وبالتالي لا يمكن فهم الآيات بمعزل عن هذه الظروف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا**﴾ [الحج: ٣٩] فينبغي أن تُفهم في سياق الوضع التاريخي للمسلمين في مكة، والظروف التي كانوا يعيشونها، حيث كان المسلمون مضطهدين، ويحتاجون للدفاع عن أنفسهم.[٢٣٣]

وفي هذا السياق، يمكننا أن نقدم أمثلةً على توظيف محمد عبد الله دراز للسياق التاريخي، وذلك كما يلي:

١. تحليل المبادئ الأخلاقية في القرآن

في أطروحته **دستور الأخلاق في القرآن** ناقش محمد عبدالله دراز كيفية تصوير القرآن للحياة الأخلاقية، ثم استفاد من السياق التاريخي في تتبع تطور القيم الأخلاقية بين الحضارات المختلفة، قبل الإسلام وبعده، حيث كان يُبرز كيف أن القرآن لم يأتِ ليهدم كل ما قبله، بل جاء ليتمّم مكارم الأخلاق، ومن هنا كان يربط بين البيئة الأخلاقية في الجاهلية وبين المجتمع الإسلامي موضحًا كيف أحدثت التعاليم القرآنية تحولًا جوهريًا في نظرة العرب للقيم والسلوكيات.[٢٣٤]

---

[٢٣٢] انظر: محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٤-٦.

[٢٣٣] انظر المرجع السابق، ص٧٥٦. وانظر: الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، (بيروت: دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ، ج١، ص١١٥.

[٢٣٤] انظر: **دستور الأخلاق**، ص٦-٧.

٢. المقارنة بين الأخلاق القرآنية والمذاهب الفلسفية

كان دراز يستخدم السياق التاريخي عند مقارنته بين المبادئ الأخلاقية القرآنية وبين الفلسفات الغربية، وخاصة مع بعض الفلاسفة مثل كانط وسقراط وأفلاطون، فعلى سبيل المثال: كان يوضح كيف نشأت الفلسفات الأخلاقية الغربية في سياقات تاريخية مختلفة تعتمد على العقل المجرد أو النفعية، بينما يقدم القرآن تصورًا أخلاقيًا شاملًا ينطلق من الإيمان والتكليف الإلهي، مع مراعاة الفطرة البشرية.[٢٣٥]

٣. دراسة الإعجاز القرآني من منظور تاريخي

عند حديث محمد عبدالله دراز عن الإعجاز القرآني، لم يكتفِ بالطرح اللغوي أو البياني، بل كان يربط بين الظروف التاريخية لنزول الوحي وبين تأثيره على العرب آنذاك، فكان يبين كيف أن المجتمع العربي الذي بلغ أوج الفصاحة والبلاغة عجز عن الإتيان بمثل القرآن مما يعزز دلالة الإعجاز.[٢٣٦]. ويرى دراز أن من أبرز وجوه الإعجاز القرآني هو الإيقاع الصوتي الذي يسميه "القشرة السطحية للفظ القرآن"، وهو حسٌ تفاعلي فطري ينتاب السامع عند ترتيل القرآن بنغمته الخاصة وتمتعه بانسجام لفظي لا يُشعر به عند تكرار نظم الشعر أو جمال الأساليب وهذه الفكرة دليل قوي على الإعجاز البياني واللفظي للقرآن الكريم من منظور دراز[٢٣٧].

٤. فهم التشريع القرآني في سياقه الاجتماعي والتاريخي

عند دراسة محمد عبدالله دراز للأحكام القرآنية، كان ينظر إلى السياق التاريخي ليُظهر كيف أن القرآن لم يأتِ بتشريعات مفاجئة للمجتمع، بل قدم إصلاحاتٍ تدريجية تراعي واقع الناس، فعلى سبيل المثال: كان يوضح كيف تعامل القرآن مع قضية الرق[٢٣٨]، حيث لم يُلغِه فجأةً، بل

---

[٢٣٥] انظر: المرجع السابق، ص٥.

[٢٣٦] انظر: محمد عبدالله دراز، **النبأ العظيم**، ص٧٧-٨٢.

[٢٣٧] انظر: محمد عبدالله دراز، **النبأ العظيم**، ص١٩، للتمهيد والتعريف بالكتاب.

[٢٣٨] انظر: لغة: الرّق في الأصل يعني "الرّقّة"، وهو نقيض الغلظة. يُقال: رقَّ الشيء بمعنى صار لَيِّنًا وخفيفًا. وشرعا: هو "المِلك"، أي ملكية الإنسان للغير، أي العبوديّة. ويطلق على المفرد والجمع، على الذكر والأنثى. يُقال: العبد (ذكراً)، الأمة/الجارية (أنثى). وهو ما وَجدَ في الحروب الإسلامية، ويُقصد به أسرى الحرب فقط؛ حرّمه الإسلام في جميع سُبُل

وضع أسسًا تدريجية لتحرير العبيد، مثل: الكفارات، والتشجيع على العتق، مما يتماشى مع قدرة المجتمع آنذاك على استيعاب هذا التغيير.[٢٣٩]

٥. الرد على الشبهات من خلال السياق التاريخي

في منهج محمد عبدالله دراز الدفاعي عن القرآن، كان يعتمد على السياق التاريخي في دحض الشبهات، خاصةً تلك المثارة من قبل المستشرقين، فعلى سبيل المثال: عند مناقشته لمسألة الجهاد في الإسلام، كان يوضح الظروف التاريخية التي استدعت تشريع القتال، مثل: حالة الاعتداءات على المسلمين، مؤكدًا أن الجهاد في الإسلام ليس عدوانًا، بل وسيلة لحماية الدين والحرية.

وهذا يشير إلى أن محمد عبد الله دراز كان يستخدم السياق التاريخي كأداة لفهم أعمق للنص القرآني، سواءً في مجال الأخلاق، أو التشريع، أو الإعجاز، أو الدفاع عن الإسلام، حيث كان يرى أن النصوص لا يمكن أن تُفهم فهمًا سليمًا بمعزل عن بيئتها الزمنية ولذلك حرص غاية الحرص على تقديم رؤية متكاملةٍ تراعي الواقع التاريخي والاجتماعي للنصوص.[٢٤٠]

ويمكن القول بأن هذه المنهجيّة التي سار عليها الشّيخ دراز كانت تتمحور حول عنصرين اثنين هما: العنصر النّظري والعنصر التّطبيقي.

ويُراد بالأوّل: وضع القواعد الأساسيّة، أو تأسيس القوانين التي يُستخلص منها المبادئ الأخلاقية في القرآن، وتندرج تحت هذه القواعد موضوعات فرعيّة وتقسيمات عديدة، على سبيل المثال: كتابه "دستور الأخلاق في القرآن" فإذا قرأْته تجدْ أنّ محمّد عبد الله دراز عندما أراد أن يتكلم عن نظريّة الأخلاق في القرآن، ومقارنتِها بالنّظريات الأخلاقيّة القديمة والحديثة؛ وضَعَ لها قواعد وقوانين، ومن ذلك:

الدخول الأخرى كالبِيع، الدين، الخطف وغيرها. انظر: أحمد شفيق باشا، **الرّق في الإسلام**، (القاهرة: مؤسسة، د،ط. ١٨٩١)، ص٣-٥٠.

[٢٣٩] انظر: محمد عبدالله دراز، **نخبة الأزهار وروضة الأفكار**، تحقيق: عبدالله إبراهيم الانصاري، (قطر: مكتبة الفلسطين للكتب المصور، ط١، د،ن)، ص٦٦-٧٢.

[٢٤٠] انظر: محمد عبدالله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ص٦٣-٦٦.

١. فكرة المسؤولية، بعد تعريفها، يُقَسِّمُ هذه الفكرة إلى موضوعات متنوّعةٍ مّنها: الأول: تحليل الفكرة العامة للمسئولية.

٢. شروط المسئولية الأخلاقيّة والدّينيّة، ويتفرع عن ذلك أشياء، منها:

أ. **الطّابع الشّخصيّ للمسئوليّة:** فأول ما يجب ذكره هو أن المسئولية الأخلاقية والدينية شخصية محضة، ولسوف يكون من الإطالة أن نذكر جميع النصوص القرآنية التي تقر هذا المبدأ الأساسي، ولذا نجتزئ بعضها، وهي التي تنص على هذه الحقيقة في ألفاظ تامة الوضوح، كقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾ [النساء: ١١١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [الإسراء: ١٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ [لقمان: ٣٣]، وما ورد في قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [غافر: ١٧]، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٩]، وما جاء في قوله

تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾ [النجم: ٣٩-٤٠].

يعلق محمد عبد الله دراز على هذه الخطابات القرآنية التي تثبت أن الثواب والعقاب لا يمكن أن يتأتى فيهما أي تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء، فإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسئولين مثلاً عن الأمثلة التي لقنوها لنا، والعادات التي أخذناها عنهم، وإذا كنا مسئولين عن الطريقة التي استعملنا بها هذه التركة، فلا يجب مطلقاً أن نتحمل معهم وزر ما عملوا: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤]. وبالتالي فقد محيت

بفضل هذه النصوص صعوبة الخطيئة الأصلية التي ارتكبها سيدنا آدم وحواء عليهما السلام، ذلك أن آدم عليه السلام لم يتجرأ على فعل تلك الخطيئة لخبثٍ في طبيعته، أو سوء في إرادته، وليس يكفي أيضاً أن يقال: إنه انقاد لإغراء قوي من خلال كلمات خداعات صادرة من عدو لئيم، أقسم له بالله ليؤكد لآدم وحواء صحة مزاعمه، والتي مفادها أنه حين يأكل الفاكهة المحرمة فربما يصبح نقياً كنقاء الملائكة، خالداً كخلود الإله، قال تعالى وهو يبين عظم جرم إبليس حين خدع آدم وحواء بقسمه بالله: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾، [الأعراف: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٢١][٢٤١]. أي فحلف لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، يقول ابن أبي حاتم عن قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ لَهُمَا: إِنِّي خُلِقْتُ قبلَكُمَا وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدُكُمَا. وَإِنَّمَا يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ- بِاللَّهِ. قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ بعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يقُولُ: مَنْ خَادَعَنَا بِاللَّهِ- خَدَعَنَا[٢٤٢].

يعلق محمد عبد الله دراز على الآية السابقة، فيذكر بأن ما فعله آدم وحواء عليهما السلام كان غلطةً نبيلة رغم تحصنه منذ البداية ضد المكائد المحتملة من عدوه، لكنه نسي في لحظة لم يجد لنفسه فيها إرادة صامدة، وصدق الله تعالى فيه إذ قال: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ [طه: ١١٥]. والتحليل المنهجي الذي اتبعه محمد عبدالله دراز حينما قال: إن النية الطيبة لا تشفع في مثل هذه الظروف لأن النسيان لم يكن للأمر في ذاته، بل للهدف منه، وأياً ما كانت الدوافع النبيلة وراء المخالفة، فإنها لا يمكن أن تعرينا من التزام مطلق واضح المعالم والحدود، فخطيئة آدم كانت أثراً من آثار ضعف عارض، وجهد قاصر في مراعاة الواجب، ومن هنا لم تفسد فطرة الإنسان الأول بحيث تستلزم تدخل "مخلص" غيره نفسه، إذ كان يكفيه أن يعترف

---

[٢٤١] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٤٩.

[٢٤٢] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ) ج٥، ص١٤٥١.

بخطيئته، ويظهر ندمه، لا ليغسل دنسه، وتعود إليه سريرته النقية، كما كانت فحسب، ولكن ليربي هذا التائب الجديد، ويرفع إلى درجة المصطفين الأخيار، ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾ [طه: ١٢٢] [٢٤٣].

الخروج عن قاعدة الطّابع الشّخصيّ للمسئوليّة: هناك مثالان خرجا عن هذه القاعدة، ولم يتوافقا مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية، وهما:

المثال الأول: وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقد اكتفى محمد عبدالله دراز في التعليق على هذا المثال بالقول: إن هذين المثالين جديران في نظرنا بالدراسة، حتى نرى إلى أي مدى يمكن أن يضعفا أو يدعما المبدأ العام، لكنه توصل إلى نتيجة مفادها: إن المسئوليات الفردية تبقى كاملةً، وتلك نقطة مفروغ منها، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [العنكبوت: ١٢]. وكل ما في الأمر أن تذييلاً للثواب والعقاب يأتي –فيما يبدو– من الخارج فضلاً عما ينتج من العمل الفردي[٢٤٤].

ثم تحدث عن خلاصة الموضوع من خلال بيان وجه الحقيقة في هذه المسألة، فقال متسائلاً: ما هذا الثقل الإضافي الذي يضاف إلى حساب الظالمين؟ فأجاب: إنهم المتكبرون الذين داروا ظهورهم للهدي الإلهي، وسعوا في إضلال الآخرين، وهؤلاء الأشخاص –فيما يحدث القرآن– سوف يتحملون المسئولية الكاملة عن أعمالهم الخاصة، ويشاركون في مسئولية هؤلاء الذين أضلوهم، وقد قال تعالى في وصفهم: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ [النحل: ٢٥].

ومن المعلوم أن الضحايا لن يعفوا مطلقاً من خطيئاتهم التي ارتكبوها، نتيجة استسلامهم للضلال، ذلك أن عبء الأتباع لن يصير أقل ثقلاً، وقد بين القرآن ذلك من خلال المناقشة والحوار بين الذين ٱتَّبَعُواْ والذين ٱتُّبِعُواْ، فقال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ**

---

[٢٤٣] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٥٠–١٥١.

[٢٤٤] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٥٢.

كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

يقول محمد عبدالله دراز: ولكن بما أن الرعاة -فضلاً عن مسلكهم الشخصي- قد أسهموا بقدر معين في معصية القطيع، فإنهم يجدون أنفسهم ذوي مسئولية إضافية، ناشئة عن علاقة السببية التي يتحملونها بالنسبة إلى جرائم أخرى غير جرائمهم، فهم مسئولون من وجهين؛ لأنهم كذلك مذنبون من وجهين، والمجرم الذي يقترف كثيرا من الفواحش لا يمكن بداهة أن يعامل بنفس الطريقة التي يعامل بها من لم يرتكب سوى واحدة، والله يقول: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل: ٨٨][٢٤٥]. وقال رسول الله ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فعُمِلَ بِهَا بعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا ينقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فعُمِلَ بِهَا بعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا ينقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ[٢٤٦]. نتيجة ما كان قد ظهر من تعارض، فإنه ليس هناك أثر من التعارض، حتى ولا الاستثناء، الذي يرد على القاعدة العامة.

مناقشة المثال الأول

١. في القرآن الكريم، المسؤولية فردية بحتة، كما جاء في قوله تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]، مما يعكس القيمة الأساسية للعدالة الإنسانية التي تكرم الفرد وتجعل من الأفعال الشخصية أساسًا للحساب، يطرح محمد عبدالله دراز من خلال الآيات التي يستشهد بها فكرًا يعكس تفاعل الإنسان مع نتائج أعماله، وتبعات خياراته، مما يعزز من فكرة المساءلة الفردية أمام الله، فلا بد من التركيز على التربية الفردية كي تكون تربية مسؤولة، حيث تبدأ من الفرد نفسه كما تبين ذلك الآيات التي يستشهد بها، أي أن التربية الدينية الإسلامية تركز على تطوير الوعي الشخصي لدى الأفراد، وتعزيز فكر المسؤولية الذاتية، وفي التربية

---

[٢٤٥] انظر: المرجع نفسه، ص١٥٣.

[٢٤٦] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، انظر: **الصحيح**، كتاب العلم، باب: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، رقم الحديث: ١٥ - (١٠١٧).

الحديثة يمكن الربط بين هذه الفكرة والبرامج التربوية التي تحث على اكتساب السلوك المسؤول والتفكير النقدي، لكن هناك فكرة مفادها أن الرعاة والمربين يتحملون جزءًا من المسؤولية عن أفعال من يتبعونهم، وهي تمثل دعوة قوية لدور القادة التربويين في المجتمع؛ فالقائد أو المعلم الذي يقدم مثالًا سيئًا أو إنه يضلل الآخرين فيتحمل مسؤولية إضافية عن الضلال الذي ينشأ بسبب أفعاله، وهذا يترجم إلى ضرورة تعزيز القيم النبيلة في المربين، وضرورة أن يكونوا قدوة للأجيال القادمة.

٢. **العدالة الإلهية:** الفكر القيمي القرآني لا يعفي الأفراد من مسؤولياتهم مهما كانت الظروف؛ حتى في حالات الفتن والضلال لا يتم تحميل أتباع الضلال المسؤولية عن أعمال قادتهم إلا بما اكتسبوا من خطايا نتيجة اتباعهم، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٣]. وهذا يضمن العدالة، إذ لا يحمل أحد ما لا طاقة له به.

٣. **الوعي بالمسؤولية:** التحليل الذي قام به محمد عبدالله دراز يبرز أهمية الوعي الفردي بالمسؤولية، فكل شخص يتحمل مسؤولية أفعاله، ولا يمكن تحميل أحد نتائج خطايا الآخرين؛ وهذا يعزز من مفهوم المسؤولية الشخصية في بناء الهوية النفسية للإنسان، حيث يشعر الفرد بثقل أفعاله وتأثيرها على مصيره.

٤. **التوبة والندم:** في تحليل محمد عبدالله دراز لخطأ آدم عليه السلام، فإنه يعكس فكرة نفسية هامة حول النية الطيبة والضعف البشري في مواجهة المعصية، فالنية الطيبة لا تبرر السلوك الخطأ ولكن التوبة والتفكير في العمل الذي يتم قد يعيدان للفرد مكانته، ويفتحان له طريق الإصلاح النفسي، وهذا يواكب مفهوم الندم في النفس البشرية، حيث يمكن أن يعْتَبر الاعتراف بالخطأ والندم بمثابة تصحيح للفطرة الإنسانية.

٥. **التأثير الجماعي على المسؤولية:** النموذج الذي قدمه محمد عبدالله دراز حول تحمل الأتباع مسؤولية إضافية نتيجة اتباعهم لآخرين ضالين يعكس جانبًا اجتماعيًا

بالغ الأهمية، حيث لا يعيش الإنسان بمعزل عن الآخرين، فالمجتمع يمكن أن يؤثر بشكل كبير على الأفراد، سواء في الاتجاهات الإيجابية أو السلبية، ومن هذا المنطلق، يمكننا أن نفهم التحدي الاجتماعي في بناء مجتمع مسؤول، يُحفَّز فيه الأفراد على اختيار القيم الصائبة والتصرفات السليمة، وفي المجتمعات؛ المسؤولية لا تقتصر على الأفراد فحسب، بل إنها تشمل أيضًا التأثيرات المتبادلة بين الأفراد في محيطهم الاجتماعي.

٦. **التوزيع العادل للأعباء:** فالنصوص القرآنية تشير من خلال مقاصدها إلى أن الأتباع لن يحملوا مسؤولية ما فعله قادتهم دون أن يتحملوا جزءًا من وزر خطاياهم وهذا تركيز على مبدأ العدالة الاجتماعية، وإن معاقبة الأتباع بسبب الضلال لا يعني أن القادة يُعفَون من المسؤولية، بل يثبت القرآن أن أعباء المجتمع يجب أن توزع على الجميع وفقًا لمساهماتهم وأفعالهم.

المثال الثاني: وهو موجود في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]

وصف محمد عبدالله دراز هذه الحالة بأنها عصية على كل التفسيرات، ذلك أن أولادنا لما كانوا أعمالنا، فإن نشاطهم يستمر ويكمل نشاطنا، ومن ثم كانوا مضافين إلى حسابنا، ولكن كيف نسوغ القضية العكسية مع وجود نصوص قرآنية، مثل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ [لقمان: ٣٣]، ومثلما قال نبي الله ﷺ: "وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[٢٤٧]. قال المفسرون: كيما يتخلصوا من هذا التعارض، إن آية الطور الأولى لا تتعلق مطلقاً بالمجازاة، لكنها محض فضل يسبغه الله عليهم، غير الجزاء المستحق لهم، وعليه فهم يضيفون أن فضلا من هذا القبيل لا يصح أن يخضع لقاعدة، وكل ما تريده الأخلاق هو ألا يحرم شخص من حقوقه: قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فإذا ما قدمت

[٢٤٧] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، انظر: **الصحيح**، كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، باب: فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم الحديث: ٣٨ - (٢٦٩٩).

العدالة المطلقة لكل إنسان حقه فلا شيء يحول دون أن ينعم الله على من يشاء بأكثر مما يستحق[٢٤٨].

ويلاحظ أن الأساس القانوني للمسئوليّة يعلمنا أن أحدا لن يحاسب على أفعاله دون أن يكون قد أعلم مسبقاً بأحكامها من طريقين مختلفين: داخلية، وخارجية[٢٤٩].

أما الطريقة الداخلية: فمن خلال استخدام القدرات والملكات الفطرية، واستشارة العقل، واستبطان القلب، وتتبع الغرائز الخيرة، وهذا بوسع كل إنسان أن يعرفه على تفاوت بين الأفراد في تلك المعرفة[٢٥٠].

ثم الطريقة الخارجية: وذلك من خلال إعلام الله لنا بواجباتنا، وبطريقة خاصة وإيجابية، ومن يقول بهذا يتمسك بحرفية القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**﴾ [القصص: ٥٩].[٢٥١]

ثم يطرح سؤالاً حول الوسطاء الربانيين، فيقول: لماذا أوجب الله مطلقا على نفسه أن يعلم الشعوب بواجباتها بوساطة الرسل، الوسطاء بينه وبينهم؟ ولماذا لم يتركهم لنورهم الفطري وحده؟

الجواب كما بينه القرآن: قال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥]. والحقيقة أن الله سبحانه أوجب على نفسه أن يعلم الناس قبل أن يحملهم مسئوليتهم؛ لأنه يرى من الظلم تعذيب القرى التي تغفل عن واجباتها؛ لأنها لم تعرفها، قال تعالى: **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ** [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩][٢٥٢].

---

[٢٤٨] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٥٧.

[٢٤٩] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٦٣.

[٢٥٠] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٦٣.

[٢٥١] انظر: المرجع نفسه، ص١٦٤.

[٢٥٢] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٦٤.

مناقشة المثال الثاني

تظهر معالم هذا المثال في النقاط الآتية:

- **العدالة الإلهية من خلال فهم آية الطور في سياق العلاقة بين الإنسان وذريته.** عندما يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١]، يطرح مفهومًا عميقًا حول الإيمان والتأثير النفسي للآباء على الأبناء، فهو قد يعكس هنا استمرارية الأثر النفسي للأفعال، سواء كان ذلك من خلال تقوية الإيمان أو من خلال تبني السلوكيات الأخلاقية، وهذا النوع من التأثير يعد جزءًا من الإرث النفسي الذي يمكن أن يُنقل بين الأجيال، وبالتالي قد نجد أن التأثير النفسي للأبناء من جهة الوالدين يمكن أن يؤدي إلى تطور السلوكيات الدينية والإيمانية[٢٥٣].
- **النضج الأخلاقي**: من الناحية النفسية أيضًا، يسهم الإيمان بالآيات التي تتعلق بالعدالة الأخلاقية في بناء شخصية الفرد، فالإيمان بفكرة أن الإنسان سيحاسب على أعماله الخاصة، كما هو الحال في الآية: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فإن هذا يساعد الأفراد على تحمل مسؤولياتهم بشكلٍ فردي مما يعزز التقدير الذاتي والنضج الأخلاقي.
- إن معالم التفسير العلمي للمسؤولية الفردية والجماعية تظهر من خلال تأثير الأفعال الفردية، ومن خلال قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩]. تذكيرًا بأن الأفراد في المجتمعات المختلفة يتفاعلون مع موروثاتهم الثقافية والتربوية، وأعظمها تأثير الوالدين على

[٢٥٣] انظر: المرجع نفسه، ص١٥١.

الأبناء، كما جاء في آية الطور، فيمكن أن يُنظر إليه من خلال العلم النفسي وعلم الاجتماع في فهم كيفية انتقال القيم والأخلاقيات عبر الأجيال.

- **المسؤولية التربوية في نقل المعرفة:** كما في الآية الكريمة: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ١٥]، حيث تُشير إلى دور المعلم أو الرسول في إبلاغ الرسالة، وفي التربية الحديثة يعتبر هذا دورًا أساسيًا في التأكد من أن الأفراد تلقوا المعرفة بشكلٍ صحيح قبل أن يتحملوا المسؤولية عن أفعالهم، وهذا يشير إلى أهمية المناهج التربوية في تقديم المعرفة الأخلاقية والدينية التي توضح المسؤوليات الإنسانية.
- **المسؤولية الفردية والجماعية:** هناك سؤال تثيره هذه الآيات الكريمات حول التوازن بين الفرد والجماعة في المسؤولية، هل الشخص ملزمٌ فقط بأفعاله الخاصة أم أن الجماعة تتحمل جزءًا من المسؤولية أيضًا؟ فالآيات تشير إلى المسؤولية المشتركة بين الآباء والأبناء، وهي تفتح بابًا لفهمٍ جديد في فلسفة المسؤولية الجماعية والفردية، حيث يتم توجيه التأثيرات عبر الأجيال.

خلاصة ما سبق:

بعد استعراض ما سبق، يمكن القول إن هذا المبحث يتضمن عشر نقاط رئيسة، وهي:

١. تمهيد: نشأت المبادئ الأخلاقية القرآنية في لحظة تاريخية ملتبسة بصيغة فلسفية، حيث تصور محمد عبد الله دراز أن هذه المبادئ كانت ملتصقة بتلك اللحظة الزمنية، وقد تناول ذلك في رسالته للدكتوراه التي ناقشها في جامعة السوربون بإشراف المستشرق لويس ماسينون.

٢. السياق التاريخي: وهي الظروف والأحداث التي سادت فترة نزول النصوص القرآنية، ولهذا فإن تجريد النص القرآني من سياقه التاريخي يؤدي إلى فقدان معانيه الحقيقية.

٣. دراسة فراغ علم الأخلاق: دراز لاحظ وجود فراغ في مؤلفات علم الأخلاق العام، حيث تم إغفال علم الأخلاق القرآني بشكل كبير، مما دفعه إلى دراسة هذا المجال بشكل مكثف.

٤. المحاولات الاستشراقية: تمت بعض المحاولات لاستخراج المبادئ الأخلاقية من القرآن من قبل المستشرقين، لكنها كانت محدودة النطاق، وتعتمد على ترجمة حرفية للآيات.

٥. المكتبة الإسلامية: لم تعرف سوى نوعين من التعاليم الأخلاقية: نصائح عملية لتقويم الأخلاق، ووصف لطبيعة النفس وملكاتها، وتعريف للفضيلة وتقسيمها.

٦. الشيخ محمد عبد الله دراز: استخدم السياق التاريخي لفهم أعمق للنصوص القرآنية، ثم تقديم رؤى متكاملة تراعي الواقع التاريخي والاجتماعي للنصوص.

٧. الإمام الغزالي: تناول دراز محاولة الإمام الغزالي في كتابه **جواهر القرآن**، تحليل جوهر القرآن وتقسيمه إلى عنصرين أساسيين هما: المعرفة والسلوك.

٨. تصوير الحياة الأخلاقية: تمحور سؤال دراز حول كيفية تصوير القرآن لعناصر الحياة الأخلاقية، وكان هدفه سد ثغرة في مؤلفات علم الأخلاق العام.

٩. توظيف السياق التاريخي: استخدم دراز السياق التاريخي كأداة لفهم النصوص القرآنية في مجالات الأخلاق، والتشريع، والإعجاز، والدفاع عن الإسلام.

١٠. عنصران أساسيان: تتكون منهجية دراز من عنصرين رئيسيين: العنصر النظري، الذي يتضمن وضع القواعد الأساسية للأخلاق القرآنية، والعنصر التطبيقي، الذي يشمل تطبيق هذه القواعد في دراسات محددة.

الفصل الخامس

دور السياق الاجتماعي في فهم مقاصد بعض القضايا القرآنية عند الشيخ دراز

وفي هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم السياق الاجتماعي

المبحث الثاني: السياق الاجتماعي ومقصد **توجيه الأخلاق الفردية**: من خلال القرآن

تمهيد

يعد السياق الاجتماعي أحد العوامل الأساسية التي تساهم في فهم النصوص القرآنية بشكل دقيق وشامل، من أجل ذلك سنتناول في هذا الفصل دور السياق الاجتماعي في فهم مقاصد بعض القضايا القرآنية وفقًا لرؤية الشيخ محمد عبد الله دراز باعتباره أحد المفكرين الذين أبرزوا أهمية السياق الاجتماعي في تفسير القرآن، حيث ربط بين النصوص القرآنية وبين الظروف الاجتماعية التي كانت سائدةً في فترة النزول، ومن خلال هذا الربط، قدّم للقراء والمفسرين فرصة لفهم أعمق للمعاني القرآنية بما ينسجم مع احتياجات المجتمع المسلم آنذاك، ويعكس تطوراته وتحولاته، أي أن فهم الشيخ محمد عبدالله دراز يستند إلى فكرة أن القرآن الكريم لا يُفهم بمعزل عن الظروف الاجتماعية المحيطة به، بل يجب أن يؤخذ في الاعتبار السياق الاجتماعي الذي يمر به المجتمع المسلم حين نزول الوحي، وهذا السياق لا يقتصر فقط على الأحداث التاريخية بل يشمل أيضًا البُعد الثقافي والاقتصادي والسياسي الذي كان يشكل الإطار الذي استقبل فيه الناس الوحي الإلهي.

وبناءً على ذلك، سنستعرض في هذا الفصل كيف أن الشيخ محمد عبدالله دراز استخدم السياق الاجتماعي لتفسير بعض القضايا القرآنية، مثل مفهوم العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، ثم قيم التعاون والتراحم بين أفراد المجتمع، كما سنناقش أهمية هذا المنهج في تقديم تفسير عصري وملائم لتحديات العصر الحالي، مما يساهم في جعل التفسير القرآني أكثر فهمًا وواقعية.

المبحث الأول: مفهوم السياق الاجتماعي

تمهيد: مفهوم السياق الاجتماعي

لا يمكن فهم اللغة والتواصل الإنساني فهمًا دقيقًا دون مراعاة السياق الذي تُستخدم فيه الكلمات والجمل، لأن الكلمات لا تحمل معانيها بشكل مستقل، بل تتأثر بعوامل متعددة تتعلق بالموقف الذي قيلت فيه، والمتحدث والمخاطَب، والظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة، ومن هنا ظهر مفهوم السياق الاجتماعي بوصفه عنصرًا رئيسيًا في تحليل الخطاب، حيث يُسهم في تحديد دلالات الألفاظ، ومن ثم تفسير المعاني وفقًا للمحيط الاجتماعي والثقافي.

إذن، السياق الاجتماعي لا يقتصر على اللغة فحسب، بل يشمل مجموعةً من العوامل المؤثرة في عملية التواصل، مثل العادات والتقاليد، والمكانة الاجتماعية للمتحدث والمخاطَب، والأوضاع السياسية والاقتصادية، وحتى القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع، ولهذا فإن تجاهل السياق الاجتماعي عند تحليل النصوص أو تفسير الخطاب يؤدي إلى سوء الفهم، أو تأويل المعاني بشكل خاطئ، وفي هذا الإطار أصبح فهم السياق الاجتماعي أمرًا ضروريًا في العديد من المجالات مثل علم اللغة، وعلم الاجتماع، والدراسات الدينية، وعلوم الاتصال، حيث يساعد في تفسير المعاني بدقة، وتحليل النصوص، وفهم العلاقات الاجتماعية التي تتجلّى في اللغة المستخدمة بين الأفراد.

المطلب الأول السياق لغةً واصطلاحاً

تمهيد

من المعلوم أن معرفة السياق له دور مهم في التعامل مع النصوص وفهم المقاصد دون حمل الخطاب على محمل الخطأ، وغير ما قصد به المتكلم، باعتباره الطريق المؤدي إلى كشف الغموض وإزالة الالتباسات، فعلى سبيل المثال: الألفاظ المشتركة فقد يكون اللفظ الواحد وضع لأكثر من معنى فمثلاً: لفظ (العين) مشترك بمعاني كثيرة فتارة يطلق ويراد به العين الباصرة أو العين الجارية، ويُطلق ويراد به الجاسوس، وقد يطلق ويراد به عين الماء، فالذي يحدد مقصود هذه الألفاظ هو النظر إلى السياق، وحينئذٍ يتبيّن معنى المراد، فإذا قلت: أصاب أرض بني فلان عين، فهناك قرينة تفيد أن المقصود بالعين هو المطر، وكذلك عندما تقول لا أقبل منك إلا

درهماً بعينه، أي نفسه، ورأيت عين القوم، ويراد به سيدهم[1]. فمن خلال فهم السياق يتم إدراك المقصود من النص، ولذلك يقال في بيان أهمية فهم السياق في النّص أنّه: «لا يُجْتَهَدُ في فهم النصّ، ما لَمْ يَتِمَّ استيعابُ سياقه وسِبَاقِه»[2]. فإذا كان الأمر كذلك فيلزم الرجوع إلى المعاجم اللغوية حتى يتضح معنى الكلمة في سياقاتها اللغوية.

معنى كلمة السياق

بعد البحث والتتبع وُجد أنّ معنى كلمة السياق Context في كتب المعاجم اللغويّة العامّة تعطي معنيين:

الأول: معنى عام اللّغة وهو: "البيئة أو الظروف أو الحقائق والوقائع المحيطة التي تساعد على إعطاء صورة شاملة عن شيء ما" أو "تؤثر على شيء ما". أو إنّه "الموقف الذي فيه يحدث شيءٌ ما أو الذي يتسبَّبُ في حدوث شيء ما".

الثاني: معناه الخاص مرتبط باللّغة فقط: وهو سياق الكلام أو يقال: "بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه" أو تلكم الكلمات التي تأتي قبل (أو بعد) سواء كلمة أو عبارة أو جملة، وتساعد على فهم معناها"[3]. وسيتناول البحث دراسة ذلك بالتفصيل في بطون كتب أصحاب اللغة والمعاجم، وبيان ذلك كالآتي:

الأول: السياق لغة

لفهم الكلمات العربية يتطلّب العودة إلى أساس اللغة وأصولها وهي تلكم المعاجم التي ألّفها أربابها لتوضيح المعاني اللغوية، فتَجد في تلكم المصادر أنّ السياق بكسر السين، مصدر ساق

---

[1] انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٢٩٥.

[2] قطب مصطفى سانو، **معجم مصطلحات أصول الفقه**، تحقيق: محمد روّاس قلعجي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٢٣٩.

[3] انظر: إيهاب عبد الحميد عبدالصادق سلامة، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، رسالة لنيل درجة الدكتوراة بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية في قسم اللغة العربية، ص٣٢-٣٣.

يسوق سوقاً، وسياقاً، أي ينتزع نزعاً يعني الموت[٤]، فإذا قلتَ رأيت فلاناً يسوق سووقاً، معناه: ينزع روحه عند الموت[٥]، وجاء في الأثر عندما قال عبدالرحمن بن شماسة المهري[٦] حال وفاة سيدنا عمرو بنَ العاص: «حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت..»[٧]: أي الاحتضار، وأصله: سواقٌ بالواو ثم قُلبت الواو ياءً لكسر حرف السين تسهيلاً للنطق[٨]، وجاء ذكر مقصود السياق في كتاب المعجم الوسيط: بأنّ سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[٩].

ومن الأمثلة الواردة في بيان المعاني المتعددة لمادة (**سوق**)، سواءً في إطار الانقياد أو غيره ما يقال بأن السوق: "معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا"[١٠]: حثّها على السير. وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة..»[١١]. وعنه عن النبي ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه»[١٢]، وسوق الناس في الحديث كِنَايَةٌ عَنِ اسْتِقامة النَّاس وانْقيادِهم إِلَيْهِ واتّفاقِهم عَلَيْهِ، وَلَمْ يُرِدْ نفْسَ العَصا، وَإِنَّمَا ضَرَبَها مَثَلا لاسْتيلائه عَلَيْهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لَهُ، إِلَّا أَنَّ فِي ذِكْرِهَا دَلِيلًا عَلَى عَسْفِه بِهِمْ

---

[٤] انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (مصر: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج٥، ص١٩٠.

[٥] انظر: ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ، **لسان العرب**، ج١٠، ص١٦٧.

[٦] عبدالرحمن بن شماسة بن ذؤيب بن أخور المهري، كنيته أبو عمرو، مصري وقيل دمشقي توفي ١٠١هـ حكم ابن حجر بأنه ثقة من الطبقة الثالثة. انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج١، ص٣٤٦.

[٧] **صحيح مسلم**، ج١، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا، رقم الحديث: ١٢١، ص١١٢.

[٨] انظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤م)، ج١٠، ص١٦٧.

[٩] انظر: المؤلفون: **مجمع اللغة العربية بالقاهرة**، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (القاهرة: دار الدعوة، د.ط، د.ت)، ج١، ص٤٦٥.

[١٠] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص١٦٦.

[١١] البخاري، **في صحيحه**، كتاب الحج، باب ركوب البدن لقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله، ج٢، ص١٦٧. رقم الحديث: ١٦٨٩.

[١٢] المرجع السابق، **كتاب المناقب**، باب: في ذكر قحطان. ج٤، ص١٨٣، درجة الحديث: مرفوع، رقم الحديث: ٣٥١٧.

وخُشونَتِه عَلَيْهِمْ[١٣]. وتكاد المعجمات تتفق حول هذه المادة: "السين والواو والقاف" بأنها من أصل واحد، وهو حدو الشيء، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته[١٤].

وأحياناً يأتي السياق بمعنى: (**السوق**) الارسال وغيره، ففعله من: ساقَ يَسوق، سُقْ، سَوْقًا وسِياقًا وسِوَاقةً وسِياقةً، فهو سائِق، والمفعول مَسُوق، ساق الله الخير أي أرسله، وقولك ساق الحديث الفلان تُريد بذلك: أنّه سردَهُ وأورده بسهولة، وساق إليه المال: أرسله إليه وقدَّمه بين يديه، وساقه بإصبعه: أي قاده مرغمًا وتحكّم به، وساق السَّيَّارةَ أو القطارَ أو نحوَهما: قادها ووجّهها نحو الوجهة التي يريدها بالتَّحكُّم في آلاتها، وأساق المرأةَ مهرها: أرسلها إليها[١٥]. والمثال السابق في: ساق الله إليه خيراً من المجاز، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب: دفعته وطيّرته[١٦]، وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساقة العسكر في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد، وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق[١٧].

ومن خلال ما تقدم من مفهوم السياق اللغوي يتلخص لنا المعاني الآتية: أن كلمة السياق يطلق ويُراد بها: أسلوب الكلام وتتابعه الذي يجري عليه، ولحظة الاحتضار، وأنه الانقياد والمراسلة، وسرد الشيء، وتقْدِمَةُ شيء إلى شيء، وأنه يفيد معنى المتابعة والمبايعة، وقد يستخدم أحياناً في المجاز.

---

[١٣] مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج٢، ص٤٢٣.

[١٤] انظر: أحمد بن فارس، **معجم المقاييس اللغة**، ج٣، ص١١٧.

[١٥] انظر: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (رياض: درا العالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م)، ج٢، ص١١٣٧–١١٣٨.

[١٦] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص١١٣٧.

[١٧] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى: ٥٣٨هـ، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت_ لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)، ج١، ص٤٨٤.

الثاني: السياق اصطلاحاً

بعد دراسة السياق لغة، يتعرض البحث إلى معرفة السياق في الإصطلاح، فتجد من خلال قراءة الكتب أنّ تعريف السياق اصطلاحاً ورد كثيراً ومختلفاً وخاصة عند المتأخرين، وهذا يعني أنّ كل واحد ممن عرفه نظر إلى مذهبه، أو إلى جانبٍ معين فيه، وبيان ذلك كالآتي:

القول الأول: السياق: جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع –إن وجدوا– وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، وكذلك العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام، وأيضا أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم، أو الضحك، ومن خلال هذا المفهوم يتبيّن أنّ من أهم خصائص سياق الحال هو إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وجميع المشتركين في الموقف الكلامي[١٨]. وهذا التعريف عام يتناول ظروف النّص وكل ما يتعلق به زمنيّا كان أو مكانيّاً.

القول الثاني: لابن دقيق العيد، حيث إنه لم يتوقف على تعريف السياق فقط بل إنه يعتبره قاعدة منضبطة ومفيدة في مواضع لا تحصى، فقال رحمه الله في بيان هذا المفهوم: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه. وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات"[١٩]. وكما هو معروف، فإن ابن دقيق أصولي، ولهذا أورد هذا التعريف في مجال أصول الفقه، وركز أكثر على مجال الأصول، والشيء الذي يساعد في التعامل مع كل كلام من بيان الإجمال وتعيين المحتملات أو تخصيص العموم؛ هو السياق فقط أو قرينة توضح ذلك.

القول الثالث: الإمام الزركشي، حيث جعل قضية معرفة السياق للمفسر قبل انطلاقه إلى التفسير أمراً أساسيا لابد منه، فقال رحمه الله: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغو لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف[٢٠] يجعل

---

[١٨] انظر: د. محمود السّعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، (بيروت، دار النهضة العربية، د. ط، د. ت)، ص٣١١.

[١٩] ابن دقيق العيد، **إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام**، (د.ط، د.ن، د.ت،)، ج٢، ص٢١.

[٢٠] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي ، يلقب بجار الله؛ لأنه جاور بمكة زماناً، ولد سنة ٤٦٧ هـ إمام في التفسير واللغة والنحو والبلاغة والأدب، متفنن في كل علم، وكان معتزلي المعتقد، مجاهراً به، داعية إليه،

الذي سيق له الكلام معتمداً حتى كأن غيره مطروح"[٢١]. هذا، ويمكن أن يقول القائل الكلام ليس تعريفاً للسياق، أجلْ صحيح هناك يكشف لنا الإمام الزركشي رحمه الله أهمية مراعاة السياق في التفسير وأنه الركن الأساسي في التعامل مع النص، وعليه يرجح البحث لأن النصوص تفسر بعضها بعضاً ولها متعلقات أخرى لا ينبغي أن تغفلها، وكل هذا لا يتم إلا بمعرفة السياق.

القول الرابع: يعرف السياق بأنه: "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[٢٢]، يفهم من هذا التعريف أن السياق بمثابة الجناح الثاني من النص، والمبيّن لقصد النص، وعلى ضوئه يستنير النص.

القول الخامس: للدكتور أحمد مختار عمر، حيث ذكر في تعريف السياق، فقال: "سياق: ظروف يقع فيها الحدث أو يساق فيها الكلام"[٢٣]، ويكاد هذا التعريف يتفق مع أسباب النزول، حيث يُفهم منه أنّ هناك وقائع يحتاج النص الخارجي إلى معالجة هذا الحدث بعكس تعريف السجلماسي فالسياق مظهر لمقصد الكلام.

القول السادس: السياق: "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقى ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على

ويدس اعتزالياته في ثنايا كلامه دسا، أكثر من التصنيف، فمن مصنفاته الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة في اللغة، والمفصل في النحو والمنهاج في الأصول، ورؤوس المسائل في الفقه، وغيرها، توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر: معجم الأدباء، ج٥، ص ٤٨٩، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٥١، وفيات الأعيان وإنباء الزمان لابن خلكان. ج٥، ص١٦٧، طبقات المفسرين للداودي، ج٢، ص٣١٤.

[٢١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٣١٧.

[٢٢] **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، ص١٨٨. منقول من بحث رسالة ماجستير لطالبة: تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، تخصص التفسير وعلومه، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ، عنوان الرسالة: (أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيلت قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام)، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين. غير أن هذه الرسالة لم ترتب بأرقام الصفحات.

[٢٣] د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ج٢، ص١١٣٩.

معنى وغاية الفقرة بأكملها"[٢٤]. وكما يبدو فإن هذا التعريف كأنّه ركز بشكل أكثر على تلك المسائل اللغوية حسب مذهب معيّن.

القول السابع: السياق: "المقصود بالسياق هو التوالي، ومن ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين: أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة تسمى السياق (سياق النص). والثانية توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ تسمى السياق سياق الموقف"[٢٥].

القول الثامن: السياق هو: "قرينة توضح عن المراد لا بالوضع، تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"[٢٦]

القول التاسع: هو أنّ "السياق: هو الظرف الذي سيقت فيه الكلمة أو الجملة المراد فهمها"، وهذا الظرف (وهو كل ما أحاط بالنص من قرائن) يحدد المراد من النص[٢٧].

الخلاصة في تعريف السياق اصطلاحاً

من خلال ما تقدم من مفهوم السياق اصطلاحاً تبيّن أنّه ينقسم إلى أقسام كما سيتعرض البحث إلى دراسة تلكم الأقسام في المطلب الآتي، وأنّ استيعاب السياق بنواحيه له أثرٌ كبير في فهم النص ومقصده، لأنّه الدال على مراد المتكلم من كلامه، ومرشدٌ إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وهو العماد الأول للمفسر بأن يلقي نظره إليه حتى يتضح له التفسير، والطريق الأساسي لإيضاح الأخبار الواردة وتمييزها، وخاصة في هذا العصر الراهن الذي قلت صفتيّ الصدق والأمانة، فيكون السياق هو الطريق القوي لتأكيد الخبر وتثبيته، وأنه المساعد لمعرفة كل ما يحيط بالنّص من قرائن وأسباب وأحداث.

---

[٢٤] إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، (تونس: المؤسسة العربية المتحدين، التعاضدية العالمية، د.ط، ١٩٨٦م)، ص٢٠١-٢٠٢.

[٢٥] تمام حسان، **اجتهادات لغوية**، (القاهرة، عالم كتب، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧)، ص٢٣٧.

[٢٦] يوسف خلف محل العيساوي، **أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية** (القاهرة، ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٠هـ)، ص٣٥٢.

[٢٧] ياسر أحمد الشمالي، **السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي– حديث: «من تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعاً» نموذجاً**، ص١٩٥.

المطلب الثاني: أقسام السّياق

تمهيد

يعد السياق من الأدوات الأساسية في فهم وتفسير النصوص بشكل صحيحٍ ودقيق، سواء كانت نصوصًا دينية أو فكرية أو أدبية، فيعكس السياق السياق العام والمحيط الذي يظهر فيه النص، حيث يساعد على الكشف عن المعنى الحقيقي والكامل له، لذا فإن دراسة السياق ليست مجرد تفصيل من التفاصيل، بل هي من الأمور الجوهرية التي تضمن الوصول إلى الفهم السليم لمقاصد النصوص.

أقسام السياق

يتنوع السياق بحسب مجاله واستخداماته، ويمكن تقسيمه إلى عدة أقسام، كل منها يحمل دورًا مهمًا في تفسير النصوص، ومن أبرز أقسام السياق:

السياق اللغوي، الذي يهتم بالكلمات وترتيبها في النص لفهم معانيها، والسياق التاريخي الذي يستند إلى الظروف والأحداث التي سادت في فترة نزول النص أو حدوث الحدث، بالإضافة إلى السياق الاجتماعي الذي يركز على البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيش فيها الأفراد في تلك الفترة، كما نجد السياق الثقافي الذي يعكس التأثيرات الثقافية التي قد تؤثر على فهم النص وتفسيره.

ومن خلال هذا التمهيد، نسعى إلى توضيح أهمية هذه الأقسام المتعددة للسياق، وكيف أن كل قسم يساهم في تعزيز الفهم الشامل للنصوص، سواء كانت نصوصًا قرآنية أو غيرها، بما يتيح للقارئ أو المفسر الوصول إلى المعاني الدقيقة التي قد تكون مخفية وراء الكلمات إذا تم فحص النص بمعزل عن سياقه.

وفي الحقيقة، فإن أهل الاختصاص من علماء اللغة قسّموا السيّاق الذي يرتبط باللغة إلى قسمين: – سياق لغوي verbal context – linguistic context.

– وسياق غير لغوي contextnon- linguistic.[٢٨]

الأول: السياق اللغوي أو المقالي: وهو الذي يطلق عليه السياق اللساني الذي يتخذ من اللغة مادة له، أي هو: «البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب»[٢٩]، ويراد به أيضا: نسق الكلام وارتباط الكلمات في السياق بعلاقتها بما قبلها وما بعدها، مما يساعد على استيضاح المعنى»[٣٠] إذاً فالسياق اللغوي يتناول البناء الداخلي للغة من دون الرجوع إلى الموقف الاجتماعي، فهو بهذا يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة أو في الجملة بنفسها بغير دلالة اللفظ إلى دلالة أخرى غير معروفة له، مثلاً في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بعصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة:٦٠]، فدلالة كلمة اضرب في سياق الآية تعني الإصابة، أي إصابة الحجر بالعصا، بينما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ [النساء:١٠١]، دلالة كلمة ضرب حسب سياقها في الآية جاءت بمعنى (سافرتم) وكذلك في قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ [الكهف:١١]، فمعناها (أنمناهم)، أما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى**﴾ [طه:٧٧]، فجاءت بمعنى اجعل لهم طريقاً في البحر[٣١]، فدلالة كلمة (ضرب) تنوعت واختلفت بين الإصابة، والسفر، والنوم، والجعل، وذلك لتنوع السياقات اللسانية التي وردت

---

[٢٨] انظر: المرجع السابق: إيهاب عبد الحميد عبدالصادق سلامة، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، ص٣٣.

[٢٩] عرفات فيصل المناع، **السياق والمعنى**، دراسة في أساليب النحو العربي، (لندن: مؤسسة السياب، ط١، ٢٠١٣، ص١٣. منقول: (**دور السياق الاجتماعي في استنباط الأحكام الشرعية من آيات الأحكام الربع الأول من القرآن الكريم أنموذجاً**)، ص١٢. مذكرة مكملة لحصول شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي نظام_ تخصص علوم القرآن، لباحث الطالب: عياد كركود، ٢٠١٦م ٢٠١٧م

[٣٠] سمير داود سليمان، الدلالة السياقية في سورة الإسراء، جامعة البصرة، كلية الآداب، ص١٣١– ١٣٢، ومنقول من كتاب: (**دور السياق الاجتماعي في استنباط الأحكام الشرعية من آيات الأحكام الربع الأول من القرآن الكريم أنموذجا**)، ص١٢. مذكرة مكملة لحصول شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي نظام_ تخصص علوم القرآن، لباحث الطالب: عياد كركود، ٢٠١٦م ٢٠١٧م

[٣١] أحمد حساني، **مباحث في اللسانيات**، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤، ص١٥٦. منقول..

فيها، وينطبق هذا التحول على أغلب المداخل المعجمية التي تكون الرصيد المعجمي للسان العربي[٣٢].

وينطبق نفس المفهوم بالتفصيل للسياق اللغوي الذي ذكره الشيخ ياسر أحمد الشمالي فقال: السياق اللغوي هو: "الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة فيفهم المعنى بالنظر إلى الأسلوب الذي اكتنف العبارة بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام"[٣٣].

هذا وقد تكون للجملة معاني محتملة، فيأتي الأسلوب اللغوي الذي سيق النص رافعاً للاحتمال، كما يحدد المعنى المراد من الجملة، مع الاستعانة ببعض القرائن السياقية، فيفهم معنى الكلمة بالنظر إلى الصورة المتكاملة في ظل النص كله، ويهتم السياق اللغوي بكل ما في داخل النص حتى يعرف بالسياق الداخلي أحياناً، ومثال لبيان هذا النوع من السياق اللغوي: هي تلك الألفاظ المشتركة الدلالة، فإن تلك الألفاظ لا يمكن تحديد معاني المراد منها إلا بواسطة السياق الذي جاءت فيه؛ فمثلاً كلمة (الأمة) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ**﴾ [الأعراف:١٦٤]، بمعنى الجماعة، فهذا المعنى الموجود في هذه الآية ليست هي نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ** ﴾ [هود:٨]، وتعني: المدة الزمنية، وكلتا الآيتين معنى الأمة غير ما جاء في قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾ [الزخرف:٢٢]، وتعني: الطريقة، فالكلمة المشتركة هنا جاءت بمعاني مختلفة لاختلاف السياقات في الجمل، وبالنظر إلى ما قبل النص وما بعده من القرائن يتضح المقصود في النصوص، والأمثلة في ذلك كثيرة[٣٤].

ويوجد تحت هذا القسم أنواع سوف نتعرف على ذلك فيما بعد.

---

[٣٢] المرجع السابق، (**دور السياق الاجتماعي في استنباط الأحكام الشرعية من آيات الأحكام الربع الأول من القرآن الكريم أنموذجا**)، ص١٣. مذكرة مكملة لحصول شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي نظام_ تخصص علوم القرآن، لباحث الطالب: عياد كركود، ٢٠١٦م ٢٠١٧م.

[٣٣] ياسر أحمد الشمالي، **السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي– حديث: «من تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعاً» نموذجا**، ص١٩٥. منقول من دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٨، العدد ١، ٢٠١١.

[٣٤] انظر: المرجع السابق، ص١٩٥-١٩٦.

الثاني: السياق غير اللغوي أو السياق الخارجي

يشير السياق غير اللغوي إلى العوامل والظروف التي تحيط بالنص أو الموقف دون أن تكون مرتبطة مباشرةً بالكلمات نفسها أو تركيب الجمل، ويتعلق السياق غير اللغوي بالبيئة الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، والسياسية التي يُستقبل فيها النص أو الفعل، ويشمل أيضًا الأبعاد المكانية والزمانية، ويكون لهذا النوع من السياق تأثير كبير على فهم المعنى الحقيقي للنصوص والأحداث.

أمثلة على السياق غير اللغوي

١. السياق الاجتماعي:

- ويشير إلى العلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين الأفراد في مجتمع معين، مثلاً: في تفسير القيم الأخلاقية مثل الصدق أو الأمانة، يجب أخذ الوضع الاجتماعي والطبقات المختلفة في الحسبان.

مثال: مفهوم "العدالة" في المجتمع والذي يمكن أن يختلف بحسب الوضع الاجتماعي والتاريخي، ففي المجتمعات القديمة مثل المجتمع العربي في عصر الجاهلية، كانت العدالة تُفهم بشكل مختلف عن المفهوم المعاصر للعدالة في المجتمعات الديمقراطية.

٢ .السياق الثقافي:

- يشمل القيم والعادات والتقاليد التي تسود في مجتمع ما، ويتطلب فهم النصوص الدينية أو الأدبية مراعاة العوامل الثقافية التي تؤثر على تفسير تلك النصوص.

مثال: في ثقافات معينة قد يُنظر إلى فعل معين بشكل إيجابي، في حين يُنظر إليه بشكل سلبي في ثقافات أخرى، فعلى سبيل المثال: التعامل مع قضية المرأة في القرآن الكريم يتم فهمه بشكل مختلف إذا ما تم النظر إليه من خلال السياق الثقافي للمجتمع المعاصر مقارنةً بالسياق الثقافي في زمن نزول الوحي.

٣. السياق الزماني والمكاني:

- ويشمل الوقت والمكان الذي يحدث فيه الحدث أو يُقال فيه النص، حيث تختلف المعاني والتفسيرات تبعًا للزمان والمكان الذي يحيط بالنص أو الحدث. مثال: الآية القرآنية التي تتعلق بالحج تتطلب فهمًا للزمان والمكان، فالحج في مكة له سياق مكاني وزماني خاصٌ يعكس الظروف الدينية والروحية في ذلك الوقت والمكان.

الخلاصة

يعزز السياق غير اللغوي من القدرة على فهم النصوص والظواهر بشكل شامل ودقيق، وإذا تم تجاهل هذا السياق، فقد تُفهم النصوص بشكل مشوّه أو مغلوط، لذا فإن أخذ هذه العوامل في الحسبان ضروريٌ لفهم أعمق وأصوب للنصوص القرآنية.

المطلب الثالث: تعريف السياق الاجتماعي

تمهيد

يعد السياق الاجتماعي أحد العناصر الأساسية التي تؤثر في فهم النصوص والأفكار والممارسات داخل أي مجتمع، حيث يتأثر النص أو الحدث بشكل كبير بالبيئة الاجتماعية التي يحدث فيها، والتي تشمل العلاقات بين الأفراد والجماعات، والأدوار الاجتماعية، والقيم الثقافية، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة في ذلك الوقت، لذا فإن الفهم العميق لأي نصٍ أو فعل يتطلب إدراك السياق الاجتماعي الذي يتم فيه، حيث يشكل هذا السياق الخلفية التي تساهم في تشكيل معاني الكلمات والأفعال.

وفي المجال الديني مثلًا يعكس السياق الاجتماعي البيئة التي نزل فيها الوحي، أو حدث فيها النص، مما يساعد على تفسير النصوص بشكلٍ يتماشى مع الظروف الاجتماعية آنذاك، وهذا الأمر ينطبق على المجالات الأخرى مثل الأدب أو التاريخ، حيث يكون السياق الاجتماعي حيويًا لفهم الشخصيات والأحداث والمواقف بشكل صحيح.

وفي هذا التمهيد، سنستعرض أهمية السياق الاجتماعي في تفسير النصوص القرآنية، والنصوص الفكرية عمومًا، ونوضح كيف يؤثر في فهم القيم والأحكام التي يمكن استنباطها من هذه النصوص، وسيكون الهدف هو إبراز دور البيئة الاجتماعية في تشكيل المعاني، وكيفية تأثيرها على فهمنا للأحداث والمفاهيم.

السياق الاجتماعي: (الثقافي) أو ما يُسمى بسياق الحال[٣٥]: وهو معرفة مجموعة من الظروف التي تحيط بالكلام، أي أن تحديد المعنى المقصود لا يتم إلا بمعرفة هذه الظروف[٣٦]. وتحتاج إلى التعرض بالمحيط الزماني والمكاني للحدث، ويحتوي على الموقعين الزماني والمكاني للحدث الكلامي الناتج عن المتكلم، والمخاطب، والظروف المحيطة[٣٧]. والسياق الاجتماعي ليس إلا تلكم المعالم التي تميّز العالم الخارجي والتي تعطي معنى للكلمة المنطوقة أو النّص، أو هو كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، وتتمثل في الأمور الآتية:

- الظروف الاجتماعية.
- الظروف النفسيّة.
- الظروف الثقافيّة للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضا، وهذا المصطلح أول من استخدمه في إنجلترا (مالينوفيسكي) وهو الذي اعتبر سياق الحال جزءاً من العمليّة الاجتماعيّة التي يتمركز فيها الحدث الخطابي، ويقدر التأثير فيها تأثيراً جذريّاً[٣٨]. ويكشف هذا المفهوم سمات سياق الحال وخصوصيّته، ودور ذلك في التّعامل مع الكلمات العربية من منطوقها ومفهومها، فالسياق الاجتماعي هو ركن أساسي في فهم ما يدور في الواقع، وتفسير معطيات ذلك ترجع إلى الاعتماد والنظر إلى الظروف الموجودة في المجتمع.

---

[٣٥] هو: "الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته". د. محمد التونجي، **المعجم المفصّل في الأدب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٩م)، ص١٩٢.

[٣٦] انظر: د. عبده الراجحي، **فقه اللغة في الكتب العربية**، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ط، د.ن)، ص١٦٧.

[٣٧] انظر: د. محمد شعبان عبدالحميد، **المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ط١، ٢٠٠٧م)، ص١١.

[٣٨] المرجع السابق، ص١٢.

- ويُعنى السّياق الثقافي بتحديد المحيط الثقافي الذي نشأ فيه النَّصُّ، فكل عصر له ثقافته –الاجتماعية والسياسية والدينية– التي تميزه عن غيره من العصور، واللغة، بوصفها انعكاسا لهذه الثقافة أو تلك التي تحتوي هي الأخرى على خصوصيتها، فبعض الكلمات أو العبارات قد تحمل مدلولات سياسية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية تتغير من عصر إلى آخر، فاللغة تأثرت بالمجتمع وأثرت فيه، فوجدت بينهما علاقة قوية لا يستطيع أي شخص أن ينكرها، وتتأثر بكل الظواهر الاجتماعية تأثرًا واضحا، فهي بدوية في المجتمع البدوي، وفي مثل هذا المجتمع تكون محدودة الألفاظ والتراكيب والخيال، وتفتقر إلى المرونة، ولا تتسع لكثير من فنون التعبير وعلى العكس من هذا نجدها في المجتمعات المتقدمة، وعليه فـ لا يمكن فهم اللغة، وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين؛ لأن فيها من الإنسان فكره، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه[٣٩].

تفسير الآيات وربطها بالسّياق الاجتماعي حسب الموضوعات: قدّم لنا محمد عبدالله نماذج كثيرة للآيات التي لها علاقات بالمسائل الاجتماعية، وذلك عند كلامه عن الحياة الزوجيّة، ومن تلك الآيات:

أولاً: الروابط المقدسة والمحترمة، قال تعالى مبيّناً ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النّساء: ١]. فتدعو هذه الآية الأفراد إلى مسؤولية عظيمة تجاه الله تعالى في كيفية التعامل مع العلاقات الأسرية، فالفرد هنا مدعو إلى تقوى الله، والعمل بمقتضى هذه المسؤولية في حياته الاجتماعية، وخاصة في النطاق العائلي.

ثانياً: الزواج له غايات منها: السلام الداخليّ، والمودّة، والرحمة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١]. ومنها: تكثير النّسل، فقال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**

---

[٣٩] د. عرفات فيصل المنّاع، **السيّاق والمعنى دراسة في أساليب النّحو العربي**، (لندن: مؤسسة السياب، ط١، ٢٠١٣م)، ص٢٦-٢٧.

بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النّحل: ٧٢]. تبرز هذه الآيات المسؤولية الفردية تجاه احترام هذه الغايات الروحية والعاطفية في الزواج، ويُتوقع من كل فرد أن يسعى لتحقيق هذه القيم السامية مع شريك حياته.

ثالثاً: أن تكون هناك مساواة في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾** [البقرة: ٢٢٨]. تؤكد هذه الآية أن المسؤولية الفردية لا تقتصر فقط على حقوق الفرد، بل تشمل أيضًا واجباته تجاه الآخر، وتؤسس هذه الآية مسؤولية فردية في إطار العدالة والمساواة بين الجنسين، وهو ما يتطلب من كل فردٍ أن يلتزم بمسؤولياته دون تمييز.

رابعاً: أن يكون بين الزوجين تعامل إنسانيٌّ، قال تعالى: ﴿**وَأْتَمِرُوا بينَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾** [الطلاق: ٦]، فوجود هذا التّعامل الإنساني ينفي عنهما التّنازع والتّنافر[٤٠]. وهذا الخطاب هو دعوة للقيام بتعاملات إنسانية بين الزوجين، وهو مبدأ يمكن تطبيقه على مستوى المجتمع ككل، حيث يُتوقع من الأفراد والمجتمعات التفاعل مع بعضهم البعض بروح من الإحسان والرحمة.

والتوجيه في الآيات المتعلقة بالزواج يقدم نموذجًا اجتماعيًا يجب أن يعمل الجميع به، أي عندما يُذكر في القرآن أن الزواج علاقة مقدسة تسهم في تكوين الأسرة، فإن ذلك يُلقي **مسؤولية جماعية** على المجتمع بأسره، لتوفير بيئة تدعم هذه القيم.

خلاصة المطلب الثالث: تعريف السياق الاجتماعي

يُعد السياق الاجتماعي عنصرًا جوهريًا في فهم النصوص، إذ يحيط بالكلمة أو الحدث منظومة من الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية التي تشكل المعاني وتوجه الفهم. ويؤثر هذا السياق في كيفية إدراك النصوص، سواء أكانت دينية أم فكرية أم أدبية، ويُسهم في توجيه الأفراد نحو السلوك الذي يتلاءم مع الواقع المعاش.

في المجال الديني، تتجلى أهمية السياق الاجتماعي في تفسير النصوص القرآنية وربطها بواقع الناس، إذ لا يمكن إدراك معاني الآيات بعيدًا عن ظروف نزولها وأحوال المخاطَبين بها. وقد

---

[٤٠] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢١٦-٢١٧.

أوضح محمد عبد الله دراز ذلك من خلال نماذج قرآنية تتناول قضايا اجتماعية مثل الزواج والعلاقات الأسرية، حيث تُظهر الآيات مسؤولية الفرد الأخلاقية والاجتماعية ضمن سياق تكاملي، يعزز قيم المودة، والرحمة، والعدالة، والتفاهم داخل الأسرة والمجتمع.

ومن الناحية الثقافية، يؤكد البحث أن اللغة ذاتها تتأثر بالسياق الاجتماعي، وتعبّر عنه، مما يجعل من المستحيل فهم مفردات النصوص وتطورها خارج إطار الزمان والمكان والمجتمع الناطق بها .فاللغة في المجتمعات البدوية مثلًا تختلف في طبيعتها ووظيفتها عن اللغة في المجتمعات المتقدمة، مما يعكس العلاقة العميقة بين اللغة والثقافة والسياق.

وعليه، فإن فهم السياق الاجتماعي لا يُعد أمرًا ثانويًا في تفسير النصوص، بل هو أساس في تحليل المعاني، واستخلاص الأحكام، وتحديد المسؤوليات الفردية والاجتماعية .إنه الإطار الذي يُعيد للنصوص حيويتها وواقعيتها، ويحولها من مجرد خطاب جامد إلى منظومة سلوكية أخلاقية متفاعلة مع الإنسان والمجتمع في مختلف العصور.

المبحث الثاني: السياق الاجتماعي ومقصد النية (الأخلاق الفردية) من خلال القرآن

تمهيد

يتبيّن بعد الدراسة أنّه لا يخفى على أحد أنّ القرآن قد راعى السّياق الاجتماعي من خلال نزوله، وخاصة فيما يتعلق بأحكام النية ومقصدها، ومعروف أنّ القرآن كان سبب نزوله متمثلاً في إرشاد العباد لمعرفة ربهم، وعبادتهم إياه حق العبادة، فشرع لهم الشرائع، وأنزل لهم الأحكام والعقائد، وبيّن لهم طريق الرشاد، ومن المقاصد التي جاء بها القرآن: النية، وتهذيب الأخلاق، والتشريع الذي فيه الأحكام الخاصة والعامة، وسياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها، ومن ذلك القصص وأخبار الأمم لمعرفة صالح أحوالهم، ثم التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وكذلك المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد، والمحاجة والمجادلة للمعاندين، ومنه

الترغيب والترهيب، والإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدقه ﷺ، ونجد أن القرآن جاء بهذه المقاصد الأصلية كمنهج حياة للمكلفين، لأجل نجاتهم في الدارين[٤١].

المطلب الأول: دور السياق الاجتماعي في توجيه الأخلاق الفردية

تمهيد

السياق الاجتماعي هو الذي يسمى بالمقام، وتدخل فيه أسباب النزول، وأسباب ورود الحديث، والظروف النفسية والاجتماعية السائدة في وقت ورود النص الشرعي[٤٢]. وقد كان للقرآن الكريم سياقٌ تنزيليّ تاريخي اقترنت فيه الآيات نزولاً بملابسات ووقائع في السياق الاجتماعي للأمَّة زمن البعثة[٤٣]. فالسياق الاجتماعي كما يعرضه البحث فيما سبق، يتعامل مع مجموعة من العلاقات الاجتماعية وتوعيته بين المشتركين، ويعنى بكل العادات والتقاليد والأعراف المرتبطة بنشاط المجتمع ومنه يمكن القول بأن السياق الاجتماعي حصيلة الظروف الاجتماعية والطبيعية والنفسية السائدة وقت صدور الخطاب، والتي يُتوقعّ أن يكون لها تأثير في صيغة الخطاب وتوجيهه وفهمه[٤٤]. وهذا من خلال ما يسمى بعلم المناسبة، وأسباب النزول، ولهذا فإن المفسرين وضعوا شروطاً للمفسر حتى يتمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيراً سليماً؛ وهذه الشروط تمثل في مجملها: أركان السياق الحالي، ومعرفة أسباب النزول، أي لأحداث والوقائع والملابسات للنص القرآني، ولا شك أن استحضارها يعين على فهم معاني الآيات، وهو ما نبه إليه أئمة التفسير، وبهذه المعرفة يزول الإشكال والغموض في كثير من النصوص القرآنية[٤٥]. وعلى ضوء العرض التمهيدي سيتعرض البحث بذكر شواهد تطبيقاً لهذا المطلب:

---

[٤١] انظر: **دور السياق الاجتماعي في استنباط الأحكام الشرعية من آيات الأحكام الربع الأول من القرآن الكريم أنموذجا)**، ص٣٦.

[٤٢] نعمان جغيم، **طرق الكشف عن مقاصد الشارع**، (عمان: دار النفائس، ط١، ٢٠١٤) ص٩٢.

[٤٣] محمود توفيق محمد سعد، **العزف على أنوار الذكر – معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة**، الكتاب آلي. ص٢٧.

[٤٤] نعمان جغيم، **طرق الكشف عن مقاصد الشارع**، ص٩٥.

[٤٥] انظر: المرجع السابق، ص٤٧. يحتاج التحليل

الأول في الأوامر: النموذج في ذلك من النصوص

موضوع تعليم عام: لابد من توفر العلم والدراية قبل فعل أي شيء تريد أن تقوم به في حياتك، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٣٤]. فتكلمت الآية السابقة عن مسألة تكذيب المشركين لنبوءة محمد ﷺ وإنكارهم أنه مرسل من عند الله لزعمهم أنه بشر، فلا يليق أن يكون سفيراً بين الله والنّاس، فجاءت هذه الآية في سياق اجتماعي خاص بها، فالخطاب في الآية تعريضاً بالمشركين، ولذلك التفت إلى خطابهم بقوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ ثم أشهد على المشركين بشواهد الأمم الماضية، وأقبل عليهم بالخطاب توبيخاً لهم، لأن التوبيخ يناسبه الخطاب، لكونه أوقع في نفس الموبّخ، فاحتج عليهم بقوله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٣٤]. فهذا احتجاج بأهل الأديان السابقين من أهل الكتب كاليهود والنصارى والصابئة[٤٦].

الثاني. جهد أخلاقي

قال تعالى: ﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ [البلد:١٦]، يتبيّن لنا من سياق الآية الاجتماعي أن هذه السورة مكية في قول الجمهور[٤٧]، وفي قول أنها: مدنية، ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر، وما آل إليه حاله وحال المؤمن، أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل إليه في الآخرة، والإشارة لهذا البلد إلى مكة[٤٨].

---

[٤٦] انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤)، ج١٤، ص١٦١.

[٤٧] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ج٥، ص١٣٣.

[٤٨] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ)، ج١٠، ص٤٧٩.

الثالث: الجانب الاجتماعي للمسئوليّة

يرى ابن حزم[٤٩] رحمه الله بروحه الاجتماعية التي أدركها من طبيعة الدين، أن أفضل الأعمال: ثلاثة متدرجة، وكلها تضع الفرد موضع المسؤولية الاجتماعية: أولها وأهمها: عمل عالم يعلم الناس دينهم؛ وثانيها: الحاكم العادل الذي يشارك رعيته في كل عمل عملوه في ظل عدله وأمن سلطانه؛ وثالثها: مجاهد في سبيل الله، وهكذا تتدرج مراتب العمل عند ابن حزم من أوسع حدوده الاجتماعية إلى أصغر المراتب الفردية[٥٠].

ومن وجهة نظر أخرى، يتناول محمد عبد الله دراز الجانب الاجتماعي للمسؤولية في الإسلام، مشيرًا إلى أن شروط المسؤولية الفردية أمام الله تتطلب أن يكون العمل شخصيًا، إراديًا، ومبنيًا على وعي ومعرفة، ومع ذلك تتغير هذه الشروط عندما يتعلق الأمر بالمسؤولية تجاه المجتمع، حيث تصبح العلاقة بين الفرد والمسؤولية أقل تحديدًا، ويوضح النص الفرق بين المسؤولية الإصلاحية (المدنية) التي تتسم بالمرونة، والمسؤولية الجزائية (العقابية) التي تظل مرتبطة بالأخلاق، وتتطلب البلوغ والعقلانية، ويشير إلى دراسة بول فوكونيه التي أوضحت أن هذا التحديد الدقيق للمسؤولية في المجتمعات الأوروبية له أصول حديثة نسبيًا، مستندة إلى أمثلة من شعوب ومجتمعات متنوعة تاريخيًا[٥١].

ثم يشير الأستاذ دراز من خلال حديثه عن المسؤولية الاجتماعية إلى أن الأطفال المعتوهين والحيوانات كانت تُعتبر مسؤولة عقابيًا في بعض المجتمعات القديمة، حيث تمت محاكمة الحيوانات والأشياء كما لو كانت مسؤولة عن أفعالها، فيذكر أن هذه المسؤولية لم تكن ظاهرة بدائية، بل استمرت حتى في الحضارات الكبرى مثل بني إسرائيل، واليونان، وروما، حيث كانت الحيوانات تُعاقب على أفعالها، كما في مثال الثور القاتل الذي يُرجم حسب أوامر التوراة، أو

---

[٤٩] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، **رسائل ابن حزم**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الجزء: ١ – الطبعة: ١، ١٩٨٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ٢، ١٩٨٧، الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٨١، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٨٣) ج٣، ص٣١.

[٥٠] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠-١٩٨٣)، ج٣، ص٣١.

[٥١] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٢.

يُقتل وفقًا لأفلاطون، وتُظهر الدراسة أيضًا أن هذه الظاهرة تطورت في أوروبا المسيحية، حيث شهدت فرنسا في القرن الثالث محاكمات ضد الحيوانات[٥٢].

ثم تناول محمد عبد الله دراز مسألة معالجة الضمير الإنساني للأطفال والمجانين، حيث لم يُنظر دائمًا إليهم نظرة ظلم في الجزاء، وفي قانون الألواح الاثني عشر، كانت مسؤولية الأطفال غير البالغين مخفّفة، ولكن ليست باطلة تمامًا، وتم تطوير القوانين لاحقًا ليُعفى الأطفال الصغار من العقوبات رغم وجود حالات نادرة مثل إعدام طفل في الثامنة من عمره في إنجلترا، كما كانت العقوبات ضد المجانين تخفف في فرنسا من قبل البرلمان، إلا أن الاعتداء على الذات الملكية لم يشمل تخفيفًا للعقوبة، وبالتالي يظهر أن تقليص العقوبات ليقتصر على الإنسان البالغ السوي هو تطور متأخر في المسؤولية القانونية[٥٣].

أما في القانون الصيني القديم فكانت العقوبات تتنوع بين الإعدام والنفي والعقوبات البدنية مثل الجلد، فعلى سبيل المثال: خلال فترة أسرة تانغ (٦١٨–٩٠٧ م)، كان قانون تانغ يحدد خمس عقوبات رئيسية من بينها النفي والجلد[٥٤]. وفي التوراة، كان يُعاقب القاتل غير العامد بالنفي، ويجوز لصاحب الدم قتله إذا غادر المنفى قبل انتهاء المدة[٥٥]. وفي القانون الكنسي كانت تُفرض كفارات قاسية للتكفير عن الخطايا غير الإرادية بسبب الجهل[٥٦]. أما في إنجلترا،

---

[٥٢] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٣.

[٥٣] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٥.

[٥٤] https://wikipredia.net/ar/Law_of_the_People%٢٧s_Republic_of_China. قانون جمهورية الصين الشعبية، شوهد بتاريخ: ٠٨ فبراير ٢٠٢٥. الساعة: ٥:٢٩ مساءً.

[٥٥] هذا ما ورد في سفر العدد ٣٥:٢٦–٢٨: "ولكن إن خرج القاتل من حدود مدينة ملجئه التي هرب إليها، ووجده ولي الدم خارج حدود مدينة ملجئه، وقتل ولي الدم القاتل، فلا يكون له دم. لأنه في مدينة ملجئه يمكث إلى موت الكاهن العظيم. وأما بعد موت الكاهن العظيم فيرجع القاتل إلى أرض ملكه." هذا النص يؤكد أن القاتل غير المتعمد يجب أن يبقى في مدينة الملجأ لحمايته، وإذا غادرها قبل الوقت المحدد، يمكن لولي الدم أن يقتله دون أن يُحاسب على ذلك. انظر: قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية. شرح كلمة قتل، يقتل، قاتل، مقتلة. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-٠٠٢-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/٢١_KAF/KAF_٠٢٠.html تمت المشاهدة في تاريخ: ٢٠٢٥/٠٢/٠٨، الساعة: ٥:٣٣.

[٥٦] بالنسبة للخطايا غير الإرادية الناتجة عن الجهل، كان يُنظر إليها بقدر من التسامح، ولكنها لم تكن تُعفى تمامًا من الكفارة. فقد كان يُطلب من المؤمن تقديم بعض الأعمال التكفيرية للتطهير والتقرب إلى الله، مع مراعاة أن تكون هذه

حتى أوائل القرن التاسع عشر، فكان القاتل غير المتعمد يُدان، وتُصادر ممتلكاته، إلا إذا تدخل الأمير برحمتهم، وهو ما كان يحدث أيضًا في القانون الفرنسي القديم[٥٧].

وفي التصور الإسلامي، يرى الأستاذ دراز أن قصر الجزاء العقابي على الإنسان البالغ السوي لا يعد حديثًا في العالم الإسلامي، بل إنه قديم منذ أكثر من ١٣ قرنًا، فقد أكد النبي ﷺ على أن الأطفال غير مسؤولين حتى يبلغوا، والمجانين حتى يبرأوا، وبالتالي لا يُعاقب الأطفال ولا المجانين، ولا حتى الحيوانات التي ذكرها النبي ﷺ في قوله: "العجماء جبار"[٥٨]. فهذا إنما أريد به ما جنت العجماء، مما لا صنع فيه للراكب، لأنها بهيمية لا تتكلم، وقد ورد في صحيح ابن حبان بابٌ بعنوان: ذِكْرُ الإِخْبَارِ عَنْ نفْيِ لُزُومِ الْحَرَجِ عَنْ مَالِكِ الْعَجْمَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا سَائِقٌ، أَوْ قَائِدٌ، أَوْ رَاكِبٌ بِمَا أَتَتْ عَلَيْهِ[٥٩]. وبهذا لا مسؤولية عليها، ولا مسؤولية عن راكبها، كما أن المدرسة الظاهرية تذهب إلى أبعد من ذلك، حيث ترى أنه يجب إعفاء أصحاب الحيوانات والأطفال والمجانين من المسؤولية والعقوبة[٦٠].

ومهما يكن من أمر، فإن المسؤولية العقابية تتشابه مع المسؤولية الأخلاقية في جوانب عديدة، لكنها تتميز عنها بسمات جوهرية، فالمسؤولية الأخلاقية تركز على النوايا وحركة الضمير، ولا يمكن للعمل البدني أو الإرادي وحده أن يُنشئها دون النية، أما المسؤولية العقابية فتستهدف الواقع الخارجي، وتعتمد على التعبير المادي للفعل، حيث لا تكفي النوايا وحدها –سواء كانت خيّرة أو سيئة– لفرض حكم قانوني دون وجود فعل مادي ملموس[٦١].

الكفارات أقل صرامة مقارنةً بتلك المفروضة على الخطايا العمدية. انظر: **كتاب المسؤولية الجنائية: أساسها وتطورها – دراسة مقارنة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية**، محمد إمام. https://n٩.cl/ey٥tw

[٥٧] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٦.

[٥٨] انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، ج٢، ص٥٠. كتاب الزكاة، بَابُ فِي الرِّكَازِ الخُمُسُ، رقم الحديث: ١٤٩٩.

[٥٩] أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٢)، ج٤، ص٤٠٧.

[٦٠] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٧–٢٢٨.

[٦١] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٢٩.

فالعقوبة على الخطأ غير المقصود تُوسّع الفجوة بين المسؤولية الاجتماعية والمبدأ الأخلاقي، مما يضع الفرد في موقف تعيس لا يستحقه؛ ولأن المجتمع مسؤول عن رفاهية أفراده، فإن الإسلام يدعو إلى التضامن من خلال تخصيص موارد لمساعدة الأفراد في مواجهة البؤس غير المتوقع، مثل سداد ديون المدينين من مصارف الزكاة ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٠]. وهذا التعاون يُبنى على الإنصاف، حيث تُوزع التكاليف وفق إمكانيات كل فرد، وليس بالتساوي العددي، لضمان عدم إرهاق أحد[٦٢].

خلاصة المطلب الأول: دور السياق الاجتماعي في توجيه الأخلاق الفردية

يُبرز هذا المطلب أهمية السياق الاجتماعي في فهم وتوجيه الأخلاق الفردية في الإسلام، حيث يتبين أن النصوص الشرعية – قرآناً وسنة – نزلت ضمن سياقات اجتماعية ونفسية وتاريخية معينة، مما يجعل فهمها السليم مرهونًا باستحضار تلك الملابسات. فالسياق، بما فيه من أسباب نزول، وظروف بيئية، وعلاقات اجتماعية، له أثر بالغ في تشكيل معاني النص وتحديد مقاصده الأخلاقية.

يتضح ذلك من خلال أمثلة قرآنية، مثل الأمر بالتعلم في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، والذي جاء ضمن سياق توبيخي للمشركين، وكذا الدعوة إلى الجهد الأخلاقي عبر تخفيف المعاناة عن الآخرين كما في سورة البلد، ما يعكس أن الأخلاق في الإسلام ليست مجرد مبادئ نظرية، بل مرتبطة بواقع اجتماعي حيّ يُوجِّه سلوك الأفراد.

كما ناقش المطلب الجانب الاجتماعي للمسؤولية من خلال آراء ابن حزم ومحمد عبد الله دراز، مبرزًا أن المسؤولية تتفاوت بين أخلاقية وقانونية، وتُبنى على النية والوعي والإرادة، ويُراعى فيها السن والعقل والإدراك. ويُظهر الإسلام ريادة واضحة في التمييز المبكر بين البلوغ العقلي وتحمل المسؤولية، مقارنةً بالتطور المتأخر لهذه المفاهيم في بعض الأنظمة القانونية القديمة.

ويشير البحث إلى أن المسؤولية الاجتماعية لا تقتصر على الفرد، بل تمتد لتشمل المجتمع بأسره، من خلال آليات التكافل، مثل الزكاة وسداد ديون الغارمين، بما يحقق العدالة والرحمة معًا. هكذا، يتضح أن السياق الاجتماعي في الإسلام ليس مجرد إطار تاريخي لفهم النص، بل عنصر أساسي في توجيه الأخلاق، وتحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع في تحمل المسؤوليات.

---

[٦٢] انظر: محمد عبدالله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٢٤٠.

المطلب الثاني: مناقشة الأفكار السابقة حول المسؤولية في الإطار الاجتماعي

يمكننا تحليل المسؤولية من خلال تأثيرها على الفرد وارتباطها بالوعي الذاتي والضمير، فمفهوم المسؤولية الفردية يعزز الوعي الذاتي لدى الشخص، حيث يشعر أنه جزء من شبكة اجتماعية أكبر، وبالتالي فإن أفعاله تؤثر على الآخرين، وقد أشار ابن حزم إلى أهمية الأعمال الاجتماعية الكبرى مثل تعليم الدين، والحكم العادل، والجهاد، باعتبارها تحفز الفرد نحو القيام بدوره المجتمعي، وهو أمر يدعمه الضمير البشري باعتباره مكونًا فطريًا نحو تحسين المجتمعات.

علاوة على ذلك، يشير محمد عبدالله دراز إلى أن المسؤولية في الإسلام تختلف من فرد لآخر بناءً على عمره أو حالته العقلية (كالطفل أو المجنون). وهذا يرتبط بالجانب النفسي حيث لا يُحمّل الفرد مسؤوليات تتجاوز قدراته العقلية أو الفطرية، لذا يتناول النص موضوع المسؤولية بذكاء موازنًا بين الحالات النفسية المختلفة التي قد تؤثر على قدرة الأفراد على تحمل المسؤوليات.

ومن الناحية العلمية، يمكن دراسة المسؤولية ضمن مجال علم النفس الاجتماعي وعلم السلوك، فالمسؤولية تتطلب من الأفراد أن يكونوا مدركين للأفعال التي يتخذونها، وهو ما يرتبط بعمليات اتخاذ القرار، وفي الإسلام المسؤولية مرتبطة بالنية والوعي، وهي محورية في فهم أخلاقيات السلوك داخل المجتمعات، وعندما يحدد النص أن المسؤولية العقابية تختلف عن المسؤولية الأخلاقية نرى بأن المسؤولية العقابية تتعلق بالفعل المادي، بينما المسؤولية الأخلاقية تعتمد على النوايا الداخلية.

كما أن الحديث عن الأطفال والمجانين في النص يثير قضية كيفية فهم البشر للقدرة على تحمل المسؤولية بناءً على القدرة العقلية، وهذا يرتبط مع مفاهيم علمية مثل "النضج الإدراكي" و"الوعي الأخلاقي"، وهي عوامل رئيسية في تقييم الأفراد اجتماعيًا وعقابيًا.

ثم من الناحية التربوية، يحمل الحديث عن المسؤولية الاجتماعية في الإسلام عدة رسائل مهمة، بدايةً من تعليم الأطفال أن أعمالهم تؤثر على المجتمع وهو ما يتطلب تعليمًا مبكرًا للضمير الاجتماعي وأخلاقيات التعامل مع الآخرين، فهذه المسؤولية الاجتماعية لا تتوقف عند حدود التعليم، بل تمتد إلى دور الأفراد في المجتمع الأكبر مثل القادة، والمربين، والعلماء.

إضافةً إلى ذلك، إن الدعوة إلى التضامن الاجتماعي والمساعدة في حالات الضيق (كما في الزكاة) تعكس المبادئ التربوية التي تهدف إلى خلق بيئة عادلة ومتعاونة، حيث يساعد الأفراد بعضهم البعض في ظل مسؤولياتهم الاجتماعية، وعلى هذا النحو، يمكن تربية الأفراد على مفهوم أن المجتمع كله مسئول عن رفاهية أفراده، وأن التعاون بين الأفراد هو أساس الاستقرار الاجتماعي.

خلاصة المطلب:

يتناول هذا المطلب مفهوم المسؤولية من جوانب متعددة: فردية، نفسية، اجتماعية، علمية وتربوية. إذ يُظهر أن المسؤولية ليست مجرد التزام خارجي، بل تنبع من الوعي الذاتي والضمير الإنساني، وهو ما يجعل الفرد يشعر بانتمائه إلى المجتمع ويُدرك أثر أفعاله على الآخرين. كما يبرز ابن حزم والشيخ محمد عبد الله دراز أهمية التوازن في تحميل المسؤوليات وفقًا للقدرات العقلية، كعدم مؤاخذة الطفل أو المجنون، مما يدل على وعي إسلامي عميق بالفروق النفسية بين الأفراد.

من الناحية العلمية، ترتبط المسؤولية بعمليات اتخاذ القرار والنية والوعي، وتفريق الإسلام بين المسؤولية العقابية (مرتبطة بالفعل) والأخلاقية (مرتبطة بالنية) يعكس فهماً دقيقاً للسلوك البشري. أما تربويًا، فإن ترسيخ الضمير الاجتماعي منذ الطفولة، وتعزيز مفاهيم التعاون، العدالة، والتكافل —كما في الزكاة — يُسهم في إعداد أفراد قادرين على أداء أدوارهم في بناء مجتمع متماسك. في المجمل، يُقدَّم مفهوم المسؤولية في الإسلام كرؤية شاملة متكاملة تُراعي الفرد والمجتمع معًا، على أسس أخلاقية ونفسية وعلمية متوازنة.

نتائج البحث

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. **أهمية السياق في التفسير**: أثبت البحث أن الشيخ دراز يؤكد على أن فهم القرآن يتطلب فحص السياق التاريخي والاجتماعي لكل آية من الآيات.
٢. **تفاعل النص مع الواقع الاجتماعي**: توصلت الدراسة إلى أن الشيخ دراز تعامل مع القرآن باعتباره نصًا حيًا ومرنًا يمكنه أن يتفاعل مع واقع المجتمع وتحدياته.

٣. **تفسير القرآن في ضوء المعاني الشاملة:** يحرص الشيخ دراز على تقديم تفسير يشمل المعاني الظاهرة والخفية للآيات في إطار السياقات المتعددة.
٤. **التركيز على المبادئ الأخلاقية:** يركز الشيخ دراز على استنباط المبادئ الأخلاقية من القرآن، ويُعنى بتوضيح كيف يمكن تطبيقها في حياة الفرد والمجتمع.
٥. **القرآن كمرشد للحياة اليومية:** يعتبر الشيخ دراز أن القرآن ليس مجرد كتاب عبادي، بل هو مرشد شامل لحياة المسلم في جميع المجالات.
٦. **التفاعل مع الظروف التاريخية:** في منهجه، يتعامل الشيخ دراز مع القرآن باعتباره نصًا نزل في ظروف تاريخية معينة، ويجب فهمه في ضوء هذه الظروف.
٧. **استنباط الحكم من الأحداث:** يربط الشيخ دراز تفسير القرآن بالأحداث الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في عصر النزول.
٨. **تفسير القرآن استنادًا إلى فهم شامل:** لا يُقتصر تفسير الشيخ دراز على الجوانب اللغوية فقط، بل يأخذ في الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والثقافية.
٩. **التحليل الاجتماعي للآيات:** يعكف الشيخ دراز على تحليل الآيات القرآنية من خلال دراسة السياق الاجتماعي الذي نزلت فيه.
١٠. **الاعتماد على تفسيرات متنوعة:** لا يقتصر الشيخ دراز على تفسير واحد للآية، بل يدرس تفسيرات متعددة مع مراعاة السياقات المختلفة.
١١. **تفسير مبادئ القرآن في ضوء التحديات المعاصرة:** يستفيد الشيخ دراز من منهج تفسيره لتقديم حلول مستنيرة لمشاكل العصر الحديث بناءً على المبادئ القرآنية.
١٢. **رؤية شاملة للقرآن الكريم:** يعتمد الشيخ دراز في تفسيره على رؤية شاملة تجمع بين الأبعاد الدينية والاجتماعية والتاريخية.
١٣. **إعادة فهم القيم القرآنية:** يشدد الشيخ دراز على ضرورة إعادة تفسير القيم القرآنية بما يتناسب مع تطورات الزمن دون التفريط في جوهر المعنى.
١٤. **الربط بين القرآن والواقع:** يربط الشيخ دراز الآيات القرآنية بالواقع الاجتماعي من خلال دراسة كيفية تأثير القرآن في المجتمع في وقت نزوله.

١٥. **الاجتهاد في تفسير النصوص:** يفضل الشيخ دراز الاجتهاد في تفسير الآيات مع الحرص على مراعاة التغيير في سياق الزمان والمكان.
١٦. **الاهتمام بالتفسير الاجتماعي:** يعتبر الشيخ دراز أن السياق الاجتماعي من أبرز العوامل التي تساعد في تفسير المقاصد القرآنية وتوضيح معانيها.
١٧. **القرآن دستور اجتماعي:** يرى الشيخ دراز أن القرآن هو مرشد شامل ليس فقط للفرد المسلم بل للمجتمع ككل، بما يتلاءم مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية.
١٨. **تفسير القرآن باستخدام العقل:** يشدد الشيخ دراز على أهمية استخدام العقل في فهم القرآن وتفسيره، بما يتماشى مع الواقع المعاصر.
١٩. **توظيف التاريخ في التفسير:** يرى الشيخ دراز أن الوقوف على السياق التاريخي للأحداث يمكن أن يساعد في استيعاب معاني النصوص القرآنية.
٢٠. **إعادة بناء الفهم الديني:** يساهم منهج الشيخ دراز في إعادة بناء الفهم الديني، بحيث يكون مرنًا ويواكب التطورات الاجتماعية دون الخروج عن إطار النصوص القرآنية.

من خلال هذه النتائج، يظهر أن الشيخ محمد عبد الله دراز لا يتعامل مع القرآن الكريم كأمر منفصل عن الحياة اليومية، بل يرى أن القرآن يجب أن يُفهم في ضوء الأحداث الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، ويعطيه بعدًا عمليًا وواقعيًا.

التوصيات:

دمج البعد السياقي في المناهج التفسيرية: على المؤسسات التربوية أن تُدرج في مناهجها تفسير القرآن الكريم من منظور سياقي، تاريخي، واجتماعي، وفقًا لمنهج الشيخ دراز، لتقديم فهم أكثر عمقًا واتصالًا بالواقع.

تشجيع طلبة الدراسات العليا على البحث في التفاعل بين النص القرآني والواقع المعاصر: **يُنصح الطلبة بالتركيز على مشاريع بحثية تربط بين النصوص القرآنية والتحديات الاجتماعية والسياسية المعاصرة، مسترشدين بمنهجية الشيخ دراز.**

تبنّي التفسير الأخلاقي كمحور في التعليم الديني: **ينبغي على المسؤولين التربويين تعزيز دور القيم الأخلاقية القرآنية في الحياة اليومية للطلبة، وربطها بممارسات وسلوكيات معاصرة قابلة للتطبيق.**

الاعتماد على التعدد التفسيري كوسيلة لفهم متكامل: **يجب على طلبة الدراسات العليا والمؤسسات الأكاديمية اعتماد تعددية التفسيرات كأسلوب علمي لفهم أعمق للآيات، وعدم الاكتفاء برأي واحد أو اتجاه تفسير معين.**

تحفيز الاجتهاد التفسيري المرتبط بالواقع: **دعم مشاريع الاجتهاد التي تأخذ في الاعتبار تغيّر الزمان والمكان، ضمن ضوابط النصوص القرآنية، بما يعكس روح القرآن كدستور حياة مرن.**

إعادة بناء الوعي الديني من منظور مقاصدي: **دعوة المؤسسات الدينية والتعليمية إلى تبني قراءة مقاصدية للقرآن الكريم، تستلهم رؤية الشيخ دراز في تفسيره للمبادئ الكبرى التي تخدم الإنسان والمجتمع.**

تطوير مناهج تعليم التفسير العقلي والاجتماعي: **ضرورة إدخال منهجيات تحليلية تعتمد على العقل والسياق الاجتماعي والتاريخي ضمن برامج الدراسات القرآنية، بما يتلاءم مع حاجات الجيل المعاصر وتطلعاته.**

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م). **تفسير القرآن العظيم**. (ط٣). تحقيق: سامي ابن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة.

أبو زيد، وصفي عاشور. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **أسس التعامل مع القرآن الكريم**. (د.ط) مصر: د.ن.

الأطرش، رضوان جمال. **مدخل إلى دراسة وجوه الإعجاز القرآني**. (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). (ط٣). كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر العلمي (IIUM Press).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**. (ط١). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**. (ط٤). تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش. بيروت: دار طيبة.

الجويني، مصطفى الصّاوى. (د.ت). **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**. (ط٢). مصر: دار المعارف، د.ت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). **مفاتيح للتعامل مع القرآن**. (ط٢). دمشق: دار القلم.

دراز، محمد عبد الله. (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). **مدخل إلى القرآن الكريم**. (ط٥). تحقيق: مترجم ومحقق: محمد عبد العظيم. القاهرة: دار القلم.

الشنقيطي، محمد بن المختار. (٢٠١٢م). **فيلسوف القرآن الكريم محمد عبدالله دراز: حياته وآثاره**. (ط١). القاهرة: دار المشرق.

الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي. (١٩٧٠م). **طبقات الفقهاء**. (ط١). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي.

عبد العزيز، أحمد مصطفى. (٢٠١٢م). **حول رسالة دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز**. (ط٢). القاهرة: دار القلم.

عبد العزيز، أحمد مصطفى. (٢٠٠٧م). **محمد عبدالله دراز دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه**. (ط١). القاهرة: دار القلم.

القطان، مناع بن خليل. (١٤٢هـ/ ٢٠٠٠م). **مباحث في علوم القرآن**. (ط٣). الرياض: مكتبة المعارف.

المجالي، محمد خازن. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**. (ط٢). عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

مسلم، الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). **الكنى والأسماء**. (ط١). تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الرسائل الجامعية

الأسطل، عبدالباسط محمد. (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ). **منهج الإمام الشوكاني في عرض القراءات في تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية**. رسالة الماجستير. غزة: جامعة الإسلامية. كلية أصول الدّين. قسم التّفسير وعلوم القرآن.

البقمي، طامي بن هديف. (١٩٨٧م). **الدكتور محمد عبدالله دراز وجهوده في الدعوة.** رسالة الماجستير. الرياض: جامعة الإمام بن سعود الإسلامية. كلية الدعوة والإعلام. قسم الدعوة.

محي الدين بن عمار. (٢٠١٢م). **جهود محمد عبد الله دراز في التّفسير الموضوعي: دراسة تحليليّة.** رسالة الدكتوراه. باتنة: جامعة الحاج لخضر. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية. قسم العلوم الإسلامية.

الشبكات العنكبوتية:

صفحة فسبوك شخيّة عامة. فضيلة الشيخ أحمد مصطفى فضيلة. <https://www.facebook.com/fdliah/posts/٣١١٦٨٢٨٦٥١٦٦٢٥٧٦?comment_id=٣١١٦٩٦٤٠٩١٦٤٩٠٣٢> آخر تعديل لهذه الصفحة ١٣ ديسمبر ٢٠١٨م.

صفحة فسبوك، محمد المختار الشنقيطي، **"محمد عبدالله دراز: عاشق القرآن الكريم" (مقالة منشورة: مجموعة الإحياء والتجديد: ٢٠١٧م/ ١٤ أغسطس)،** <https://www.facebook.com/tajdeedgroup/posts/٨٣٧٥٤٨٢٨٦٤٠٣٦٢٠>.

الكتاب المقدس (العهد الجديد)، الاصحاح التاسع عشر، الإنجيل متى، أية ٢١، <https://st-takla.org/pub_newtest/Arabic-New-Testament-Books/٠٣-Luke/Enjil-Loka_Chapter-١٨.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبير ٢٠٢٠م.

الكتاب المقدس (العهد الجديد)، الاصحاح التاسع عشر، الإنجيل متى، أية ٢١، <https://st-takla.org/pub_newtest/Arabic-New-Testament-Books/٠٣-Luke/Enjil-Loka_Chapter-١٨.html> آخر التعديل لهذه الصفحة ٨ نوفمبير ٢٠٢٠م.

محمد عمو، **"أطروحة محمد عبدالله دراز في البرهان على مصدر القرآن"**، <https://islamonline.net/٢٩٩٠١>. آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٠١٩/ ٠٥/ ١٩.

موقع ببليو إسلام، (مقالة علمية مفيدة منشورة تحت موقع ببليو إسلام، ٢٠٠٨م/ ٠٥/ ٢٨)، عبد الرحمن حللي، **"دستور الأخلاق في القرآن.. بمناسبة مرور نصف قرن على رحيل العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز"**، < http://almultaka.org/site.php?id=٥٩٦&idC=٦&idSC=١٩>. آخر تعديل الموقع ٢٠١٧م /١٠/ ١٤.